

# فكر المسلم المعاصر

ما الذي يشغله؟

أسئلة يجيب عنها

- الدكتور محمد سيد طنطاوى
- الدكتور محمد عمارة
- الدكتور حسان تحتوت
- الدكتور عبد الجليل شابى
- الشيخ عطية صقر
- الدكتور عبد الله عبد الشكور

الطبعة الأولى  
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

جميع حقوق الطبع محفوظة  
الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر  
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة  
تليفون ٥٧٤٧٠٨٣ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

نصميم الغلاف  
الفنان عبد السلام الشريف

## المحتويات

### □ مقدمة

### □ القسم الأول :

الدكتور محمد سيد طنطاوى

الإسلام والاقتصاد

- دور الدولة والملكية الخاصة ..... ١١
- البنوك التجارية والفوائد ..... ١٨
- البنوك الإسلامية ..... ٢٥
- شهادات الاستثمار ..... ٢٧
- التأمين على الحياة ..... ٣٢
- الضرائب والزكاة ..... ٣٤
- تكافل الدول الإسلامية ..... ٣٦
- الاحتكار ..... ٣٨

### □ القسم الثانى :

الدكتور محمد عمارة

الإسلام والسياسة

- الإسلام والأحزاب ..... ٤٣
- الإسلام والديمقراطية ..... ٥٠
- سلطات رؤساء الدول ومواصفاتهم فى الإسلام ..... ٥٥
- حرية التعبير فى الإسلام ومراقبة الحكام ..... ٦٠
- الإسلام والمنظمات الدولية والأحلاف ..... ٦٦
- حقوق الدول الإسلامية الفقيرة ..... ٧١
- الإسلام والأقليات ..... ٧٦
- الصلح مع إسرائيل ..... ٨١
- الإسلام والقومية العربية ..... ٨٨
- الإسلام والمعارضة السياسية ..... ٩٢

□ القسم الثالث :

الإسلام والطب

الدكتور حسان حتوت

- الإسلام والاستعانة بالطب والدواء ..... ١٠٣
- المرأة المسلمة وطبيب أمراض النساء ..... ١٠٦
- الإسلام والاجهاض ..... ١٠٩
- بيع أعضاء الجسم وبيع الدم ..... ١١٢
- تحويل الجنس ..... ١١٦
- التلقيح الصناعي ..... ١١٨
- موقف الإسلام من التدخين ..... ١٢١
- الأدوية المخدرة ..... ١٢٥
- أسرار المهنة ..... ١٢٧

□ القسم الرابع :

الإسلام والمرأة

الدكتور عبد الجليل شلبي

- الإسلام وتعدد الزوجات ..... ١٣١
- الإسلام والتفرقة ضد المرأة ..... ١٣٦
- حدود طاعة الزوجة لزوجها ؟ ..... ١٤٤
- زواج المتعة والزواج العرفي ..... ١٤٧
- الإسلام وزى المرأة ..... ١٥٢
- الإسلام والاختلاط ..... ١٥٨
- علاقة الشاب وخطيبته ..... ١٦٢
- الانفاق على الزوجة من مال حرام ..... ١٦٤

□ القسم الخامس :

الشيخ عطية صقر

الإسلام والفكر الخاطيء

- مقاومة المنكر بالعنف ..... ١٦٩
- الموقف من أهل الكتاب ..... ١٧٤
- اجبار الزوجة والأهل على الايمان بفكر الزوج أو تكفيرهم ..... ١٨٠
- الإسلام والتعليم ..... ١٨٥
- رفض الالتحاق بالجيش ..... ١٩٠
- رفض الصلاة في المساجد واسقاط فريضة الجمعة ..... ١٩٥
- زى الرجل ولحيته ..... ١٩٩
- الإسلام والتجديد ..... ٢٠٣
- صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ..... ٢٠٧
- تحريم العمل فى الحكومة ..... ٢١٢

□ القسم السادس :

الدكتور عبد الله عبد الشكور

الإسلام والحياة المعاصرة

- موقف الإسلام من الرسم والفنون التشكيلية والتصوير الفوتوغرافى ... ٢١٩
- موقف الإسلام من المسرح والسينما ..... ٢٢٢
- موقف الإسلام من الموسيقى والغناء ..... ٢٢٦
- موقف الإسلام من الرياضة ومسابقاتها ..... ٢٣١
- الإسلام ونظام التبنى ..... ٢٣٥
- تكرار الحج ..... ٢٣٩
- قراءة القرآن بميكروفونات ..... ٢٤٣
- قراءة القرآن بأجر ..... ٢٤٧
- بناء المقابر فى المساجد ..... ٢٥٤



## مقدمة

### فكرة الكتاب وهدفه

لم يعد ثمة شك في أن حملة شرسة ضارية تزداد حدتها كل يوم تستهدف النيل من الإسلام كدين سماوي ، وكأسلوب حياة ، وكبنیان حضارى تطاول قامته الحضارات الأخرى وتعلوها في كثير من الميادين .

وهذه الحملة تدور على النطاق العالمى والمحلى ، وتلجأ الى اسلوبين : الهجوم المباشر بالتهوين من شأن الإسلام ، أو توظيف « الفهم الخاطيء » للدين الحنيف لتحقيق أغراض في نفوس أصحابها ، الدين منها برىء .

على المستوى العالمى ، يحاول البعض تصوير الإسلام على أنه خطر داهم يتعين التصدى له بكل قوة وعنف . وهؤلاء تقتضى مصالحهم وسياساتهم وجود عدو ما يحشدون الحشود ويسخرون الطاقات لمجابهته . وبعد أن انتهى العدو السوفيتى ، التمسوا فى الإسلام عدوا يبررون به مخططاتهم ، سواء داخل بلدانهم أو فى الأقطار التى تدين بالإسلام .

وعلى المستوى المحلى ، فان القضية أكثر تشابكا وتعقيدا ، مما يمهد الساحة لشيوع المفاهيم غير السليمة :

● فالأزمة التى تأخذ بخناق العالم الإسلامى والعربى ، بجوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية والاجتماعية ، جعلت الناس أكثر اتجاها لدينهم يستلهمونه الحلول .

● ومستجدات الحياة المعاصرة غير المسبوقة وغير المعروفة تصيب الكثيرين بالارتباك والحيرة ، ويودون معرفة رأى الدين فيها .

● كما أن بعضا ممن يلجأ الناس اليهم ليستفتوهم فيما سبق ، إما غير مؤهلين لذلك ، أو أصحاب ميل ، ومن ثم يفتون بغير علم أو بغير مراعاة لمقتضيات الأمانة . والمأساة هي أن الأزمة بقدر ما تفرز فهما خاطئا ، فان هذا الفهم بدوره يفاقم الأزمة وهكذا دواليك ، تمضى الأمور فى دائرة مفرغة تستحکم حلقاتها .

ولهذا ، فكّر مركز الأهرام للترجمة والنشر فى اصدار كتاب تجيب فيه نخبة من العلماء ، ممن عرفوا بتقوى الله فيما يقولون ، على الأسئلة التى تشغل بال قطاعات عريضة من المسلمين حول شؤون حياتهم المعاصرة فى ستة مجالات : الاقتصاد ، والسياسة ، والطب ، والمرأة ، والفكر الخاطيء ، والحياة المعاصرة .

وللوصول للأسئلة الأكثر الحاحا وتواترا ، استطلع المركز آراء دائرة واسعة من أصحاب الثقافات والاهتمامات المختلفة ورصد كل ما نشر ، وعهد بهذا لمجموعة منهم اختارت أكثر الأسئلة أهمية واستقر الرأى على ما أجمع عليه العدد الأكبر منهم .

وفى اختياره للقائمين بالرد ، انتقى المركز مجموعة من علماء الدين الأفاضل ممن تخصصوا فى الموضوعات التى تدور حولها الأسئلة وعرف عنهم التجرد من الهوى ، ليقدّموا ردودهم على ما يهم الناس معرفته فى الصفحات التالية .

ومركز الأهرام للترجمة والنشر يأمل أن يكون هذا الكتاب بداية لسلسلة تجيب على ما يدور فى اذهان المسلمين من تساؤلات حول أمور دينهم ودنياهم ، ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ .



# الإسلام والاقتصاد

الدكتور

محمد سيد طنطاوي

- مفتي جمهورية مصر العربية . عمل بالتدريس حتى أصبح عميدا لكلية أصول الدين ، وعميدا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية .
- حاصل على الدكتوراه فى التفسير والحديث من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .
- عمل رئيسا لقسم التفسير فى جامعات كل من العراق وليبيا والسعودية .
- طاف محافظات جمهورية مصر العربية للمشاركة فى ندوات حول تصحيح المفاهيم الدينية .
- شارك فى العديد من المؤتمرات الإسلامية الدولية .
- له مؤلفات عديدة منها : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ( فى ١٥ مجلدا ) ، بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ، معاملات البنوك وأحكامها الشرعية ، القصة فى القرآن الكريم ، جوامع الدعاء من القرآن والسنة ، سرايا الحربية فى العهد النبوى .



## السؤال الأول

كيف حدد الإسلام :

( أ ) دور الدولة فى الاقتصاد ؟

( ب ) حقوق الملكية الخاصة وكيف يمكن جعلها لا تتعارض مع مصالح المجتمع ؟

( ج ) الملكية العامة وحدودها ومجالاتها وأهدافها ومن يقوم عليها ؟

( أ ) قبل أن نتحدث عن دور الدولة فى الاقتصاد ، لابد وأن نعرّف مدلول كلمة الاقتصاد . وبالرجوع إلى المعجم الوسيط - الذى أخرجه مجمع اللغة العربية - ج ٢ ص ٧٣٨ نجده يقول : يقال « اقتصد فلان فى أمره : أى : توسط ، فلم يُفْرِط ولم يَفْرِط . ويقال : اقتصد فى النفقة ، أى : لم يسرف ولم يقتتر ... ثم يقول : والاقتصاد علم يبحث فى الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع » . وإذا كان هذا هو تعريف كلمة « الاقتصاد » ، يكون دور الدولة ، بذل أقصى الجهد من أجل زيادة إنتاجها فى كل المجالات التى أحلها الله تعالى ، من زراعة ، وتجارة ، وصناعة ، وغيرها ، حتى تصل الأمة إلى حد الكفاية فيما تملكه من هذه المجالات الأساسية ، وتستطيع أن تتبادل المنافع فيما لا تملكه مع غيرها ، إذ الأمم الآن لا يستغنى بعضها عن بعض .

الناس للناس من بدو وحاضره بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

فإذا ما زاد إنتاج الأمة فى كل مجال حيوى ضرورى ، أصبحت أقل احتياجاً إلى غيرها ، وأصبح غيرها أكثر احتياجاً إليها ..

إذا ما فعلت ذلك كانت أمة قوية رشيدة ، وكانت محلاً لاحترام غيرها . فإذا ما أضافت على ذلك عدالة التوزيع لهذا الإنتاج الوفير ، بين الأفراد والجماعات ، بلغت أسمى ما تصبو إليه من رقى وازدهار واطمئنان . والعدل فى كل شىء أساس من الأسس التى أقامت عليها الشريعة الإسلامية أحكامها . العدل فى الأقوال أمرنا الله تعالى به فقال :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (١)

العدل فى الأحكام أمرنا الله تعالى به فقال :

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (٢)

العدل فى الشهادة أمرنا الله تعالى به فقال :

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (٣)

العدل مع العدو ومع الصديق أمرنا سبحانه به فقال :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (٤)

وقد قالوا فى الحكم : لا ملك إلا بالرجال ، ولا رجال إلا بالمال ، ولا مال إلا بالتعمير ،  
ولا تعمير إلا بالعدل ، فالعدل أساس الملك .

وشريعة الإسلام قد فتحت للناس أبواب الإنتاج فى كل مجال أحله الله تعالى .

ففى ميدان التجارة نرى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ  
مِّنكُمْ ﴾ (٥)

والتجارة - فى الأعم الأغلب - تشمل كل تبادل للمنافع بين الناس ، عن طريق البيع أو  
الشراء ، أو الرهن ، أو الإجارة ، أو الوكالة ، أو غير ذلك من المعاملات التى أحلها الله تعالى .

وفى ميدان الزراعة نجد كثيراً من الآيات القرآنية التى تحض على تعمير الأرض ، وعلى  
شكر الله تعالى - الذى أوجد لنا فى الأرض تلك النعم .

( ١ ) سورة الانعام : الآية ١٥٢

( ٢ ) سورة النساء : الآية ٥٨

( ٣ ) سورة الطلاق : الآية ٢

( ٤ ) سورة المائدة : الآية ٨

( ٥ ) سورة النساء : الآية ٢٩

ومن هذه الآيات قوله تعالى :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَبَلٍ رَّاتٍ وَجَنَّتْ بَيْنَ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ  
صِنَوَانٍ ﴾

أى - زروع يجمعها أصل واحد ، وزروع لا يجمعها أصل واحد -

﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ ﴾ (٦)

وقوله سبحانه :

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .  
تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّبِينٍ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ  
وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعْنَ نَضِيدٌ رِّزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً  
مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (٧)

وقوله - عز وجل : .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا  
فَطَلَّغْتُمْ تَفَكَّهُونَ . إِنَّا لَمَغْرُمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ (٨)

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي حضت على الزراعة ، قوله ﷺ : « ما من مسلم يزرع  
زرعاً ، أو يغرس غرساً ، فيأكل منه طير أو إنسان أو حيوان إلا كان له به صدقه » .

وقوله ﷺ : « إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة - أى : نخلة صغيرة - فليغرسها » .

(٦) سورة الرعد : الآية ٤

(٧) سورة ق : الآيات ٧ - ١١

(٨) سورة الواقعة : الآيات ٦٣ - ٦٧

وفى ميدان الصناعة نجد آيات كريمة ، تخبرنا أن الله تعالى - قد علم بعض أنبيائه فنوناً من الصناعة ، وليس معقولاً أن يعلم الله أنبياءه شيئاً محرماً ، بل المعقول أن يعلمهم الأشياء النافعة التى تعود عليهم وعلى أممهم بالخير .

تأمل قوله تعالى :

﴿ وَخَرَرْنَا مَعَ دَاوُدَ أَجْبَالَ يَسْبَحَنَّ وَالطَّيْرَ وَكُلَّ فَاعِلِينَ . وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَّكَرَّمٍ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (٩)

أى : وعلمنا بقدرتنا نبينا داود صناعة الدروع بحذق وإتقان ، لتجعلكم فى حرز ومأمن من الإصابة بآلة الحرب ، فاشكروا الله على ذلك .

وهكذا نجد كثيراً من الآيات القرآنية ، ومن الأحاديث النبوية ، تحض على العمل على زيادة الإنتاج ، عن طريق الزراعة أو التجارة أو الصناعة أو غيرها من الحرف والمهن التى أحلها الله تعالى .

أما توزيع هذا الإنتاج الوفير ، فيجب أن يكون توزيعاً عادلاً ، ينال منه كل فرد نصيبه بالقسطاس على قدر جهده وعمله .

فالذى يقدم الكثير من الجهد والبذل والإنتاج ، ينبغى أن يكون نصيبه أكثر ممن لا يقدم مثل هذا الجهد أو الإنتاج .

والذى يقوم بهذا التوزيع العادل ، هم أولياء الأمور ، كل فى مجال تخصصه وخبرته ، فى إطار من الموضوعية والعدالة ، التى ترسمها التشريعات المتنوعة . ومتى زاد الإنتاج فى الأمة ، وحسن توزيعه بين أفرادها ، ارتفعت رايته ، وعزت كلمتها ، وسادها السلام الاجتماعى ، وأظلم الأمان والاطمئنان ، وعاشت الحياة الطيبة ، التى يصبو إليها العقلاء فى كل زمان ومكان .

هذه هى الأركان الكلية لدور الدولة فى الاقتصاد ، أما التفاصيل والجزئيات ، فيرجع إليها فى مظانها من كتب الفقه والقانون والاقتصاد وغيرها .

( ب ) أما الملكية الخاصة ، فهى تسرى فى كيان الإنسان منذ نعومة أظفاره ، إلى أن تنتهى حياته فى هذه الدنيا .

( ٩ ) سورة الأنبياء ، الآيتان ٧٩ - ٨٠ .

فالحرص على الملكية الخاصة ، وعلى التملك لما يشتهيهِ الإنسان من زينة هذه الحياة ، طبيعة في كل الناس جميعاً ، ذكورهم وإناثهم ، شبيهم وشبانهم ، صغارهم وكبارهم ، أغنيائهم وفقرائهم ، عقلائهم وسفهائهم ...

والخلاصة أن حب التملك طبيعة في الإنسان ، وسجية ثابتة من سجاياه ، وإذا تفاوتت بين إنسان وآخر ، ففي الدرجة فقط .

ولقد أشار القرآن الكريم ، إلى أن الإنسان من فطرته الحرص على ما يملك ، وأنه ضنين به حتى لو ملك الكثير والكثير .

قال تعالى :

﴿ قُلْ لَوْ أَنَّمْ تَمَلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ (١٠)

أى : وكان الإنسان - وما زال - من طبعه البخل والشح والتقتير ، والحرص على ما تحت يده ، ولو أعطاه الله تعالى خزائن ملكه ، وقال له : اعط هذا ألفاً ، وهذا مائة ، لبخل وأمسك مخافة الفقر ، ولم يعط غيره إلا القليل ، من هذا الشيء الكثير الذى تحت يده .

وهذا الحرص من الإنسان على التملك والاستئثار بالأشياء ، يعد أقوى الدوافع إلى السعى والكدح والتنافس مع غيره ، بل والتصارع والتدافع من أجل الحصول على ما لا نهاية من المطالب والآمال والأموال والمناصب ...

وصدق الله إذ يقول :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ - أى : لاجود - ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَّشَهِيدٌ .  
وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾

أى : وإن الإنسان بطبعه لشديد الحب لجمع المال ، ولكسبه من مختلف الوجوه ، ولتملكه بوجوه شتى ، قد يكون منها الحلال وقد يكون منها الحرام ...

ولقد أباحت شريعة الإسلام الملكية الخاصة ، اعترافاً منها بطبيعة الإنسان وبحرصه على

١٠ - سورة الإسراء : الآية ١٠٠

جمع المال والاستثمار به ، إلا أنها اهتمت بتهديب هذه الطبيعة وبترقيتها ، فأباحت له أن يجمع المال ولكن بالطرق الحلال ، وبالوسائل المشروعة التي لا غش فيها ولا استغلال ولا ظلم .

وفى الحديث الشريف : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .

وما دام الإنسان قد جمع ما جمع من مال بالطرق التي أحلها الله تعالى ، وبالوسائل الشريفة ، وأدى فيه ما يجب عليه نحو خالقه ونحو مجتمعه ، من زكاة ومن حقوق للدولة التي هو جزء منها ، فلا يصح مصادرة هذه الأموال ، أو الاعتداء عليها بأى لون من ألوان الاعتداء .

وهذه الملكية الخاصة ، يمكن جعلها لا تتعارض مع مصالح المجتمع ، متى تصرف فيها صاحبها تصرف العقلاء الحكماء ، بأن سخرها في كل ما يعود عليه وعلى أمته بالخير والبر والغنى ، كإنشاء المصانع أو المزارع أو المتاجر التي تزيد في الإنتاج ، وتقلل من البطالة ، وتفتح الكثير من البيوت ، ويجد الناس فيها ما يغنيهم ، ويسد مطالب حياتهم .

ومتى تصرف كل صاحب مال في ماله بتلك الطرق الشريفة الحكيمة ، لقي من العقلاء في أمته كل تقدير واحترام .

وأقول العقلاء لأن السفهاء والظالمين والحاقدين والمفسدين في الأرض ، كثيرًا ما تكون تصرفاتهم السيئة والباطلة والباغية ، على رأس الأسباب التي تصيب أصحاب الأموال الشرفاء ، بالإحباط واليأس . وإذا أردنا أن تكون الملكية الخاصة في خدمة مصالح المجتمع ، فعلينا أن نفتح لأصحابها مجالات العمل الشريفة ، وأن تكون العدالة هي رائدنا في أخذ ما يجب أخذه منهم من أموال ، وأن يعتبر كل واحد في الأمة أموال غيره كأنها أمواله في الحرص عليها ، وفي عدم أخذ شيء منها إلا بالحق والعدل .

(ج) أما الملكية العامة ، فإن كان المقصود بها ما تملكه الدولة ، لا ما يملكه أفرادها كل على حدة ، ففي هذه الحالة تشمل هذه الملكية العامة جميع المرافق العامة التي أقيمت وأنشئت بأموال جمعتها الدولة من الأفراد أو من غيرهم ، على حسب ما تراه مناسباً لحال كل فرد أو جماعة .

وهذه المرافق لا حدود لها ، ولكن من أهمها : شق الترع والمصارف ، وإقامة المواصلات على اختلاف أنواعها ، وإنشاء معاهد العلم ودور العبادة ، وتشديد المستشفيات ، وغير ذلك من المرافق التي لا غنى للأمة عنها . ولا شك أن الهدف الأكبر من إقامة هذه المرافق ، هو خدمة المجتمع دينياً ، وعلمياً ، وخلقياً ، وصحياً ، وعقلياً ، واجتماعياً ، ونفسياً ، واقتصادياً .. الخ . وتزداد الأمة رقيًا وازدهارًا ، متى تحقق في هذه المرافق ، ما يريح المترددين عليها ، ويشرح صدورهم ..



كذلك مما يدل على رقى الأمم ورشدها ، أن يحافظ كل فرد فيها على هذه المرافق العامة ،  
محافظة على ملكيته الخاصة .

إذ أنه من المبادئ الأساسية في شريعة الإسلام : تقديم ما يتعلق بالمصالح العامة ، على  
ما يتعلق بالمصالح الخاصة .

## السؤال الثاني

اختلف الرأي في قيام البنوك التجارية بدفع فوائد محددة للمودعين ، مما تتقاضاه من المقترضين منها من نفس الودائع بفوائد أكبر ومحددة هي - أيضا - فأى الأطراف على صواب ؟

● قبل أن أجيب عن هذا السؤال أحب أن أصحح بعض ما فيه :

أوليه : أن كلمة « فوائد » أفضل منها كلمة « أرباح » أو كلمة « عوائد » .

وثانيه : أن كلمة « للمودعين » يجب أن تحل محلها كلمة « للمستثمرين » .

وثالثه : أن كلمة « للمقترضين » يجب أن تحل محلها كلمة « للمتعاملين معها » ، لأن البنوك التجارية وظيفتها جمع المال واستثماره وتنميته ، وليست وظيفتها الإقراض ، إذ الإقراض وظيفة غيرها كالبنوك الاجتماعية وما يشبهها . وبناء على ذلك يكون السؤال كالاتي : اختلف الرأي في قيام البنوك التجارية بدفع أرباح أو عوائد محددة للمستثمرين لأموالهم فيها ، كما اختلف الرأي فيما تأخذه من عوائد محددة ممن تعطيمهم جزءاً من أموالها لاستثماره في مشروعات متنوعة ، فأى الأطراف على صواب ؟

وللاجابة عن هذا السؤال بعد تصحيحه أقول : هناك فرق كبير من الناحيتين اللغوية والشرعية بين كلمات : قروض - ودائع - استثمار .

إذ كلمة « قرض » لم تستعمل في القرآن إلا بمعنى الصدقة ، كما في قوله تعالى :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرًا وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١)

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤٥

ومعناها لغة : 'إعطاء المقرض للمقترض مبلغاً من المال على سبيل المساعدة ، على أن يرد المقترض للمقرض هذا المال بدون زيادة أو نقص ، فى الوقت الذى يتفقان عليه .

ولا يصح لعاقل أن يقترض من غيره شيئاً ، إلا اذا ألجأته الضرورة إلى ذلك ، كأن يقترض مبلغاً من المال من أجل ضرورات الحياة من مأكّل أو مشرب أو ملبس أو دواء أو مسكن ، وبحيث لو لم يقترض هذا الشيء من غيره ، لتعرضت حياته للخطر .

فإذا ما افترضنا أن إنساناً اضطر اضطراراً الى أخذ مبلغ من المال من غيره من أجل ضرورات الحياة ، فلا يصح لهذا الغير أن يأخذ أكثر من حقه ، هذا هو الأصل فى معاملات الأفراد بعضهم مع بعض ...

لكن إذا لجأ شخص الى بنك اجتماعى - كبنك ناصر - مثلاً - فأخذ منه مبلغاً من أجل ضرورات الحياة ، وأخذ منه البنك مصروفات إدارية أو بنكية نظير عمل قام به ، كالكتابة والتوثيق وما يشبه ذلك ، ففى هذه الحالة لا بأس فى هذا التصرف شرعاً .

وهذا ما يفعله بنك ناصر ، فإنه يأخذ ممن يقرضه ٣% ، منها ١,٥% تكافى اجتماعى ، بحيث اذا مات المقترض قبل سداد القرض ، سقط الباقى من القرض ولا يطالب به الورثة . والقرآن الكريم قد رفع الإثم عن المضطر فقال :

﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)

والذى أعلمه ان البنوك التجارية لا تتعامل مع الفقراء والمحتاجين إلى ضرورات الحياة ، وإنما تتعامل - فى الأعم الأغلب - مع الأغنياء ومع أصحاب المشروعات التجارية والصناعية والزراعية وما يشبهها .

فالقول بأن البنوك التجارية تقرض أو تقترض قول خاطيء لغة وشرعاً .

ثم تأتى بعد ذلك كلمة ودیعة ، ومعناها لغة « أمانة » يقال : ودع فلان الشيء عند غيره وأودعه إياه ، اذا تركه عنده ليحفظه له .

فإن هلكت هذه الوديعة عند المودع عنده لأسباب خارجة عن إرادته فلا ضمان عليه ، وإن هلكت بسبب تقصيره أو إهماله وجب عليه ضمانها .

ومن حق الذى أودعت عنده أمانة أن يطلب من صاحبها أجره على حفظها ، لأنه ضامن لها .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٣

وبناء على كل ذلك ، فالذين يضعون أموالهم في البنوك بنية وبقصد حفظها فقط ، وليس بنية أو بقصد استثمارها ، لا يصح لهم أن يأخذوا من البنوك إلا رأس مالهم فقط ، بل إن من حق البنوك أن تطالبهم بالأجر الذي تراه مناسباً نظير حفظها لهذه الأموال ، وضمان ردها لأصحابها كاملة غير منقوصة ، عند طلب استردادها .

أما كلمة « استثمار » فتختلف في معناها عن كلمتي القروض والودائع ، لأن الاستثمار معناه : تنمية المال والعمل على زيادته بالطرق المشروعة .

وبناء على ذلك ، فمن ذهب إلى بنك من البنوك ، فأعطاه مبلغاً من المال ، ووكَّله في أن يستثمره له فيما أحله الله ، ورضى صاحب المال بالربح الذي حدده له البنك عن طواعية واختيار ، فهذه معاملة حلال والأرباح التي تأتي عن طريقها حلال .

ومثل هذه الصورة تقال فيما إذا جاء فرد من الأفراد ، أو مؤسسة من المؤسسات أو شركة من الشركات ، وطلبت من بنك من البنوك مبلغاً من المال من أجل تنفيذ مشروع تجارى قدرت أرباحه تقديراً دقيقاً عن طريق أجهزتها المتخصصة ... فأعطاهم البنك ما تزيده من أموال ، في نظير ٥٠% من أرباحها - مثلاً - ، واتفق الطرفان على ذلك عن رضا واختيار ، فهذه المعاملة حلال وما أخذه البنك من تلك الشركة أو المؤسسة أو الفرد من أموال حلال ، لأن هذه الأموال إنما هي جزء من الربح الذي قدرته لنفسها تلك الشركة أو المؤسسة ، وهذه الأموال إنما أخذها نظير مساهمته معها بالمال الذي تنفذ به تلك المشروعات والذي لولا تقديمه لها لترتب على ذلك اضطراب أحوالها .

ودور البنك في تصورى - بشيء من البساطة - كدور الوسيط بين أصحاب الأموال ، يأخذ من « زيد » أمواله كوكيل عنه في استثمارها له ، نظير ربح يحدده بالتراضى المشروع ، وقد يكون هذا الربح ١٠% مثلاً ، ثم يعطى هذه الاموال « لعمرى » ليستثمرها له كوكيل عن البنك ، نظير ربح يأخذه البنك من « عمرو » قد يكون ١٢% - مثلاً - والفرق بين الربحين ينتفع به البنك نظير وساطته وأعماله المتنوعة ....

والذى أراه أن كل معاملة هذا شأنها ، ولا يوجد فيها غش أو خداع أو استغلال أو ظلم ، أو شيء مما حرمه الله تعالى فهي حلال ، والأرباح التي تأتي عن طريقها حلال .

ولعلنا بهذا التوضيح نكون قد ازلنا اللبس والخلط ، وبيننا بصورة مجملّة ماهو حلال وماهو حرام من المعاملات .

نتنقل بعد ذلك الى مسألة تحديد الربح مقدما كما هو الحال فى معاملات البنوك فنقول : لا يوجد مانع شرعى أو عقلى يمنع من تحديد نسبة الربح مقدماً ، مادام هذا التحديد قد تم بالتراضى المشروع بين الطرفين ، ومن الأدلة على ذلك ما يأتى :

ان مسألة التحديد للربح مقدماً ، أو عدم التحديد ، ليست من العقائد أو العبادات التي لا يجوز التغيير أو التبديل فيها ، وإنما هي من المعاملات الاقتصادية ، التي تتوقف على تراضى الطرفين ، فى حدود شريعة الله تعالى .

ودلينا على ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۗ ﴾ (٣)

والمعنى : يا من آمنتم بالله حق الايمان ، لا يحل لكم ، ولا يليق بكم ، أن يأكل بعضكم مال غيره بالطرق الباطلة التي حرمها الله تعالى ، كالسرقة ، أو النصب ، أو الربا ، أو الغش ، أو غير ذلك مما حرمه الله تعالى .

لكن يباح لكم أن تتبادلوا المنافع التي أحلها الله فيما بينكم ، عن طريق التجارة الناشئة عن التراضى الذى لا يحل حراما ، ولا يحرم حلالاً ، سواء أكان هذا التراضى فيما بينكم ، عن طريق التلفظ ، أم الكتابة ، أم الإشارة ، أم غير ذلك مما يدل على الموافقة ، والاجاب والقبول بين المتعاقدين .

إن شريعة الإسلام تقوم على رعاية مصالح الناس فى كل زمان ومكان . وقد تبدو هذه الرعاية فى ظاهرها مخالفة لبعض النصوص عن النبي ﷺ .

ومن الأمثلة على ذلك : ما أخرجه أصحاب السنن بسند صحيح عن أنس رضى الله عنه - قال : قال الناس يارسول الله ، غلا السعر فسعر لنا . فقال - ﷺ - : « إن الله هو المسعر ، القابض ، الباسط ، الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله ، وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم ولا مال » .

فأنت ترى أن الرسول - ﷺ - لم يجبههم إلى ما طلبوه منه من تسعير السلع ، إذ الأصل عدم التسعير ، وترك السعر لقانون العرض والطلب ..

إلا أن كثيرا من الفقهاء ، أجازوا لولى الأمر تسعير السلع ، إذا غالى التجار فى الأسعار ، أو احتكروا ما لا غنى للناس عنه ، أو تستروا بهذا الحديث لاحتكار السلع ، وفى المبالغة فى رفع سعرها بما يعجز معه كثير من الناس عن شرائها ، وذلك لإشباع مطامعهم .

(٣) سورة النساء : الآية ٢٩

قال صاحب الهداية ما ملخصه : « ولا ينبغي للسلطان أن يسعر على الناس ، فإن كان أرباب الطعام يتحكمون ويتعدون في القيمة تعدياً فاحشاً ، وعجز القاضى عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسعير ، فحينئذ لا بأس به ، بعد مشورة أهل الرأى والخبرة ،(٤) .

وقياساً على ما تقدم ، فإن لولى الأمر اذا رأى - بعد استشارة أهل العلم والخبرة - أن مصلحة الناس تقتضى أن تحدد البنوك الأرباح مقدماً لمن يتعاملون معها ، فله أن يكلفها بذلك رعاية لمصالح الناس ، وحفظاً لأموالهم وحقوقهم من الضياع ، ومنعاً للنزاع والخصام بين البنوك وبين المتعاملين معها ، وهى مقاصد شرعية معتبرة . وهذا ما فعله أولياء الأمور فى مصر وفى غير مصر ، فإنهم رأوا أن مصلحة الناس تقتضى أن تحدد البنوك الأرباح مقدماً للمتعاملين معها ، ونفذت البنوك ما كلفها به أولياء الأمور .

ولا يوجد نص شرعى يمنع من أن يقوم أحد المتعاقدين فى المضاربة بتحديد الربح مقدماً ، سواء أكان هذا التحديد صادراً من صاحب المال أم من صاحب العمل ، وهو الذى يستثمر المال ، ما دام هذا التحديد قد تم بتراضيهما الذى لا يحل حراماً ، ولا يحرم حلالاً .

وبناء على ذلك ، فلا مانع من أن يقوم البنك المستثمر للمال ، بتحديد ربح معين فى عقد المضاربة الذى يكون بينه وبين صاحب المال الذى يضعه فى البنك ، بنية الاستثمار فيما أحله الله تعالى .

ومعلوم لكل عاقل ان البنك لم يحدد الربح مقدماً ، إلا بعد دراسة مستفيضة ودقيقة لأحوال الأسواق العالمية والمحلية ، وللأوضاع الاقتصادية فى المجتمع ، ولظروف كل معاملة ، ولنوعها ولمتوسط أرباحها ...

وهذا التحديد - فضلاً عن كل ذلك - يتم تحت اشراف من البنك المركزى ، الذى يعد بمثابة الحكم بين البنوك وبين المتعاملين معها .

إن تحديد الربح مقدماً فى زمننا هذا ، فيه منفعة لصاحب المال ، وفيه منفعة - ايضاً - لصاحب العمل المستثمر لهذا المال .

فيه منفعة لصاحب المال لأنه يعرفه حقه معرفة خالية من الجهالة ، وبمقتضى هذه المعرفة ينظم أمور حياته .

وفيه منفعة لصاحب العمل ، لأنه يحمله على أن يجد ويجتهد فى عمله وفى نشاطه ، حتى

(٤) كتاب الهداية ، ج ٤ ص ٩٣

يحقق ما يزيد على الربح الذي قرره لصاحب المال ، وحتى يكون الفائض على نصيب صاحب المال ، حقاً خالصاً لصاحب العمل في مقابل جده ونشاطه واجتهاده ، مهما بلغ هذا الفائض .

ان هذا التحديد للربح مقدماً ، لا يتعارض مع احتمال الخسارة من جانب المستثمر للمال وهو البنك أو غيره ، لأنه من المعروف أن الأعمال التجارية المتنوعة ، إن خسر صاحبها في جانب ، ربح في جوانب .

وبذلك تغطي الأرباح الخسائر ، وقد تزيد الأرباح على الخسائر في معظم الاحيان ، إذ الغالب في التجارة أن تبنى على الأرباح لا على الخسائر ، أى : تبنى على التفاؤل لا على التشاؤم الذى هو حجة من يمنع تحديد الربح مقدماً ، وكأن الخسارة فى نظره هى الأصل ، والربح هو الفرع .

إن عدم تحديد الربح مقدماً فى زمننا هذا الذى كثر فيه خراب النعم ، وكثرت فيه الأطماع ، يجعل صاحب المال تحت رحمة صاحب العمل المستثمر للمال ، وهو البنك أو غيره . وقد يكون هذا المستثمر للمال غير أمين ، فيقول لصاحب المال : أنا ما ربحت شيئاً أو يقول له : أنا قد ربحت عشرة ، مع أنه قد ربح مائة .

ولنفرض أن جميع البنوك فى مصر - مثلاً - اتفقت على عدم تحديد الربح مقدماً ، ثم جاءت فيما بينها واتفقت - أيضاً - على تخفيض الأرباح لصالحها ، فمن الذى يحمى أصحاب الأموال المستثمرة فى تلك البنوك من الظلم والغبن ؟

لا شك أن صاحب المال فى هذه الحالة يكون قد وقع عليه الغبن ، وهو عاجز عن إثبات حقه ، وشريعة الله تعالى وهى شريعة الحق والعدل ، تأبى ذلك .

كما تتدخل الحكام فى تضمين الصناع لما يهلك تحت أيديهم بسبب إهمالهم ، بأن حكموا عليهم بأن يدفعوا لأصحاب السلع قيمتها .

فإن لولى الأمر فى زمننا هذا ، أن يتدخل فى عقد المضاربة ، فلا يجعل المال أمانة فى يد المضارب ، اذا هلك كان هلاكه على صاحبه فى كل الأحوال ، وبذلك تضيع أموال الناس بدون ضوابط ، بل له أن يفرض الضمانات الكافية لحفظ أموال الناس . ومن هذه الضمانات : تحديد نسبة الربح مقدماً ، وأن يكون رأس المال مضموناً . وهذا اللون من التدخل يندرج تحت باب المصالح المرسله ، وهى التى لم يرد نص شرعى بإثباتها أو نفيها ، إلا أن رعاية مصالح الناس تقتضيها .

وقد كان الصناع فى أول الأمر لا يضمنون إذا ما أتلفوا ما تحت أيديهم ، فلما كثر إتلافهم

لما تحت أيديهم ، وتضرر أصحاب السلع ، أمر أولياء الأمور في الأمة بتضمين الصناع محافظة على أموال الناس ، لأن تضمين الصناع يحملهم على العناية بما لديهم من أمتعة الناس ، كما أنه يحقق اطمئنان الناس على أمتعتهم ، وفي ذلك صلاح أحوالهم .

وقياساً على ذلك : فنحن نرى أن تحديد الربح مقدماً في التعامل مع البنوك ، وضمان رأس المال المستثمر لديها ، هو من باب المصالح المرسله ، لأنه لا يوجد نص يمنع ولى الأمر من ذلك .

والخلاصة أننا لا نرى مانعاً شرعياً ، ولا قياساً نطمئن اليه ، يمنع من تحديد الربح مقدماً ، مادام هذا التحديد قد تم باختيار الطرفين ، ورضاهما المشروع . إذ المقياس في الحرمة والحل ليس التحديد أو عدم التحديد ، وإنما المقياس هو خلو المعاملات من الغش ، والغرر ، والظلم ، والربا ، وغير ذلك مما حرمه الله تعالى . فمتى خلت المعاملات من هذه الرذائل كانت حلالاً ، ومتى دخلها شيء من تلك الرذائل كانت حراماً .

وقد يقال : كيف تحدد البنوك الأرباح أو العوائد مقدماً لمن تأخذ منهم الأموال ولمن تعطيتهم الأموال ، ألا يجوز أن تحدث خسائر لأحد الطرفين ؟

والجواب سهل وميسور وهو : اذا أثبت أحد الطرفين أن هناك خسارة حدثت له لأسباب واضحة وخارجة عن إرادته ، ورفع أمره الى الهيئات القضائية ، وحكمت هذه الهيئات بأن هناك خسارة لأسباب خارجة عن إرادة أحد الطرفين ، فعلى صاحب المال من الطرفين أن يتحمل نصيبه من هذه الخسارة ، والذي يحدد هذا النصيب - أيضاً - هي الهيئات القضائية .

أما اذا رفع أحد الطرفين أمره الى القضاء ، مدعياً الخسارة ، وحكمت الهيئات القضائية ، بأن هذه الخسارة سببها الإهمال ، أو الانحراف ، أو الغش ، أو غير ذلك من الرذائل ، فصاحب المال ليس مسئولاً عن حماية المنحرفين والغشاشين ، ويجب أن يأخذ صاحب المال أرباحه كاملة غير منقوصة ، زيادة على رأس ماله .

ولا مانع شرعاً من أن ينص على ذلك في العقد الذى يكون بين صاحب المال ، وبين المستثمر لهذا المال .

ولقد سبق أن قلت وأقول : ان تحديد الأرباح مقدماً بالنسبة للبنوك واجب ، حماية لأصحاب الأموال ، وصيانة لهم من أن يصبحوا تحت رحمة العاملين في البنوك ، ان شاءوا أعطوهم وإن شاءوا قالوا لهم : لم يرزق الله بشيء من الربح .

ولو صدر قانون يحظر على البنوك أن تحدد الأرباح مقدماً ، لكانت دار الافتاء المصرية أول من يعارضه ، صيانة لأموال الناس ، وحرصاً على أن يعرف كل انسان حقه مقدماً ، وبذلك تنضبط الأمور ، ويشعر كل صاحب مال بأن أمواله مصونة .



## السؤال الثالث

هل البنوك الإسلامية إسلامية حقاً ؟ أم أنها تتستر وراء الإسلام لممارسة نفس أنشطة البنوك التجارية أو ما هو أسوأ بأن ينصب جهدها أساساً على المضاربة على العملة ، والمعادن النفيسة ، والإقراض بمعدلات فائدة ربوية أعلى ؟

● وللإجابة عن الشطر الأول من السؤال أقول : كون البنوك الإسلامية إسلامية حقاً ، أو أنها تتستر وراء الإسلام ... لا يحكم عليها بالأقوال ، ولكن بما تجر به من معاملات .

فإن كانت هذه البنوك الإسلامية ، تطبق الأحكام الشرعية في معاملاتها ، كانت إسلامية حقاً . وإن كانت لا تفعل ذلك ، لم تكن إسلامية . فمثلاً إذا قالت هذه البنوك إن معاملتنا إسلامية ، لأننا لا نحدد الأرباح مقدماً ، وغيرنا بنوك ربوية لأنها تحدد الأرباح مقدماً .

قلنا لهم إن تحديد الأرباح مقدماً بالنسبة للبنوك بصفة خاصة ، لا علاقة له بالحل والحرمة وإنما تكون المعاملات حلالاً وأرباحها حلالاً ، متى خلت من الغش ، والظلم ، والخداع ، والاستغلال ، وغير ذلك مما حرمه الله تعالى وتكون حراماً متى دخلها شيء من تلك الرذائل .

أما تحديد الربح مقدماً فلا مانع منه شرعاً ، متى تم هذا التحديد بالتراضي المشروع بين الطرفين ، والذي لا إيجاب فيه ولا إكراه .

وقد فصلنا القول في ذلك في الإجابة عن السؤال رقم ٢ .

أما مسألة المضاربة على العملة والمعادن النفيسة ، فكل ما أعلمه ان المضاربة معناها بإيجاز ، أن يقدم إنسان يملك المال ولا يحسن العمل ، مبلغاً من المال إلى إنسان آخر يحسن العمل ولا يملك المال ، لكي يستثمره له ، على أن يكون الربح بينهما مناصفة أو أكثر أو أقل .

والمضاربة - بهذه الصورة - من المعاملات التي أباحتها شريعة الإسلام ، وقد عمل بها في الجاهلية ، وجاءت شريعة الإسلام فأقرتها ووضعت لها الضوابط والشروط التي تنظمها .

والحكمة فى مشروعيتها : التيسير على الناس ، وتبادل المنافع بين من يملك المال ولا يحسن العمل ، وبين من يحسن العمل ولا يملك المال .

فإن كان هذا هو مقصود السائل من قوله المضاربة على العملة والمعادن النفيسة ، فهى حلال . أما الإقراض بمعدلات فائدة ربوية فهى حرام .

## السؤال الرابع

ما هو رأى الإسلام فى شهادات الاستثمار ، وشهادات الدخل الثابت ، والسندات المالية التى تصدرها الدولة والبنوك ؟

● شهادات الاستثمار - كما جاء فى خطاب السيد / رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى إلى - هى نوع من أنواع المنحدرات ، عهدت الحكومة للبنك الأهلى المصرى باصدارها ، للمساهمة فى دعم الوعى الاىخارى ، وتمويل خطة التنمية ، وقد صدرت طبقاً للقانون رقم ٨ لسنة ١٩٦٥ . وتستخدم حصيلة شهادات الاستثمار ، فى تمويل مشروعات التنمية المدرجة فى الميزانية ، وتؤدى لوزارة المالية ، التى تتحمل دفع العوائد التى تدرها شهادات الاستثمار لأصحابها ، بالإضافة الى كافة التكاليف المتعلقة بها .

وقد أبدت دار الافتاء المصرية فى سبتمبر ١٩٨٩ م رأياً فى الحكم الشرعى بالنسبة للتعامل فى شهادات الاستثمار ، وانتهت الى انها حلال والأرباح التى تترتب عليها حلال ، مادام المتعامل فيها يقصد توكيل البنك فى أن يستثمر له أمواله فيما أحله الله ، وفيما يعود على أمته بالخير ، وفى الوقت نفسه هو راض بما حدده له البنك من أرباح .... ونحب أن نذكر جانباً من أقوال الفقهاء فى هذه المسألة فنقول :

فى سنة ١٩٧٦ عقدت لجنة البحوث الفقهية برئاسة فضيلة الشيخ محمد فرج السنهورى - رحمه الله - عدة اجتماعات لبيان الحكم الشرعى فى التعامل فى شهادات الاستثمار ، وكانت هذه اللجنة مكونة من ثلاثة عشر عالماً ، ذكرت أسماءهم فى كتابى « معاملات البنوك وأحكامها الشرعية » ص ١٧٨ .

وكانت قرارات هذه اللجنة بالأغلبية أن شهادات الاستثمار المتعامل فيها حلال ، والأرباح التى تترتب عليها حلال .

فقد قال فضيلة الشيخ يس سويلم - عضو هذه اللجنة - لقد كونت رأياً فى الموضوع ملتزماً بخطة مجمع البحوث الإسلامية فى البحث الفقهى وخلصته :

- أن المعاملة في شهادات الاستثمار معاملة حديثة لم تكن موجودة عند الفقهاء السابقين .  
- أن المعاملة في شهادات الاستثمار يقوم الأفراد فيها بدفع الأموال وتقوم الدولة باستثمارها .

- كل معاملة استثمارية هذا شأنها ، يطبق عليها الأصل التشريعي العام ، وهو : أن الأصل في المنافع الإباحة ، وفي المضار التحريم .

- وجه تطبيق هذا الأصل التشريعي السابق على المعاملة في شهادات الاستثمار : أنها معاملة نافعة للأفراد الذين يدفعون الأموال ، ونافعة للدولة - أيضا - التي تقوم باستثمار هذه الأموال ، وليس فيها ضرر أو استغلال من أحد الطرفين للآخر .

- بناء على ذلك تكون المعاملة في شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة مباحة شرعاً .

وقال فضيلة الشيخ عبد العظيم بركة - عضو اللجنة - إن الشهادات ذات الجوائز « حرف ج » المال المدفوع فيها قرض ، حيث انتقل المال المدفوع فيها الى ملك البنك ، وأنها جائزة شرعاً ، بل هي مندوبة ، وإن الجائزة لمن تخرج له القرعة يعتبر أخذها حلالاً ، لأنها هبة من البنك أو الدولة لصاحب رأس المال ، وقبول الهبة مندوب ، وردها مكروه .

وأما شهادات الاستثمار « حرف أ ، ب » فالتعامل فيهما من باب المضاربة الصحيحة ، لأن العائد في كل منهما مشترك بين صاحب المال والعامل ، والتعامل في هذين النوعين حلال وجائز شرعاً ، حيث أن المصالح فيه متحققة ، والمفاسد متوهمة ، والأحكام لا تبني على الأوهام .

وأن ما اشترطه الفقهاء لصحة المضاربة ، من أن يكون الجزء المخصص من الربح لكلا الطرفين مشاعاً ، كالنصف أو الثلث - مثلاً - كان من أجل ألا يحرم أحد الطرفين من الربح إذا تحدد الجزء الذي يأخذه أحدهما بخمسة أو عشرة - مثلاً - فقد لا يربح غيره ، فيحرم الطرف الآخر .

والأمر هنا يختلف عن ذلك ، لأن هذه المشروعات مبنية على قواعد اقتصادية مضمونة النتائج . وما يأخذه صاحب المال من الربح بنسبة معينة من رأس المال قدر ضئيل بالنسبة لمجموع الربح الذي تدره المشروعات التي استثمرت فيها هذه الاموال ، فكلا الطرفين استفاد ، وانتفى الاستغلال والحرمان .

وقال فضيلة الدكتور محمد سلام منكور - عضو اللجنة - : « إن التعامل في شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة ، معاملة حديثة ، ولا تخضع لأي نوع من العقود المسماة ، وهي معاملة نافعة للأفراد والمجتمع ، وليس فيها استغلال من أحد طرفي التعامل للآخر ، والأرباح

التي يمنحها البنك ليست من قبيل الربا ، لانقفاء جانب الاستغلال ، وانقفاء احتمال الخسارة ، .

وقال صاحب المنار الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - خلال تفسيره لقوله تعالى :  
﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ  
الْمَسِّ ﴾ (١)

قال فضيلته : « ولا يدخل فيه أى : فى الربا - من يعطى آخر مالا يستغله ، ويجعل له من كسبه حظا معيناً ، لأن مخالفة قواعد الفقهاء فى جعل الحظ معيناً - قل الربح أو كثر - لا يدخل ذلك فى الربا الجلى المركب المخرب للبيوت ، لان هذه المعاملة نافعة للعامل ولصاحب المال معاً ... » (٢)

وقال فضيلة الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - خلال حديثه عن حكم أرباح صندوق التوفير :

« والذى نراه تطبيقاً للأحكام الشرعية والقواعد الفقهية السليمة ، أن أرباح صندوق التوفير حلال لا حرمة فيها ، وذلك لأن المال المودع لم يكن ديناً لصاحبه على صندوق التوفير ، ولم يقترضه صندوق التوفير منه ، وإنما تقدم به صاحبه إلى مصلحة البريد من تلقاء نفسه طامعاً مختاراً ، ملتمساً منها أن تقبله منه ، وهو يعرف أن المصلحة تستغل الأموال المودعة لديها فى معاملات تجارية ، يندر فيها - ان لم ينعدم - الكساد والخسران » (٣) .

وكتب فضيلة المرحوم الشيخ على الخفيف بحثاً بعنوان : « بحث فى حكم الشريعة على شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاث ، تطبيقاً للقواعد الفقهية العامة ، والأصول الشرعية للمعاملات ، .

وكتبه فضيلته فى كتاب : « بحوث اقتصادية وتشريعية » الذى صدر عن مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م . من ص ١١٧ الى ص ١٤٥ . وقد انتهى فيه فضيلته إلى أن التعامل فى شهادات الاستثمار جائز شرعاً ...

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ١١٦ .

(٣) الفتاوى ص ٣٢٣ .

وفى نفس الكتاب كتب فضيلة المرحوم الشيخ يس سويلم بحثاً بعنوان : « حكم الإسلام فى أرباح شهادات الاستثمار ، وودائع صناديق الادخار » من ص ٢٥٣ الى ص ٢٦٥ وقد انتهى فيه إلى نتائج منها :

« أن أخذ الأرباح الحاصلة من شهادات الاستثمار ، وودائع صناديق الادخار جائز شرعاً ... » .

وقال فضيلة الدكتور أحمد شلبى فى كتابه : « الاقتصاد فى الفكر الإسلامى » ص ١٠٨ وما بعدها ، فى بحث له عن « شهادات الاستثمار » :

« هذه المعاملة لا تحارب التجارة والصناعة ، بل على العكس ، تستغل حصيلتها فى تنشيط التجارة والصناعة والعمران الذى تقوم به الدولة ، فتحصل على الأرباح المباشرة من هذه المشروعات ، وغير المباشرة من الضرائب التى تجمعها نتيجة النشاط الاقتصادى .

وعلى هذا فشهادات الاستثمار ، وإيداع الناس أموالهم ليس قرضاً ، وبالتالي ليس رباً ، وإنما هو نوع من المعاملات المباحة » .

هذه خلاصة لأقوال الفقهاء الذين قالوا بأن التعامل فى شهادات الاستثمار حلال ، وأن الأرباح التى تترتب عليه حلال ...

أما الذين قالوا بأنها غير جائزة شرعاً فحجتهم : أن تحديد الربح مقدماً زمنياً ومقداراً يجعلها مضاربة فاسدة ، لأنه قد تحدث خسارة للبنك .

وقد أجاب الذين يقولون بالجواز : بأن تحديد نسبة الربح مقدماً لا بأس به مادام هذا التحديد بالتراضى المشروع ، وإذا حكمت الهيئات القضائية بأن البنك قد خسر لأسباب خارجة عن إرادته فعلى صاحب المال أن يتحمل نصيبه من الخسارة .

وفضلاً عن ذلك فنحن لا نقول بأن التعامل فى شهادات الاستثمار من باب المضاربة ، وإنما هو من باب المعاملات المستحدثة التى لم تكن موجودة فى العهود السابقة ، ومادامت نافعة للأفراد والجماعات ، ولا يوجد فيها شيء من الغش أو الظلم أو غيرهما مما حرمه الله تعالى فهى حلال والأرباح التى تترتب عليها حلال .

ولقد قلنا فى فتوانا التى أصدرناها سنة ١٩٨٩ عن حكم التعامل فى شهادات الاستثمار : إن دار الافتاء المصرية ترى أن المعاملات فى شهادات الاستثمار ، وفيما يشبهها من معاملات كأرباح صناديق التوفير جائزة شرعاً ، وأن أرباحها كذلك حلال ، وجائزة شرعاً .

ونختار أنها معاملة مستحدثة ، نافعة للأفراد وللمجتمع ، وليس فيها استغلال من أحد طرفي التعامل للآخر .

ونستطيع أن نقول بأن كل معاملة ، خلت من الغش والغرر والظلم ومن كل ما حرمه الله تعالى هي حلال وكل ما يترتب عليها من أرباح حلال .

وأن كل معاملة صاحب المال يعطى فيها ماله لغيره على سبيل الوكالة ليستثمره له فيما أحله الله ، ولم يعطه له على سبيل القرض أو الدين ، ويأخذ في مقابل ذلك من المستثمر للمال ربحاً معيناً يتفقان عليه اتفاقاً لا إكراه فيه ولا إجبار ، فهي حلال وأرباحها حلال . وبالله التوفيق .

## السؤال الخامس

أعمال التأمين على الحياة ، ومختلف أنواع التأمين الأخرى هل هي من الإسلام ؟

● موضوع « التأمين » بأنواعه المختلفة ، وصوره المتعددة ، من الموضوعات التي كتبت فيها مؤلفات ، وألفت بحوث منذ عشرات السنين ، وقد اختلفت بشأنه الآراء اختلافاً كبيراً .. ومن بين العلماء الذين كتبوا في هذا الموضوع كتابات موسعة ، فضيلة المرحوم الشيخ على الخفيف ، وقد نشر ما كتبه عن هذا الموضوع في مجلة « الأزهر » المجلد ٣٧ لعام ١٩٦٥ ، في سبع مقالات ضافية .

كذلك ألف الدكتور محمد البهى - رحمه الله - كتاباً بعنوان : « نظام التأمين فى هدى أحكام الإسلام ، وضرورات المجتمع المعاصر » .

ومن العلماء الذين جمعوا ما كتب حول هذا الموضوع ، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى - رحمه الله - فى بحث مطول ، نشر فى كتاب « المؤتمر السابع » لمجمع البحوث الإسلامية الذى عقد سنة ١٩٧٢ .

وقد نشر هذا البحث من ص ١٤٧ الى ص ٢٠٢ .

وقد كان قرار مجمع البحوث المنعقد ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م بشأن التأمين ما يلى :

- التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية ، يشترك فيها جميع المستأمنين ، لتؤدى لأعضائها ما يحتاجون اليه من معونات وخدمات ، أمر مشروع ، هو من التعاون على البر .

- نظام المعاشات الحكومى ، وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعى المتبع فى بعض الدول ، ونظام التأمينات الاجتماعية ، المتبع فى دول أخرى ، كل هذا من الأعمال الجائزة .

- أما أنواع التأمينات التى تقوم بها الشركات - أياً كان وضعها - مثل التأمين على الحياة وما فى حكمه ... فقد قرر المؤتمر الاستمرار فى دراستها ، بواسطة لجنة جامعة لعلماء



الشرعية ، وخبراء اقتصاديين واجتماعيين .. ( راجع كتاب المؤتمر السابع لمجمع البحوث :  
بحوث اقتصادية وتشريعية ، سنة ١٩٧٢ ص ١٤٨ ) .

ومنذ ذلك التاريخ وقبله ، والعلماء يكتبون حول هذا الموضوع ، فمنهم المؤيدون لعقود  
التأمين ، ويرون أنها حلال ، ومنهم الممانعون المعارضون .

وعلى رأس الذين بحثوا أنواع التأمين المعروفة ، وبين طبيعتها ومفاهيمها ، وذهب الى  
جوازها جميعاً ، عن طريق الاستنباط ، ورد شبه من يخالفون ذلك ، فضيلة المرحوم على  
الخفيف ، فى بحثه الذى أشرنا اليه من قبل .

ومن المؤيدين أيضاً لجواز عقود التأمين فضيلة المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف . فقد  
قال فى بحث له نشر فى مجلة لواء الإسلام - عدد رجب عام ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م : « عقد  
التأمين على الحياة ، عقد صحيح نافع ، للمشاركين وللشركة والمجتمع ، وهو ادخار وتعاون  
من أجل مصلحة المشترك ، ومصلحة ورثته ، حين تفاجئه منيته ، والشرعية إنما تحرم  
المضار ، وما ضرره أكبر من نفعه » .

وقال فضيلة المرحوم الدكتور محمد البهى فى كتابه : « نظام التأمين فى هدى أحكام  
الإسلام ... » بعد كلام طويل انتهى فيه الى « أنه لا محذور فى شىء من أنواع التأمين ، وأنه  
يقوم على التكافل والتعاون ، وعلى المضاربة والاسترباح ، وعلى سد حاجة الضعيف ، وعلى  
دفع الملمات ، وعلى افساح مجال العمل للقادرين عليه وعلى التوسعة على أصحاب الكسب  
اليسير » .

ثم قال : « أيكون ذلك حراماً فى مجتمع لم يعد يعرف فيه الجار جاره ، ولم يعد يحس قويه  
بضعيفه .. » .

أما الممانعون والمعارضون لعقود التأمين فمنهم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه  
الله - فقد كتب فى الأهرام الاقتصادى عام ١٩٦١ ، بحثاً حول هذا الموضوع انتهى فيه الى  
أن « المذاهب الإسلامية القائمة لا يوجد من العقود التى تجيزها ما يتشابه مع عقد التأمين ، أياً  
كان نوعه ، والى أن قاعدة أن الأصل فى العقود الإباحة ، لا تكفى لإباحة التأمين لاشتماله على  
أمور غير جائزة هى : الغرر ، والقمار ، وأنه عقد لا محل له .. والى أنه لا يوجد عرف يسوغ  
هذا العقد ... » .

والذى نراه بالنسبة لعقود التأمين انها متنوعة ، ويجب أن يؤخذ كل عقد على حدة ، وأن  
يدرس دراسة شرعية وافية ، فإذا كان خالياً من الغش ومن الغرر ، ومن الربا ، ومن كل  
ما حرم الله تعالى كان حلالاً ، وإذا كان فيه شىء من تلك الرذائل كان حراماً ، ودار الافتاء  
المصرية على استعداد لدراسة هذه العقود والحكم عليها . ونحن نميل الى الآراء التى تسائر  
مصالح الناس ، وتيسر عليهم أمور معاشهم ، فى حدود ما أحله الله تعالى لعباده .

## السؤال السادس

هل يتفق نظام الضرائب الحديث مع الإسلام؟ وهل يغني دفعها عن الزكاة؟

● نعم يتفق نظام الضرائب الحديث مع أحكام شريعة الإسلام ، مادامت هذه الضرائب تجمع ممن يجب عليهم دفعها بطريقة عادلة ، ومادامت هذه الضرائب تنفق فيما أحله الله تعالى ، وفيما يعود على الأمة بالخير والنفع والرقى والتقدم ، كإنشاء المعاهد العلمية ، والمشروعات الزراعية والصناعية والتجارية والصحية ، وغير ذلك من المرافق التي لا غنى للأمة عنها .

وقد أجمع العلماء على أن من حق ولى الأمر - بعد استشارة أهل الخبرة والعلم الثقة - أن يفرض من الضرائب على الأغنياء والقادرين ، ما يكفي لسد الضرورات التي يحتاجها أفراد المجتمع ، وما يمنع من تزايد الأحقاد والصراعات بين أفراد الأمة .

ولا يغنى جمع الضرائب من القادرين والأغنياء ، عن أداء الزكاة ، لأن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، وقد حدد الله تعالى مصارفها ، كما فصل النبي - ﷺ - أحكامها ومقاديرها .

ففى الحديث الشريف : « بنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يأخذ الزكاة من المسلمين الذين يملكون نصابها فقال :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (١)

أى : خذ - أيها الرسول الكريم - من أموال الأغنياء الذين يملكون الزكاة ، صدقة مفروضة هى الزكاة ، أو غير مفروضة وهى الصدقة المطلقة على سبيل التطوع ، فإن فى هذا الأخذ تطهيراً لقلوبهم من البخل والشح والطمع ، وتزكية لنفوسهم من القسوة ، وتنمية لأموالهم ، إذ « ما نقص مال من صدقة » .

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

وقد أنذرت شريعة الإسلام الذين لا يؤدون زكاة أموالهم بسوء المصير :

قال تعالى :

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢)

ومعنى « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » سيجعل ما بخلوا به من مال طوقاً من نار يكون فى أعناقهم .

والخلاصة أن الزكاة إنما هى حق لله تعالى ، تصرف فى مصارفها التى حددها ، أما الضرائب فهى حق المجتمع ، يجمعها الحاكم ممن تجب عليه ، وينفقها فى مصالح الأمة .

---

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٠

## السؤال السابع

ما مدى حق الدولة الإسلامية الغنية في :

- ١ - ان تستثمر أموالها في دول غير إسلامية ، بدلا من استثمارها في الدول الإسلامية الفقيرة ، وعلى أسس تجارية ؟
- ٢ - أن تقدم معونات ومساعدات ضخمة لدول غير إسلامية ، في حين أن هناك دولاً إسلامية أشد حاجة إليها ؟

● وللإجابة عن السؤال الأول نقول بإيجاز : المال شقيق الروح ، وقد أوجده الله تعالى في يد الإنسان ليستعمله في الوجوه المشروعة ..

ومن أهم ألوان الوجوه المشروعة لإنفاق المال : أن يستثمره صاحبه في الدول الإسلامية الفقيرة ، التي يؤدي استثماره له فيها ، الى نشر العلم ، والتقليل من البطالة ، والارتقاء بالزراعة والصناعة والتجارة ، والمساهمة في إزالة الفقر والجهل والمرض . وإذا تعمد المسلم أن يستثمر أمواله في دول غير إسلامية ، وأن يترك الدول الإسلامية الفقيرة ، يكون مخطئا ويكون مرتكبا لما نهت عنه شريعة الإسلام ، لأن شريعة الإسلام تحتم على المسلم أن يكون مع أخيه المسلم كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضا ، وأن يتعاون معه على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

وهذا لا يمنع من أنه من حقه أن يستثمر أمواله في أى مكان ، مادام هذا الاستثمار لا يعود بمضرة على أمته الإسلامية ، ومادامت تلك الدولة غير الإسلامية تحافظ على أموال الناس وتحترمها ، ولا تصادرها بالظلم وبالباطل .

● وللإجابة عن السؤال الثانى نقول : هناك قاعدة شرعية توجب تقديم الأهم على المهم ، وهذه مسألة تقديرية يدركها العقلاء إدراكا سليما . والأصل في المساعدات أن تقدم لأشد الناس حاجة إليها ، ثم لمن هم أقل منهم وهكذا ..

ولا شك ان الدول الإسلامية التي تقدم مساعدات ضخمة لدول غير إسلامية ، وتترك دولاً إسلامية أخرى أشد حاجة من سابقتها ..

لا شك ان الدولة التي تفعل ذلك تكون مخطئة في حق دينها وفي حق إسلامها ، خصوصاً إذا كان ما تفعله سببه الهوى ، وعدم تحرى العدل ، والقصد الى تحقيق مصالح سياسية أو شخصية ، تتنافى مع قواعد الدين ، ومع مكارم الأخلاق ..

## السؤال الثامن

ما هو رأى الإسلام فى الاحتكار ، سواء بواسطة الدولة أو الأفراد ، وهل وضع الإسلام قواعد واضحة لتحديد الربح المعقول فى مجال الصناعة والتجارة والمال ؟

● الاحتكار معناه : أن يجمع الانسان أطعمة معينة ، أو أشياء معينة ، ويقوم بحبسها ومنعها من التداول بين الناس ، لكى يبيعهما بأثمان مرتفعة ، يترتب عليها إلحاق الأذى بالناس ، واصابتهم بما يضرهم ويقلق أمنهم .

وبعض العلماء يرى أن الاحتكار لا يكون إلا فى الأطعمة وما يشبهها ، لأنها تتعلق بما لا غنى للناس عنه .

وبعضهم يرى أن الاحتكار يكون فى أى شىء يحبسه انسان ، ويمنعه عن غيره ، مع أن هذا الغير فى حاجة ضرورية اليه .

وحكم الاحتكار أنه حرام ، لأنه منع لما يحتاج الناس اليه ، من أجل منفعة خاصة بوسيلة فيها ما فيها من الاستغلال والطمع .

وقد وردت فى التحذير من الاحتكار أحاديث متعددة ، منها ما جاء فى الحديث الصحيح ، أن النبى ﷺ قال : « من احتكر فهو خاطيء » أى : فهو مرتكب لخطيئة عظيمة ، وسينة كبيرة ، تؤدى به الى غضب الله تعالى عليه .

وفى حديث آخر يقول ﷺ : « من احتكر الطعام أربعين ليلة ، فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه » .

وفى حديث ثالث يقول ﷺ : « بئس العبد المحتكر ، إن سمع برخص أساءه ، وإن سمع بغلاء فرح » .

وفى حديث رابع قال ﷺ « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون » .

والمقصود بالجالب : التاجر الذى يأتى بالسلع من مكان الى آخر ليبيعه للناس بسعر مناسب .  
أما المحتكر فهو الذى يشتري هذه السلع بسعر رخيص ، ثم يجبسها مع حاجة الناس اليها لكي  
يبيعهما بسعر مرتفع ، يتحقق معه الجشع والطمع .

ولا فرق بين أن يكون الاحتكار بواسطة الدولة أو بواسطة الأفراد .

أما ما يتعلق بالربح فليس هناك ما يدل على تحديده فى مجال من المجالات ، مادام هذا الربح  
قد أتى بطريق مشروع ، وتم بالتراضى المشروع بين الطرفين ، ولم يكن فيه ما يدل على  
الاستغلال أو الظلم أو الغش ، أو غير ذلك مما تأباه شريعة الإسلام ، شريعة العدل والتراحم  
والسماحة .





# الإسلام والسياسة

الدكتور  
محمد عمارة

- مفكر وكاتب إسلامي .
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- حاصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وقبل ذلك حصل منها على درجتى الليسانس والماجستير .
- حاصل على جائزة الدولة التشجيعية وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٧٧ .
- شارك ببحوثه في مؤتمرات وندوات إسلامية دولية عقدت في إيطاليا وقبرص والجزائر ولبنان والعراق والكويت .
- له أكثر من ٨٠ كتابا ترجم بعضها للغات الإنجليزية والألمانية والإسبانية والروسية ، منها : أزمة الفكر الإسلامي المعاصر ، تيارات الفكر الإسلامي ، مسلمون ثوار .



## السؤال الأول

معظم بلدان العالم ، بما فى ذلك دول إسلامية كثيرة ، تأخذ بنظام الأحزاب السياسية ، فهل يتفق ذلك مع الإسلام ؟ وهل يمكن أن تقوم الأحزاب على أسس طائفية ودينية ؟

● « الحزب السياسى » :- فى الاصطلاح المعاصر - يطلق على « مجموعة من المواطنين ، يؤمنون بأهداف سياسية وفكرية - ( ايدولوجية ) - مشتركة ، وينظمون أنفسهم ، بهدف تحقيق أهدافهم وبرامجهم ، بالسبل التى يرونها محققة لهذه الأهداف ، بما فيها الوصول إلى السلطة فى المجتمع الذى يعيشون فيه » (١) ..

وكثيرون من الناس يظنون أن تبلور الأفكار والايديولوجيات السياسية فى أحزاب منظمة ومتعددة ، هى ظاهرة من الظواهر التى تميزت بها الحضارة الغربية قبل غيرها ، وأن أمم الحضارات الأخرى قد اخذتها عن الغربيين .. وإذا كانت الجزئية الأخيرة - وهى أخذ الشعوب غير الغربية ظاهرة التعددية الحزبية عن الغرب - صحيحة ، فإن السبب فى ذلك هو تأثير النهضات الحديثة لهذه الشعوب بالنموذج الحضارى الغربى ، بسبب التأثير والهيمنة الغربية الحديثة والمعاصرة على حضارات تلك الشعوب .

أما فيما يتعلق بتاريخ وأصالة ظاهرة التعددية الحزبية فى الفكر والعمل السياسى ، فإنها - وعلى الأخص فى النموذج الحضارى الإسلامى - قديمة وعريقة .. وسابقة على معرفة الغرب لها بقرون .

ذلك أن « مشروعية » التعددية السياسية فى النظرة الإسلامية ، إنما تتأسس على « مشروعية » التعددية بإطلاق . والإسلام يرى التعددية سنة من سنن الله ، سبحانه وتعالى ، فى كل ما عدا الذات الإلهية ، فالواحدية هى الله وحده ، وما عداه قائم على التعددية ، والازدواج ، والتوازن ، والارتفاق .

( ١ ) انظر ( موسوعة السياسة ) - مادة « حزب سياسى » - المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ١٩٨١ م .

ففى اللغات والاجناس والاقوام والشرائع والافكار تعددية

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ السِّنِّكَرِ وَالْوَنِّكَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَرُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣)

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآءِ اتَّقِ كَ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهَ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (٥)

فالتعددية والاختلاف هى القاعدة والأصل ، وهى سنة الله ، سبحانه وتعالى ، فى الخلق المادى ، وفى الاجتماع البشرى ، وفى الآراء والافكار . والمفسرون فى تفسيرهم لقوله سبحانه ﴿ ولذالك خلقهم ﴾ يقولون : « وللاختلاف خلقهم » (٦) !

ويزكى التعددية فى النظرة الإسلامية - والاحزاب السياسية جزئية من جزئياتها وفرع من أصلها - قاعدة ومبدأ وأصل وواجب وضرورة « الحرية » بالنسبة للإنسان . فالحرية فطرة فطر الله الإنسان عليها ، وهى - الحرية والاختيار - السبب فى التكليف ، فهى الامانة التى حملها الإنسان ، بعد أن أبت حملها السموات والأرض والجبال . فكل ما عدا الإنسان يسبح بحمد الله

( ٢ ) سورة الروم : الآية ٢٢

( ٣ ) سورة الحجرات : الآية ١٣

( ٤ ) سورة المائدة : الآية ٤٨

( ٥ ) سورة هود : الآيتان ١١٨ ، ١١٩

( ٦ ) القرطبى ( الجامع لأحكام القرآن ) ج ٩ ص ١١٥ . طبعة دار الكتب المصرية .

طبعاً لا اختياراً .. أما الإنسان فهو الحر المختار . وإذا كان الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، فمن اختار مذهباً سياسياً فهذا الاختيار هو الإعمال لأصل الفطرة الحرة ، فإذا توافق مجموع من الناس على هذا المذهب ، وتواصوا بالعمل على نصرته وتطبيقه - من خلال تجمع - حزب - فهم على طريق إعمال أصل من أصول الفطرة الإنسانية ، فطرة الحرية .

على أن هناك ضوابط للتعددية .. وللحرية ، فى النظرة الإسلامية ..

ففى « الأصول » - أصول العقيدة والشريعة والاخلاق - هناك « وحدة » ، هى التى تحقق للأمة الإسلامية وحدتها عبر الزمان والمكان ، ضامنة لها وحدة الهوية والجوهر ، والتواصل الحضارى .

أما فى « الفروع » - التى تشمل تفاصيل العمران ومتغيرات السياسة والاحتماج والاقتصاد والنظم والتنظيمات .. فإن « التعددية » واردة . وفى إطار هذه « الفروع » يأتى الاجتهاد والتجديد ، لا كمجرد « حقوق » للإنسان ، بل « كفرائض » إلهية على هذا الإنسان .

فهناك مساحة « للوحدة » - وحدة الأمة فى « الأصول » - لا يجوز فيها الافتراق ، ولا التعددية ، ولا التحزب . وهناك مساحة « للتعددية » - تعددية الأحزاب والمدارس الفكرية والتيارات المذهبية - هى مساحة « الفروع » والمتغيرات ، سواء فى علوم الدين أو علوم الدنيا والعمران البشرى ، ومنها سياسة الدولة والمجتمعات .

وهذا الجمع الإسلامى بين « الأصول » التى لا افتراق فيها .. وبين « الفروع » التى هى مساحة للاجتهادات والتنوع والتيارات والأحزاب ، هو الذى يحقق « التطور استجابة لضرورات الزمان والمكان - مع الحفاظ على وحدة الأمة فى الهوية والتواصل الحضارى - أى الجمع بين الوحدة فى « الثوابت » والتعددية فى « المتغيرات » .

تلك اشارات إلى بعض من القواعد التى تتأسس عليها نظرة الإسلام للتعددية - ومنها تعددية الأحزاب السياسية .

أما من حيث مصطلح « الحزب » ، فى التراث الإسلامى ، فهو مصطلح معروف .. ولقد استخدم فى معرض التعبير عن أصحاب الفكر والاتجاه المتميز ، ممدوحاً كان ذلك الفكر أو مذموماً ، فكما أطلق القرآن على المشركين وصف « الأحزاب » .

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٧)

(٧) سورة الأحزاب : الآية ٢٢

فلقد اطلق المصطلح - « حزب » - على المجتمعين على النهج الإلهي

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٨)

ولقد كان المسلمون - فى صدر الإسلام - يسمون ، أحياناً ، « حزب محمد » ! . وفى الحديث الشريف ، يروى أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قوله : « يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً » قال أنس : « فقدم الأشعريون ، فيهم أبو موسى الأشعري ، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون ، يقولون :

غدا نلقى الأحبة  
محمدأ وحزبه(٩)

بل إن السورة القرآنية التى حملت اسم « الأحزاب » ، لم تتحدث فقط عن « احزاب الشرك » ، وإنما تحدثت عن نساء النبى ، ﷺ ، ورضى عنهن ، واللاتى جاء فى صحيح البخارى إطلاق لفظ الحزب على تجمعيين فى إطارهن .. فعن عائشة ، رضى الله عنها « أن نساء رسول الله كن حزبين ، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ، ﷺ ... !

فالمصطلح - مصطلح « الحزب » - ليس غريباً على تراث الإسلام .

وإذا نحن نظرنا إلى الحضارة الإسلامية ، التى مثلت العمران المصطبغ بصبغة الإسلام ، فإننا سنجد كل « الفرق » الإسلامية - من الخوارج ، إلى المعتزلة ، إلى الشيعة الامامية ، الى السلفية ، إلى الزيدية ، إلى المرجئة - إلخ .. إلخ .. قد نشأت جميعها نشأة سياسية ، وكانت تيارات وتنظيمات سياسية - أو كانت السياسة واحدة من ابرز مهامها وقسماتها - فهى « أحزاب » سياسية ، ذات مناهج فكرية متميزة ، وذات سبل متميزة فى الإصلاح الفكرى والسياسى (١٠) . وكذلك الحال - إلى حد ما - مع المذاهب الفقهية - حنفية .. ومالكية .. وشافعية .. وحنبلية .. وزيدية .. وجعفرية .. وإباضية .. وظاهرية - إلخ .. فجميعها تيارات فكرية ، ومدارس سياسية ، وأغلبها « تنظيمات » ، تبلورت مناهجها بالاجتهاد الجماعى ، وتميزت كل واحدة منها عن سواها برؤية فى الإصلاح - الفكرى والاجتماعى والسياسى - ومارست العمل لوضع هذا المنهاج فى الممارسة والتطبيق ..

( ٨ ) سورة المائدة : الآية ٥٦

( ٩ ) رواه الأمام أحمد

( ١٠ ) انظر كتابنا ( تيارات الفكر الإسلامى ) طبعة القاهرة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

بل إننا ننبه على أن بواكير التنظيمات الحزبية السياسية في تاريخنا الحديث ، إنما جاءت امتداداً لتراثنا المؤمن بالتعددية ، وليست تقليداً للنجربة الغربية ، فـ « الحزب الوطني الحر » الذى كونه جمال الدين الافغانى ( ١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ) - ( ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م ) بمصر - فى سبعينيات القرن التاسع عشر ، وكذلك « جمعية العروة الوثقى » - التى كونها فى ثمانينيات ذلك القرن الامام محمد عبده - وأيضاً « جمعية أم القرى » - التى كونها عبد الرحمن الكواكبي ( ١٢٧٠ - ١٣٢٠ هـ ) - ( ١٨٥٤ - ١٩٠٢ م ) أواخر القرن التاسع عشر ، هى تنظيمات حزبية سابقة - فى خبرات التنظيم التى جسدها لوائحها - على تجارب الغرب فى التنظيم الحزبى .. فهى امتداد لتراثنا فى التعددية السياسية والفكرية .. ولخبرات حضارتنا فى التنظيمات العلنية والسرية<sup>(١١)</sup>!؟ ..

فعلى حين عاشت الحضارة الغربية - قبل ليبراليتها الحديثة - تنكر التعددية - التعددية الدينية ، بل وحتى تعددية المذاهب داخل الدين الواحد !! - تميزت الحضارة الإسلامية بالإيمان بالتعددية ، كسنة من سنن الله فى الخلق ، المادى والبشرى والفكرى .. وتجسد إيمانها هذا فى الممارسة والتطبيق . وما غربة هذا الأمر - المؤسس على فطرة الحرية التى فطر الله الانسان عليها ، وعلى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و« الأمة » - الجماعة - الحزب - التى تسعى لإقامة هذه الفريضة -

﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١٢)</sup>

ما غربة هذا الأمر - الأصيل إسلامياً - على ذهن البعض ، حتى ظنوه « وافداً غريباً » ، إلا بفعل « الانقطاع » الذى أحدثه فى تاريخنا الحضارى عهد التراجع والانحطاط ، فبهذا « الانقطاع » . غابت عن عقلنا الحديث والمعاصر صلات وأنساب وجذور للأحزاب والتنظيمات السياسية فى ديننا الإسلامى وفى تراثنا الحضارى !.

أما عن موقف الإسلام من قيام الأحزاب السياسية على « أسس طائفية ودينية » ، فواجب - لجلء هذا الموقف - الإشارة الى عدد من الحقائق :

( ١١ ) انظر تقديمنا ( للأعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ) ص ١١٥ - ١٣٣ - فصل « التنظيم السياسى » - طبعة بيروت ١٩٧٩ م . وانظر لائحة « جمعية العروة الوثقى » فى الجزء الأول من تحقيقنا ( للأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ) ج ١ ص ٥٧٩ - ٥٨٥ طبعة بيروت ١٩٧٢ م .  
( ١٢ ) ( سورة آل عمران : الآية ١٠٤ )

- إن الإسلام ، فى المجتمعات ذات الاغلبية الإسلامية ليس فكراً « طائفياً » ، ولا أيديولوجية « طائفية » ، بل هو عقيدة الأمة وشريعته وأيديولوجياتها ، أو على الأقل هو فكر الجمهور .. فلا يصح أن يوصف الحزب الإسلامى بأنه - فى هذه المجتمعات ذات الاغلبية الإسلامية - حزب طائفى .

- وأن الممنوع إسلامياً هو التحزب والتفرق فى أصول الدين وثوابته ، أما التعددية والحزبية فى السياسة ، فإنها تعددية وحزبية فى « الفروع » - وكل تيارات أهل السنة الفكرية تجعل الدولة - الخلافة والإمامة وال عمران البشرى - من « الفروع » - ومن ثم ، فالاجتهادات المتعددة ، والتنظيمات والاحزاب المتعددة بتعدد هذه الاجتهادات ، أمر وارد وطبيعى فى نظر الإسلام .

- فالاحزاب الإسلامية ، تقوم وتجتهد وتختلف فى « الفروع » ومن ثم ، فقيامها على أساس الايديولوجية والفكرية الإسلامية أمر طبيعى و وارد ..

- وأن الحزب « الطائفى » هو الذى تقتصر عضويته على طائفة من المواطنين دون سواها ، وهذا هو الذى يقسم المجتمع الى طوائف مغلقة ، وهو ما لا يحقق المصلحة المتبغاة من وراء قيام الأحزاب السياسية .. وهى مصلحة المشاركة فى العمل العام ، والاهتمام بشئون الأمة كلها ، والإسهام فى العمران البشرى جميعه .

وإذا كانت النصرانية ، مثلاً ، رسالة روحية ، تهتم بخلص الروح ، ومملكة السماء ، وتدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، وليس فيها نظام مدنى وشريعة للعمران الحياتى . وإذا كانت الأحزاب الإسلامية ، إنما تقوم وتتعدد وتتنافس فى إطار « الفروع » ، وفى نطاق « فكرية الأمة » ، فيجب أن تفتح عضوية الأحزاب الإسلامية لكل مواطن مؤمن ببرنامج هذه الأحزاب ، بصرف النظر عن عقيدته الدينية . إن الشريعة الإسلامية هى شريعة الأمة ، بل وشريعة الشرق كله . وإن فقه المعاملات الإسلامى هو إبداع فقهاء الأمة ، فى إطار مبادئ الشريعة ، وميراث كل الامة ، وهما - الشريعة .. والفقه ( القانون الإسلامى ) - ليسا بديلاً للنصرانية الشرقية ، وإنما هما بديلان للعلمانية الغربية وللقانون الغربى .. فالاحزاب المؤسسة لإقامتهما هى أحزاب قومية ، وليست طائفية وهذه الحقيقة يؤكدها أبو القانون المدنى الحديث الفقيه الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا ( ١٣١٣ - ١٣٩١ هـ ) - ( ١٨٩٥ - ١٩٧١ م ) عندما يقول : « إن المدنية الإسلامية هى ميراث حلال للمسلمين والمسيحيين واليهود من المقيمين فى الشرق ، فتاريخ الجميع مشترك ، والكل تضافروا على إيجاد هذه المدنية » (١٣) .

---

( ١٣ ) ( عبد الرزاق السنهورى من خلال أوراقه الشخصية ) إعداد : د . نادية السنهورى ، د . توفيق الشاوى - ص ١١٨ - طبعة القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .



وإذا كان من حق الإنسان - مسلماً أو غير مسلم - أن يكون له اجتهاد فيما هو موضوع للاجتهاد - أي فيما عدا الأصول الاعتقادية - وأن يقيم مع من يتفقون معه في هذا الاجتهاد جماعة أو جمعية أو حزبا ، للتعبير عن هذا الاجتهاد ، وللسعى لوضعه في الممارسة والتطبيق ، فليس من حق هذا الإنسان أن يجبر على الآخرين الانخراط معه في هذا الحزب الذي أقامه ما داموا آمنوا باجتهاده والنزموا بمنهاجه .. فالأحزاب المغلقة - دينية أو عرقية أو فئوية أو طبقية - لا تحقق مصلحة للأمة ، بل فيها ضرر محقق - بصرف النظر عن الدين أو العرق أو الفئة أو الطبقة ، وإنما يجب أن تكون الأحزاب مفتوحة الأبواب - العضوية - لكل مواطن ، بصرف النظر عن الانتماء الديني أو العرقي أو الطبقي .

وإذا رأى أبناء أقلية دينية أن في ديانتهم - سواء أكانوا مسلمين وسط أغلبية نصرانية ، أو نصارى وسط أغلبية مسلمة - أيديولوجية تقدم اجتهادا لإصلاح العمران السياسي والاجتماعي ، فإن لهم الحق - المؤسس على فطرة الحرية .. وعلى حق التفكير والتعبير والمشاركة في شئون الأمة - أن يقيموا لهم حزبا مسترشدا بهذه الايديولوجية التي يعتقدونها ، شريطة أن لا يحجروا على أحد مشاركتهم في هذا الطريق وهذا التنظيم الذي أقاموه .

## السؤال الثانى

الديمقراطية وتشكيل المجالس النيابية بالانتخاب ، هما أساس النظام السياسى المعاصر ، فهل هذا من الإسلام ، أم أن الإسلام له نهج آخر فى الحكم يحقق مصالح العباد ، وما هو ؟

● الديمقراطية Democracy نظام سياسى - اجتماعى - غربى النشأة ، عرفته الحضارة الغربية فى حقبتها اليونانية ، وطورته نهضتها الحديثة والمعاصرة - وهو يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأ المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة فى صنع التشريعات التى تنظم الحياة العامة ، وذلك استنادا الى المبدأ الفائل بأن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعية .. فالسلطة ، فى النظام الديمقراطى ، هى للشعب ، بواسطة الشعب ، لتحقيق سيادة الشعب ومقاصده ومصالحه<sup>(١)</sup> .

هذا عن « فلسفة » الديمقراطية ..

أما « النظام النيابى » الذى ينوب فيه نواب منتخبون عن الأمة ، للقيام بمهام سلطات التشريع ، والرقابة والمحاسبة لسلطات التنفيذ .. فهو من « آليات » الديمقراطية ، التى توسلت بها تجاربها عندما تعذرت « الديمقراطية المباشرة » التى تمارس فيها الأمة كلها ، وبشكل مباشر ، هذه المهام والسلطات ، توسلت بها إلى تحقيق مقاصد الديمقراطية .

وفى التساؤل حول موقف الإسلام من الديمقراطية ، وهل هو قابل لها بإطلاق ، أم رافض لها بإطلاق ؟ أم أنه قابل لها مع بعض التحفظات ؟ يحسن أن ننبه على أن الإسلام - فى الأمور الحياتية والنظم والآليات التى تحقق مقاصده وفلسفاته - ليس مغفلاً ضد كل ما هو « وافد » و« أجنبى » .. كما أنه ليس بالذى يقبل أى « وافد » دونما نظر واجتهاد .. وإذا كان الاجتهاد فريضة دينية فى الفكر الإسلامى ، فمن باب أولى أن يكون هذا الاجتهاد وارداً فى الفكر الديمقراطى؟! .

(١) انظر ( موسوعة السياسة ) - المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٨١ م /

وإذا كان البعض يضع « الشورى » الإسلامية بديلاً « للديمقراطية » ، فإن النظرة الإسلامية الموضوعية والفاحصه للعلاقة بين الشورى وبين الديمقراطية تنفى تناقضهما بإطلاق ، أو تطابقهما بإطلاق ، وتزكى التمييز بينهما ، على النحو الذى يكتشف مساحة الاتفاق ومساحة الاختلاف بينهما ..

فمن حيث الآليات والسبل والنظم التى تحقق المقاصد والغايات من كل من الديمقراطية والشورى ، فإنها تجارب وخبرات إنسانية ، ليس فيها ثوابت مقدسة ، عرفت التطور فى التجارب الديمقراطية ، وتطورها وارد فى تجارب الشورى الإسلامية ، وفق الزمان والمكان والملابسات .. والخبرة التى حققها تجارب الديمقراطية فى تطور الحضارة الغربية ، والتى أفرزت النظام النيابى ، والتمثيل عبر الانتخابات ، هى خبرة غنية وثروة إنسانية ، لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنها تطوير لما عرفته حضارتنا الإسلامية مبكراً ، من آليات « البيعة » وتجاربها .

أما الجزئية التى تفترق فيها الشورى الإسلامية عن الديمقراطية الغربية ، فإنها لا تكاد تعدو الخلاف حول :

لمن السيادة فى التشريع ابتداءً ؟؟

فالديمقراطية تجعل « السيادة » فى التشريع ابتداءً للشعب والأمة ، إما صراحة ، وإما فى صورة ما أسماه بعض مفكرها « بالقانون الطبيعى » ، الذى يمثل ، بنظرهم أصول الفطرة الانسانية .

« فالسيادة » ، وكذلك « السلطة » - فى الديمقراطية - ، هى للإنسان - الأمة والشعب -

أما فى الشورى الإسلامية ، فإن « السيادة » فى التشريع ابتداءً ، هى لله ، سبحانه وتعالى ، تجسدت فى « الشريعة » ، التى هى « وضع إلهى » ، وليست إفرازا بشريا ولا طبيعيا . وما للإنسان فى « التشريع » هى سلطة البناء على هذه الشريعة الإلهية ، والتفصيل لها ، والتقنين لأصولها ، والتفريع لكلياتها ، وكذلك لهذا الإنسان سلطة الاجتهاد فيما لم ينزل به شرع سماوى ، شريطة ان تظل « السلطة البشرية » محكومة بإطار الحلال والحرام الشرعى ، أى محكومة بإطار فلسفة الإسلام فى التشريع .

ولذلك ، كان الله ، سبحانه وتعالى ، فى الرؤية الإسلامية ، هو « الشارع » ، لا الإنسان . وكان الإنسان هو « الفقيه » ، لا الله . فأصول الشريعة ومبادئها وثوابتها وفلسفتها إلهية ، تتمثل فيها حاكمية الله ، والبناء عليها ، تفصيلاً وتنمية وتطويراً وتفريعاً واجتهاداً للمستجدات ، هو فقه وتقنين تتمثل فيهما سلطات الإنسان ، المحكومة بحاكمية الله .

ذلك ملمح متميز للشورى الإسلامية عن الديمقراطية الغربية .

ولهذا التميز صلة وثيقة بنظرة كل من الحضارتين - الغربية والإسلامية - لحدود تدبير الذات الالهية ، وحدود تدبير الإنسان ، ولل علاقة بين الإنسان وبين الله .

ففي النظرة اليونانية القديمة - وخاصة عند أرسطو ( ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م ) - نجد أن الله قد خلق العالم ثم تركه يعمل وفق طبائعه وقوانينه ، دون تدخل أو رعاية إلهية دائمة .

وهذه النظرة لحدود التدبير الإلهي وجدناها في النهضة العلمانية الغربية تعتمد على المبدأ الانجيلي الذي يجعل ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، فيفصل بين إطار التدبير الإلهي - الذي وقف عند « الخلق » - وبين إطار التدبير الإنساني - الذي أعطاه السيادة في تدبير العمران الدنيوي ، دونما قيود من الحاكمية الإلهية على هذه السيادة والسلطة البشرية .. ذلك أن الإنسان ، في هذه النظرة الغربية ، هو « سيد الكون » .. ومن هنا كانت له « السيادة » في التشريع مع « السلطة » في التنفيذ .

أما في النظرة الإسلامية ، فإن الله سبحانه وتعالى :

﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ (٢) ..

فتدبيره لم يقف ، فقط ، عند « الخلق » ، وإنما له ، أيضا « الأمر » ، المتمثل في « الشريعة » التي أنزلها لتكون إطاراً ، ودعا الإنسان إلى الالتزام بإطارها في هذه الحياة .

ولأن النظرة الإسلامية لمكانة الإنسان في الكون ، لا تجعل هذا الإنسان « سيداً للكون » ، وإنما تراه « خليفة » عن « سيد الكون » ، فلقد رأيت هذا « الخليفة » محكوماً ، في أدائه لأمانة الاستخلاف وعمارة الأرض ، ببنود عقد وعهد الاستخلاف ، التي هي « الشريعة الإلهية » ، فهو - بعبارة الإمام محمد عبده ( ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ) - ( ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م ) - : « عبد لله وحده ، وسيد لكل شيء بعده » !

إنه - الإنسان - في النظرة الإسلامية - : حر .. قادر .. مريد .. مستطيع .. في حدود أنه خليفة عن الله القادر بلا حدود ١٤ .

« فالسيادة » في التشريع ابتداء ، هي للحاكمية الإلهية ، المتمثلة في « الشريعة السماوية » ، وللإنسان في « التشريع » سلطة الفقه والتقنين ، شريطة ألا يخرج عن حدود الشريعة أو روحها وفلسفتها .

( ٢ ) سورة الأعراف : الآية ٥٤

تلك هي ، على وجه الحصر والتحديد ، الجزئية التي تتميز فيها الشورى الإسلامية عن الديمقراطية الغربية . أما ما عدا ذلك من تأسيس الحكم والسلطة على رضا الأمة ورأى الجمهور واتجاه الرأى العام ، وجعل السلطة فى اختيار الحكام ، وفى مراقبتهم ومحاسبتهم ، وفى عزلهم هى للأمة .. وكذلك اختيار الآليات والسبل النيابية لتكوين المؤسسات الممثلة لسلطات التقنين .. والتنفيذ والرقابة .. والقضاء .. فإنها على وجه الإجمال ، مساحة اتفاق بين الديمقراطية الغربية وبين الشورى الإسلامية .

وكذلك الحال مع مبدأ الفصل بين السلطات - سلطات التشريع والتنفيذ والقضاء - وهو المبدأ الذى تعارفت عليه الديمقراطية الغربية ، فإنه مما تقبله الشورى الإسلامية .. بل ربما ذهبت فيه تجربة الحضارة الإسلامية أبعد مما ذهبت التجارب الغربية .. فمن الممكن - فى الرؤية الإسلامية - تمييز سلطة الاجتهاد والتقنين عن سلطة أهل الحل والعقد - الذين يختارون السلطة التنفيذية ويراقبونها ويحاسبونها - وفى ذلك ما يجعل سيادة القانون فوق سلطة الدولة حقيقة وفعلاً .. لا كما هو الحال ، فى التجربة الديمقراطية ، التى آلت فيها سلطة التشريع للبرلمان المكون من أغلبية الحزب الحاكم ، والذى هو خاضع للسلطة التنفيذية ، « فالهيئة البرلمانية » لحزب الأغلبية منازرة للسلطة التنفيذية الى الحد الذى جعل سيادتها عليها اسمية إلى حد كبير ، أما استقلال سلطة خاصة بالاجتهاد والتقنين ، مع التزامها بحاكمية الشريعة الإلهية ، فهو الأقرب إلى مبدأ الفصل الحقيقى بين السلطات ، والأكثر تحقيقاً لسيادة القانون على بقية السلطات .

وهكذا رأينا انتفاء التضاد ، وانتفاء التطابق بين كل من الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية .. ورأينا كيف يتفان فى مساحات واسعة ، وخاصة فى الآليات والسبل والمؤسسات .. مع التمايز فى قضية « السيادة فى التشريع الابتدائى » .. التى جعلتها الديمقراطية الغربية للإنسان - صراحة ، أو تحت اسم « القانون الطبيعى » .. على حين جعلتها الشورى الإسلامية لله سبحانه وتعالى ، مع عدم حرمان الإنسان من حق التشريع والتقنين فى إطار حدود الشريعة الإلهية وروحها وكنياتها .

إن الشورى - فى حقيقتها - هى اسم من « المشاورة » .. والمشاورة : هى استخراج الرأى .. فهى - فى حد ذاتها - أدخل فى « الآليات » ، آليات استخراج الرأى ، وهى - بهذا الاعتبار - لا يمكن أن تكون نقيضاً لآليات الديمقراطية .. أما التمايز بينهما فإنه يأتى فى الموضوع الذى نُعمَلُ فيه هذه الآليات - وفى نطاق عمل هذه الآليات . فعلى حين لا تعرف الديمقراطية حدوداً إلهية لسلطات عمل وإعمال آلياتها .. تميز الشورى الإسلامية بين نطاقين من « الأمر » .. أمر هو لله .. أى تدبيره الذى اختص به سبحانه :

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

و« أمر » أى تدبير هو فى مقدور الإنسان ، وفيه تكون شورا

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾<sup>(٤)</sup>

ويحكم خلافة الإنسان عن الله سبحانه وتعالى ، فإن أمره .. وتدبيره ، - حاكميته الإنسانية -  
محكومة بإطار أمر الله ، وتدبيره ، ، التي هي حاكمية الله وحدود شريعته الإلهية ..

ففي المرجعية .. وفي الفلسفة .. وفي الحدود يرد التمايز بين الشورى والديمقراطية ..  
وليس في الآليات .. كما يرد التمايز في بعض المقاصد والغايات .. فالديمقراطية - كفكر وضعي  
وفلسفة دنيوية - لا تمد بصرها إلى ما هو أبعد من صلاح دنيا الإنسان ، بالمقاييس الدنيوية لهذا  
الصلاح ، على حين نجد الشورى ، كفريضة إلهية ، تربط بين صلاح الدنيا وسعادة الآخرة ،  
فتعطى الصلاح الدنيوي بعداً دينياً ، يتمثل في المعيار الديني لهذا الصلاح .

تلك هي أبرز وجوه الأشباه والنظائر .. وأهم الفروق بين الشورى الإسلامية والديمقراطية  
الغربية .

---

( ٣ ) سورة الشورى : الآية ٣٨  
( ٤ ) سورة آل عمران : الآية ١٥٩

## السؤال الثالث

كيف تحدد الشريعة مواصفات وسلطات رئيس الدولة وواجباته على نحو يمنع اساءة استخدامها؟ وماهى الضمانات التى تضعها لمنع قيام حكم ديكتاتورى؟

● فى القرآن الكريم آيتان أوجزتا حدود وطبيعة وضوابط العلاقة بين الحاكم والمحكوم . والخطاب فى أولى هاتين الآيتين يتوجه إلى الحكام :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>

فإذا نهض أولوا الأمر - ومنهم الحكام - بهذه التكاليف :- أداء الأمانات إلى أهلها ، أى النهوض بما فوضت إليهم الأمة من مهام واختصاصات ، لتعود ثمرات هذا التفويض على أصحاب المصالح الحقيقية ، أى الأمة التى فوضت لهم ذلك ، والتزموا العدل - بمعناه العام - فى النهوض بهذا التفويض ، إذا أدى أولو الأمر هذه الأمانات ، على هذا النحو العادل ، استحقوا بقاء التفويض ، أى طاعة الرعية للرعاة ، ولذلك جاءت الآية الثانية ، بمثابة جواب الشرط ، فوجهت الخطاب للأمة قائلة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾<sup>(٢)</sup>

( ١ ) سورة النساء : الآية ٥٨

( ٢ ) سورة النساء : الآية ٥٩

وفي هذه الآية الثانية نلاحظ معاني لها دلالات هامة :

- فالذى يكسب الأمة صفة « الايمان » - ( الذين آمنوا ) - هو الالتزام بالمرجعية الإسلامية - طاعة الله وطاعة الرسول ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) - وهى المرجعية المتمثلة فى البلاغ القرآنى ، وفى السنة التشريعية الصحيحة .

- وطاعة أولى الأمر - ومنهم الحكام - مشروطة بأن يكونوا من الأمة المؤمنة - ( منكم ) - ، - الملزمة بمرجعية وحاكمية القرآن والسنة ، فخرجهم عن هذا الالتزام يسقط بيعتهم ويلغى تفويضهم ويُجَلِّ الرعية من طاعتهم . وعن هذه الحقيقة من حقائق هذا التعاقد بين الحاكم والمحكوم جاءت عبارة الصديق أبى بكر ، رضى الله عنه ، فى أول خطاب له عقب البيعة له ، عندما قال : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم .. » (٣) .

- والمرجعية فيما يحدث من تنازع بين الحاكم والمحكوم هى للقرآن والسنة .

﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

ومنطقة التنازع هذه لا يمكن أن تكون إلا فى شئون العمران الدنيوى ، لأن فرائض الدين وعقائده وشعائره قد فصلها الوحي وبينتها السنة على النحو الذى لم يجعل التنازع فيها وارداً .

.. وعن هذه الحقيقة - فى تحديد المرجعية عند التنازع - جاء النص فى أول دستور لأول دولة إسلامية - الدستور الذى حكم دولة المدينة على عهد رسول الله ﷺ - والذى سُمى بـ « الصحيفة » و « الكتاب » - فنصت « مادته » السادسة والاربعون على :

« وأنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث ، أو اشتجار يُخاف فسادَه ، فإن مرده الى الله وإلى محمد رسول الله . وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره » (٤) .

- ولأن الإسلام منهاج شامل للدولة وكل ميادين العمران ، جعلت هذه الآية الالتزام بمرجعية الكتاب والسنة فى المنازعات الحياتية - سياسة الدولة وعمران المجتمع - شرطاً لصديق إيمان أطراف النزاع - الرعية والرعاة - بالله واليوم الآخر

( ٣ ) التويرى (نهاية الأرب فى فنون الأدب ) ج ١٩ ص ٤٢ . طبعة دار الكتب المصرية . القاهرة  
( ٤ ) انظر نص الدستور فى ( مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ) ص ١٥ ، ٢١ . جمعها وحققها : د . محمد حميد الله . طبعة القاهرة ١٩٥٦ م



## ﴿ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾<sup>٥</sup>

على هذا النحو أوجزت الآيتان مبادئ وأحكام وضوابط : تفويض المحكومين للحكام ، وأداء الحكام لأمانات التفويض ، وارتباط طاعة أولى الأمر - الذين ورد التعبير عنهم بصيغة الجمع - تزكية للجماعية !- وليس بصيغة المفرد - نفياً للانفراد ! ... ارتباط طاعة الرعية لهم بكونهم من الأمة المؤمنة والمطيعه لله وللرسول ، وتحديد المرجعية الحاكمة عند التنازع - مرجعية الكتاب والسنة . .

وانطلاقاً من هذه الضوابط القرآنية .. ومن السنة العملية التي جسدتها دولة الرسول ، ﷺ ، ودولة الخلافة الراشدة - وهما في الفكر السياسي الإسلامي بمثابة « السوابق الدستورية » - كان البناء السياسي الذي أبدعه أئمة الإسلام في الفكر السياسي حول « مواصفات وسلطات رئيس الدولة » وحول الضمانات التي تحول بين السلطة وبين إساءة استخدام صلاحياتها .

- ففي مباحث « الإمامة والخلافة » نجد حديثاً مفصلاً عن صفات الإمام والشروط التي لا بد وأن تتوافر فيه . ويمكن إجمال هذه الشروط في خمسة شروط :

١ - أن يكون حراً ، حتى يستطيع التصرف فيما فوض إليه من عمل ، وهذا الشرط ، الذي كان يراد به - قديماً - نفي الرق والأسر - يمكن أن يشمل الآن : نفي العمالة السياسية والحضارية والتبعية للأعداء !.

٢ - وأن يكون عاقلاً ، بما يعنيه العقل ، ليس فقط من نفي الجنون ، بل ونفي الوعى الزائف ، الذي يحجب حقيقة العقل ونعمته عن أسرى الوعى الزائف !

٣ - وأن يكون مسلماً ، لأن صاحب السلطة العليا في الدولة الإسلامية هو « سانس للعالمين بالدين ، وحارس للدين » .. فله - مع المهام الدنيوية مهام دينية ، كواحد من المؤمنين وإمام لهم - وليس كمتميز عن المؤمنين في الإيمان - عهدت إليه الأمة باختصاصات فوضته في القيام بها .

٤ - وأن يكون ذا رأى ومعرفة بالأمور ، حتى ينهض بها ، وحتى يستطيع أن يختار ويؤلى من لا بد من توافر الرأى والمعرفة فيهم .

٥ - وأن يتصف بالعدالة ، بالمعنى الشامل للعدالة - بمعنى ألا يكون فاسقاً - فسق رأى واعتقاد ، أو فسق جارحة - لأن منصب الإمامة أعظم من « الشاهد » ومن « الأمير » ومن « القاضى - الحاكم » .. وإذا كانت العدالة شرطاً في الشاهد والأمير والقاضى ، فهي في الإمام

أولى وأوجب<sup>(٥)</sup> ..

تلك هي خلاصة الفكر الإسلامى فى « صفات » رئيس الدولة والشروط الواجب توفرها فيه .

- أما سلطات رئيس الدولة وواجباته ، فإنها سلطات « التنفيذ للشريعة والقانون والأحكام » .

فالإمامة والخلافة - رئاسة الدولة - وما نسميه اليوم بـ « الحكومة » هي « السلطة التنفيذية » ، فليس لرئيس الدولة سلطان فى القضاء ولا فى التشريع ، وحتى توليته وتعيينه للقضاء ، فإنها لا تعنى تبعيتهم له ، فهم نواب عن الأمة ، ولذلك لا ينزلون بموت رئيس الدولة أو عزله - رغم تعيينهم بقرار منه - على حين ينزل الولاية بعزله أو موته ..

وهذه الحقيقة - التى تؤكد فصل وتميز السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية - فى فكر الإسلام وفى تجربة حضارته - تشير إلى معنى آخر بالغ الأهمية فى ضبط حدود ومعنى « الدولة » فى الفكر السياسى والإسلامى ، يميزها عن معناها وحدودها فى الفكر السياسى الغربى .. « بالدولة » فى الفكر السياسى الغربى كيان معنوى مطلق ، ودائم ، وله « السيادة » .. ورغم وظيفته « التنفيذية » إلا أنه يجمع إليها - عملياً - سلطة التشريع !

« للدولة » سيادة ، وهى تشرع بحكم هذه « السيادة » التى ادعتها لنفسها .. والحزب صاحب الاغلبية فى البرلمان هو - الجامع - عملياً - بين سلطة التنفيذ - الممثلة فى « حكومته » - وبين سلطة التشريع - الممثلة فى « هيئته البرلمانية » !.. الأمر الذى يضخم من حجم « الدولة » على حساب « الأمة » ومؤسساتها !

أما فى النظرة الإسلامية ، فالدولة ليست كياناً ثابتاً ولا مطلقاً ولا صاحب « سيادة » ، وإنما هى من « الدولة » بمعنى « التداول .. والتبدل » ! وليس لها حق التشريع ، حتى وإن كان الإمام فيها من المجتهدين ؛ لأن « السيادة » فى التشريع هى للحاكمية الإلهية ، وللشريعة ، التى هى وضع إلهى .. وأهل الاجتهاد والفقهاء والتقنين مستقلون عن الحزب الحاكم وعن السلطة التنفيذية . فسيادة الشريعة ، واستقلال هيئة الاجتهاد والفقهاء والتقنين ضابط يحدد نطاق السلطة التنفيذية ويحددها ويحصرها فى « التنفيذ » للقانون . الأمر الذى يجعل السيادة فى الدولة الإسلامية ليست « للدولة » ، وإنما هى « للشريعة » .. فتظل الأمة هى المستخلفة عن الله ، وتظل كل السلطات مجردة من فكرة « السيادة » ، التى تفتح للطغيان أوسع الأبواب !؟ ..

- وإذا كان تعدد السلطات - سلطة اختيار الحاكم ومراقبته ومحاسبته وعزله ( أهل الحل والعقد ) - وسلطة القضاء ، والحكم بين الناس - وسلطة الاجتهاد والفقهاء والتقنين - وسلطة

( ٥ ) انظر كتابنا ( الإسلام وفلسفة الحكم ) ص ٣٦٠ طبعة القاهرة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م

التنفيذ - رئيس الدولة والحكومة ... إذا كان تعدد هذه السلطات واستقلالها ضماناً من ضمانات أن لا تنفرد السلطة التنفيذية بالأمر فتستبد بها ، فإن النموذج الإسلامي - النظري والتطبيقي - قد تميز بميزة هامة في هذا الميدان ، ألا وهي توسيع نطاق سلطات الأمة ، بواسطة مؤسساتها ، في ذات الوقت الذى يزيل فيه وهم « السيادة » عن « الدولة » ويحدد نطاق تفويضها فى « تنفيذ » الشريعة والقانون .. ونحن عندما نتأمل مسيرة الحضارة الإسلامية نرى هذه الحقيقة ، ونعلم منها سر إبداع الأمة لهذه الحضارة ، فى مختلف ميادينها ، رغم أن الانحراف كان قد وقع من السلطة التنفيذية - « الدولة » - عن الثورى إلى « الملك العضود » .. فلقد بقى نطاق هذا الانحراف محدوداً بمحدودية نطاق سلطان « الدولة » . وظلت الأمة ، بواسطة مؤسساتها - مؤسسات الاجتهاد والابداع الفكرى والتعليم والصحة والقضاء والاقتصاد بل والجهاد الخ .. وجميعها مؤسسات أهلية ، قامت على الأوقاف والجهود الطوعية ، وبها ظلت الشريعة حاكمة ، تصبغ الحضارة بالصبغة الإسلامية .. بل وتقسر حتى الحاكم المنحرف على « إعلان » الالتزام بالهوية الإسلامية وحاكمتها !

هكذا كان تضيق النموذج الإسلامى لنطاق « الدولة » ، وتوسيعه لنطاق « الأمة » أعظم الضمانات ضد الاستبداد . ثم ضد عموم بلوى الاستبداد عندما سلكت « الدولة » طريق الاستبداد !

كما كانت الشروط التى اشترطها فى رأس الدولة عاملاً آخر من عوامل الضمانات التى ترجح كفة المشاركة على كفة الاستبداد .

وكان تعدد السلطات - المتجسدة فى مؤسسات - أهم هذه الضمانات ضد الانفراد بالسلطة الذى هو المقدمة للطغيان . وصدق الله العظيم :

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ . أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى ﴾ (٦)

( ٦ ) سورة العلق : الآيتان ٦ ، ٧

## السؤال الرابع

ما هو النظام الذي وضعه الدين الحنيف لضمان أن يكون للرعية رأيها في حياتها ومصير وطنها ولإلزام الحاكم بالأخذ به ؟ وهل شرع للمسلمين وسائل معينة للرقابة على الحاكم وتقويمه وعزله إن لم يحقق مطالبهم الحياتية والدينية ؟

● بعد أن وضع الإسلام « مبادئ » ، العلاقة بين الحكام والمحكومين ، فأوجب على الحكام - وكل ولاة الأمور - أداء الأمانات التي فُوضت إليهم إلى أهلها ، مؤكداً بذلك أن الرعية هي صاحبة الحقوق ، وأن كل ولاة الأمور عمال لديها وأجراء عندها . وأكد ، كذلك ، اعتماد معيار « العدل » في الحكم بين الناس ، ثم رتب على ذلك وجوب طاعة الرعية لولاة الأمر ، ضابطاً الطاعة بكونها فيما يحقق طاعة الله دون معصيته ، ومنبهاً على أن المرجعية عند التنازع إنما هي لكتاب الله وسنة رسوله ، ﷺ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝﴾ (١)

بعد أن جاء الوحي « بالمبادئ » ، المقننة لهذه العلاقة ، جاء البيان النبوي - من السنة العملية والقولية - ليضع « النظم » التي تكفل سيادة هذه « المبادئ » في المجتمعات الإسلامية ، وذلك

( ١ ) سورة النساء : الآيات ٥٨ ، ٥٩

لأن الإسلام ليس مجرد « فكر نظري » ، ولا « وصايا أخلاقية » ، وإنما تميزت شريعته بأن رسولها ، ﷺ ، قد جسدها في « الواقع » أمة ودولة وحضارة ، عاشها الناس وتواتر بنكرها التاريخ .

وهذه « النظم » التي جسدها مقومات دولة المدينة ، على العهد النبوي والخلافة الراشدة ، وممارساتها ، جاء « الفكر السياسي الإسلامي » ففصل الحديث حولها ، حتى قامت في هذا الفكر معالم هادية في الضمانات المقررة للرعية كي يكون لها رأيها في شئون حياتها ومصير وطنها ، والرقابة والمحاسبة والتقويم لولاة أمورها إن هم انحرفوا عن أداء الأمانات والعدل في الحكم بين الناس ..

ونحن إذا شئنا - في حدود ما يسمح به المقام - أن نشير إلى بعض من أبرز هذه « النظم - الضمانات » التي تجعل للأمة السلطة الحقيقية ، بحكم خلافتها عن الله ، سبحانه وتعالى ، على لولاة أمورها ، بحكم نيابتهم عن الأمة في تصريف ما فوضت إليهم من أمور ، فإننا نجد في مقدمة هذه « النظم - الضمانات » :

**أولاً :** فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وهي التي تمثل الدعوة الإلهية الموجهة إلى الأمة كي تشارك في شئون الدولة والمجتمع وسائر ميادين العمران ، ليس باعتبار هذه المشاركة مجرد « حقوق » للرعية ، وإنما باعتبارها « فريضة إلهية » و« واجباً دينياً » و« تكليفاً شرعياً » .. فصاحب « الحق » يستطيع أن يتنازل عنه إن هو أراد واختار ، لكن الإسلام يجعل من الاهتمام بالشئون العامة ، والمشاركة في هذه الشئون - وبها يتكون « الرأي العام » المراقب والمحاسب لولاة الأمور ، بل ولنفسه !- فريضة إلهية يأثم من يقصر في النهوض بأدائها ، بل ويجعلها فريضة كفائية ، أي فريضة اجتماعية ، هي أهم وأكد من فرائض العين - الفردية - بدليل أن التخلف عن فرض العين - كالصلاة والصوم مثلاً - يقع إثمه على الفرد ، بينما التخلف عن الفرض الكفائي - الاجتماعي - كالمشاركة في شئون المجتمع ، والمراقبة والمحاسبة لأولى الأمر مثلاً - يقع إثمه على الأمة جمعاء !

فبفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤسس الإسلام المناخ والعوامل والحوافز الصانعة « للرأي العام » المشارك في شئون الأمة ، حتى نستطيع أن نقول إن المسلم لا يستطيع أن يقيم دينه كفرد ، ولا بد له ، كي يقيم هذا الدين ، من أن يعيش عضواً حياً في جسد حي لأمة واحدة « مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » (٢)

( ٢ ) رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (٣)

و من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

فالقيام بهذه الفريضة صفة من صفات خيرية الأمة المؤمنة

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ ﴾ (٤)

وإذا كان التكليف بهذه الفريضة موجهاً إلى الأمة فلقد دعا القرآن إلى اقامة المؤسسات التي تنهض بهذا الفرض الاجتماعى

﴿ وَلَكِنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥)

بل لقد علمنا القرآن أن هؤلاء الذين ينهضون بهذه الفريضة - بشكل « منظم ، ومؤسسى » -  
عندما يتواصلون بالحق ، ويصبرون على نصرته ، هم الذين يرفعون لعنة الخسران عن أن تعم  
جنس الانسان !

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

﴿ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٦)

وثانيا : لم يكتف الإسلام فى ميدان « النظم - الضمانات - بالثقة القائمة بين الرعية وولاية  
أمورها ، حتى عندما كان ولاة الأمور رسولاً ينزل الوحي ليقوم اجتهاداته كحاكم للدولة ،  
وصحابة كانوا كالنجوم بأبهم اقتدى السارى اهتدى الى سبل الرشاد ! وانما جسدت سنة نبيه ،  
ﷺ ، فى تجربة دولة المدينة معالم « المؤسسات » التى تمارس الرعية بواسطتها المشاركة فى  
الشئون العامة والمراقبة والمراجعة والمحاسبة لمن يحملون الأمانات .

( ٣ ) سورة المؤمنون : الآية ٥٢

( ٤ ) سورة آل عمران : الآية ١١٠

( ٥ ) سورة آل عمران : الآية ١٠٤

( ٦ ) سورة العصر : الآيات ١ - ٣

● ففي بيعة العقبة - التي مثلت « الجمعية التأسيسية » التي أقامت الدولة الإسلامية ، وعقدت العقد الحقيقي لنشأتها - عندما حان وقت البيعة ، طلب الرسول ﷺ ، من حضور هذه البيعة « اختيار » أولى المؤسسات الدستورية التي قامت في ذلك التاريخ البعيد والمناخ البسيط ! فقال للأنصار : « اختاروا منكم اثني عشر نقيباً » .. فقامت مؤسسة « النقباء الاثني عشر » التي مثلت « الوزراء - المؤازرين - والمشيرين » في الدولة الإسلامية الأولى ، وقامت « بالاختيار » ! وأعضاء هذه « المؤسسة » هم : أسيد بن خضير ، وسعد ابن خيثمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وأبو أمامة أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء بن معرور ، وعبد الله ابن عمرو بن حرام ، وسعد بن عباد بن دليم ، والمنذر بن عمرو بن خنيس ، وعبادة بن الصامت (٧) ..

ومع « مؤسسة » النقباء الاثني عشر - « الوزراء - المؤازرين - والمشيرين » .. قامت في ذلك التاريخ « هيئة المهاجرين الأولين » - من قادة بطون قريش ، السابقين إلى الإسلام - فكانت هيئة « الأمراء » - وفيها كان : أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبو عبيدة بن الجراح (٨) ..

ولقد كانت لكل مؤسسة من هذه المؤسسات - الدستورية .. السياسية - اختصاصاتها المحددة في الإمارة والوزارة والاستشارة وتنظيم العلاقة بين الرعية والرعاة (٩) .

لقد كان الرسول النبي معصوماً فيما يبلغ عن الله ، لكنه ، كحاكم للدولة ، كان مجتهداً .. ومع ان الوحي كان ينزل ليقوم اجتهاداته إذا صادفت غير الأولى ، فلقد أقام دولة الإسلام على الشورى .. وعلى شورى « المؤسسات » .. فسن للمسلمين سنة « المؤسسات » التي تجعل للأمة « نظماً » تحقق « ضمانات » الأ يفضى الانفراد بالسلطان إلى الطغيان

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا طَغِيًّا . أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى ﴾

وثالثاً : حرص الفكر الإسلامي - الذي يجب أن يكون مادة التربية والصياغة لعقل الأمة ووجدانها ، ومن ثم المحرك والمحدد لسلوكها وممارساتها - حرص هذا الفكر على توضيق نطاق اختصاصات « السلطة - الدولة » ، في حدود « التنفيذ » للقانون ، مع التأكيد على هيمنة الشريعة

(٧) انظر ( موسوعة السياسة ) مادة « البيعة » - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٧٩ م

(٨) انظر كتابنا ( الإسلام وحقوق الإنسان ) ص ١٠٨ طبعة القاهرة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م

(٩) انظر كتابنا ( الإسلام وفلسفة الحكم ) ص ٥٦ وما بعدها . طبعة القاهرة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م

(١٠) سورة العلق : الأيتان ٦ ، ٧

الإلهية على الأمة والدولة ، ومع استقلال هيئة الاجتهاد والتقنين عن « السلطة - الدولة » ، وكل ذلك لحساب توسيع دائرة اختصاصات « الأمة » وسلطانها وسلطاتها ، وهذا « ضمان » ضد جور ولاة الأمر ، وخاصة إذا تجسد هذا « الفكر » في « ضوابط قانونية » وفي « مؤسسات » ، وهو ما جسده السنة النبوية العملية ، كسابقة دستورية في تاريخ دولة الإسلام وحضارته .

وحرص هذا الفكر الإسلامي أيضاً على تأكيد أن حامل الرسالة والأمانة هي « الأمة » ، فهي المستخلفة عن الله ، سبحانه وتعالى ، وليس الحاكم .. بل ولا طبقة من الطبقات أو شريحة من الشرائح الاجتماعية . فكل من يلى سلطة أو يتولى مسئولية ، إنما هو نائب عن الأمة وأجير لديها ، فالإسلام دين الجماعة .

وفي هذا الفكر - الذى يوسع اختصاصات « الأمة » ويضيق من نطاق سلطان « الدولة » - إذا هو أصبح الزاد الذى يغذى عقل الأمة ووجدانها - « ضمان » من ضمانات إلجام غرائز الاستبداد لدى ولاة الأمور .

ورابعاً : وأخيراً وليس آخراً - لقد انفرد الإسلام - انطلاقاً من فلسفته المنميزة التى ارتفعت « بحقوق الإنسان » إلى مرتبة « الفرائض .. والضرورات » - انفرد بجعله مراقبة الأمة لولاة أمرها ، ومحاسبتها لهم ، وأخذها على أيديهم ، بالعزل السلمى أو الثورى - فريضة دينية ، وواجباً شرعياً ، وليس مجرد « حق » من حقوق الإنسان؟! ..

لقد كان نص البيعة - أى صيغة التعاقد - بين الرسول ﷺ ، وبين « المؤمن » شاملاً لـ « السمع والطاعة » - عندما تكون الطاعة لله ، وأيضاً على « أن نقول بالحق أينما كنا ، ولا نخاف فى الله لومة لائم » (١١) .

وكان الرسول ﷺ - وهو رأس ولاة الأمر - يربى المسلمين على فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وبفكر مستقبلي يقنن لما سيأتى من عهود الجور والانحراف ، فيقول - فى التربية السياسية للأمة على مقاومة الجور : « إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتكفرون ، فمن كره فقد برىء ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع » (١٢) .

ففى مواجهة الجور : الحد الأدنى للموقف المقبول إسلامياً هو الكراهة والرفض ، والموقف الأولى والواجب هو الإنكار - بأى وجه أمكن من وجوه الإنكار - أما الرضى والمتابعة فهو موقف « الإمعات » الذى نهى عنه الإسلام !

( ١١ ) من حديث عباد بن الوليد بن عباد - عن أبيه ، عن جده - رواه مسلم

( ١٢ ) رواه مسلم



وعندما سأل الصحابي حذيفة بن اليمان ، رضى الله عنه ، رسول الله ﷺ ، عن « مشروعيه الثورة » فى تغيير نظم الجور والفسق والضعف ، جاءت سنة الإسلام واضحة فى هذا المعام :

« قال حذيفة بن اليمان : يارسول الله أكون بعد الخير الذى أعطينا شر ، كما كان قبله ؟

- قال : نعم

- قلت : فبمن نعتصم ؟

- قال : بالسيف « (١٣) !..

ولقد اتفق جمهور أئمة الإسلام ومذاهبه على « وجوب » - وليس فقط « جواز » - الثورة لتغيير النظم الجائرة إذا هى ظلمت ، أو فسقت ، أو ضعفت عن النهوض بالأمانات المفوضة إليها ، مع اشتراط أغلبهم لتحقق شروط التمكّن التى تجعل نجاح الثوار مؤكداً أو راجحاً .. حتى لا يكون الأمر تمرداً وفتنة تجر على الأمة الويلات دون تحقيق مقاصد التغيير<sup>(١٤)</sup> !

فالجور والفسق .. فسق الرأى أو الجارحة - والضعف ، يسقط - تلقائياً - واجب الطاعة عن الأمة للحكام ، ويحل الرعية من بيعتها لهم . وعلى هذه الحقيقة أجمع علماء الإسلام ، وعبرت عنها كلمات الصديق أبى بكر ، رضى الله عنه : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » !

فإذا لم يعتزل الحاكم ، كان على الأمة - فريضة وتكليفاً - عزله بالسلم إن أمكن .. وإلا فبالثورة ، إذا أمكن ذلك دون فتنة تفوق شرورها ومفاسدها شرور ومفاسد جور الحكام الجائرين !

تلك بعض من « النظم » و« الضمانات » التى جاء بها الإسلام لتحقيق سلطان الأمة على حياتها ، وعلى مصير وطنها ، والتى تضمن تصويب مسار السلطة فى النظام الإسلامى حتى تحقق وظيفتها الإسلامية : أداء الأمانات إلى أهلها ، والحكم بالعدل بين الناس !

---

( ١٣ ) رواه أبو داود والإمام أحمد  
( ١٤ ) انظر كتابنا ( الإسلام وفلسفة الحكم ) ص ٤٨٥ وما بعدها

## السؤال الخامس

هل يمكن إقامة تنظيم دولي على أسس دينية ، كجامعة الدول الإسلامية مثلاً ؟ وهل يجوز لدولة إسلامية أن تبرم حلفاً عسكرياً مع دولة غير إسلامية أو أن تدخل في وحدة معها ؟

● المسلمون ، بتنوع شعوبهم وأجناسهم وألسنتهم وقومياتهم ، لكن هذا التنوع لا يعدو أن يكون تمايزاً في إطار « أمة واحدة » ، وحدها الإسلام في العقيدة والشريعة والحضارة ومعايير الأخلاق والسلوك . ووحدة الأمة - أي الجماعة - الإسلامية حقيقة قرآنية تعبر عن إرادة إلهية

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١)

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (٢)

وهذه الوحدة ، التي صنعها الإسلام ، وصبغها بصبغته ، قد أهلت الأمة الواحدة لأن تعيش في وطن واحد ، سماه علماء الإسلام ومؤرخوه « دار الإسلام » .. وهذا الوطن الإسلامي عاش حيناً من الدهر تحت سلطة « دولة » واحدة ، وحيناً آخر تعددت فيه « الدول » . لكن كل تاريخ الإسلام والمسلمين ، إلى ما قبل التجزئة التي فرضتها الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة على المسلمين ، قد احتفظ - حتى مع تعدد « الدول » - بوحدة الأمة في العقيدة والشريعة والحضارة ومعايير الأخلاق والسلوك .. بل واحتفظ كذلك بوحدة « الدار - الوطن » .. فكان المسلم - بل والمواطن من أهل الكتاب - ينتقل بحرية تامة عبر الأقاليم والإمارات والولايات ، ويقوم أي شئ وحيث أراد ، فيعامل - دون إجراءات جديدة - معاملة المواطنين في المكان الذي يستقر فيه ، له كل حقوقهم وعليه ما عليهم من واجبات .. فجمعت « دار الإسلام » بين « الوحدة » في حقوق المواطنة وواجباتها ، وبين « تنوع وتعدد » « الدول » و« الحكومات » .

( ١ ) سورة الأنبياء : الآية ٩٢

( ٢ ) سورة المؤمنون : الآية ٥٢

ولذلك ، استقر الرأي في الفكر السياسي الإسلامي - منذ بداية تاريخه وحتى عصرنا الحديث - على أن الإسلام جنسية ووطن ودار واحدة لأمة واحدة ، لا تمزقها ، الجنسيات - بالمعنى الغربي - و « الامتيازات » الخاصة بالجنسيات المختلفة .

وعندما ورد إلى الأستاذ الإمام محمد عبده ( ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ) - ( ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م ) - وهو مفتي الديار المصرية - سؤال : « في المسلم إذا دخل بمملكة إسلامية ، هل يُعدّ من رعيّتها ؟ له ما لهم وعليه ما عليهم ، على الوجه المطلق ؟ وهل يكون تحت شرعها فيما له وعليه ، عموماً وخصوصاً ؟ وماهى الجنسية عندنا ؟ وهل حقوق الامتيازات ، المعبر عنها عند غير المسلمين « بالكبتولاسيون » - ( Capitalations ) - موجودة بين ممالك الإسلام مع بعضهم بعضاً ؟؟ » .. جاء في فتوى الأستاذ الإمام على هذا السؤال :

« ... إن وطن المسلم من البلاد الإسلامية هو المحل الذي ينوى الإقامة فيه ، ويتخذ فيه طريقة كسبه لعيشه ، ويقر فيه مع أهله ، إن كان له أهل . ولا ينظر إلى مولده ، ولا إلى البلد الذي نشأ فيه ، ولا يلتفت إلى عادات أهل بلده الأول ، ولا إلى ما يتعارفون عليه من الاحكام والمعاملات ، وإنما بلده ووطنه الذي يجرى عليه عرفه وينفذ فيه حكمه هو البلد الذي انتقل إليه واستقر فيه ، فهو رعية الحاكم الذي يقيم تحت ولايته ، دون سواه من سائر الحكام ، وله من حقوق رعية ذلك الحاكم مالهم ، وعليه ما عليهم ، لا يميزه عنهم شيء لا خاص ولا عام .

أما الجنسية فليست معروفة عند المسلمين ، ولا لها أحكام تجرّى عليهم ، لا فى خاصتهم ولا عامتهم ، وإنما الجنسية عند الأمم الأوروبية تشبه ما كان يسمى عند العرب عصبية ، وهو ارتباط أهل قبيلة واحدة أو عدة قبائل بنسب أو حلف يكون من حق ذلك الارتباط أن ينصر كل منتسب إليه من يشاركه فيه ، وقد كان لأهل العصبية ذات القوة والشوكة حقوق يمتازون بها على من سواهم .

جاء الإسلام فألغى تلك العصبية ، ومحا آثارها ، وسوى بين الناس فى الحقوق ، فلم يبق للنسب ولا لما يتصل به أثر فى الحقوق ولا فى الأحكام . فالجنسية لا أثر لها عند المسلمين قاطبة ، فقد قال ﷺ : « إن الله أذهب عنكم عبّية الجاهلية - ( أى عظمتها ) - وفخرها بالأباء ، وإنما هو مؤمن تقى وفاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب » (٣) ، وروى كذلك عنه : « ليس منا من دعا إلى عصبية » (٤) .

وبالجملة ، فالاختلاف فى الأصناف البشرية ، كالعربى والهندي والرومى والشامى

( ٣ ) رواه أبو داود

( ٤ ) وفى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه والإمام أحمد : « ليس منا من دعى بدعوى الجاهلية

والمصرى والنونسي والمراكشي ، مما لا دخل له في اختلاف الاحكام والمعاملات بوجه من الوجوه . ومن كان مصرياً وسكن في بلاد المغرب وأقام بها جرت عليه أحكام بلاد المغرب ، ولا ينظر إلى أصله المصرى بوجه من الوجوه .

وأما حقوق الامتيازات ، المعبر عنها « بالكابيتولاسيون » فلا يوجد شيء منها بين الحكومات الإسلامية قاطبة .. هذا ما تفضى به الشريعة الإسلامية ، على اختلاف مذاهبها ، لا جنسية في الإسلام ، ولا امتياز في الحقوق بين مسلم ومسلم ، والبلد الذى يقيم فيه المسلم من بلاد المسلمين هو بلده ، ولأحكامه عليه السلطان دون أحكام غيره . والله أعلم .. (٥) .

هكذا استقر الفكر السياسى الإسلامى على أن وحدة الأمة في الدين والحضارة قد أثمرت واستلزمت وحدة دار الإسلام ، حتى مع تعدد الإمارات والولايات والحكومات ، بل إننا نستطيع أن نقول إن الخلافة الإسلامية ، حتى عندما كانت واحدة ، قد تميزت في دار الإسلام ، تحت حكمها ، الولايات والأقاليم !

وعندما فرض الاستعمار الغربى - وخاصة بعد سقوط الخلافة العثمانية ١٩٢٤ م - التجزئة الكاملة على عالم الإسلام ، ذهب الفكر الإسلامى يبحث عن شكل جديد يحقق « وحدة » دار الإسلام ، ويحافظ على وحدة الأمة ، دون تجاهل لواقع التجزئة ، وتعدد الدول والحكومات ، أو قفز على « الواقع » الذى كرسه الاستعمار . وكان من أبرز الاجتهادات الإسلامية في هذا الميدان ، كتاب الفقيه الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى بأشأ ( ١٣١٣ - ١٣٩١ هـ ) - ( ١٨٩٥ - ١٩٧١ م ) : « فقه الخلافة .. وتطورها » (٦) .. والذى قدم فيه صورة الخلافة الإسلامية المنشودة في شكل « عصابة أمم إسلامية » تتعدد فيها الحكومات ، مع إعادة الوحدة إلى دار الإسلام .

هذا عن الموقف الإسلامى من العلاقة الإسلامية بين حكومات وأقطار عالم الإسلام .. وهو موقف له منطلق عقديّ ، مؤسس على وحدة الأمة ، التى تستدعى - للمحافظة على مقوماتها - وحدة الدار ، وهو - في ذات الوقت - يلبي احتياجات وضرورات التضامن التى تفرضها صراعات القوى والمصالح على الساحة العالمية .

إن خريطة عالمنا المعاصر تتحرك نحو إقامة التكتلات والوحدات ، سواء بروابط إقليمية ، أو حضارية ، أو أيديولوجية .. فالوحدة الأوروبية ، وإن استهدفت المصالح المادية ، إلا أن

---

( ٥ ) تاريخ هذه الفتوى ٩ رمضان ١٣٢٢ هـ - ١٧ نوفمبر ١٩٠٤ م - انظرها في ( الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ) ج ٦ ص ٢٥٣ - ٢٥٥ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت ١٩٧٤ م  
( ٦ ) هذا الكتاب - في الأصل - رسالة دكتوراه - بالفرنسية - من باريس ١٩٢٦ م . انظر ترجمته العربية . طبعة القاهرة ١٩٨٩ م

الايديولوجية الليبرالية ، والتراث النصراني ، والبعد الحضارى الغربى ، هى منطلقات ومكونات فى صنع هذه الوحدة ، بل إن هذه العوامل هى التى تجعلها تفتح أبوابها لشعوب أوروبا الشرقية ، التى تشترك معها فى هذه المنطلقات ، بعد أن انهار التكتل الايديولوجى الماركسى الذى كان يجمعها . منظمة الكوميكون وحلف وارسو . وكذلك الحال مع المنظمات الاقليمية ، عربية وإفريقية وآسيوية .. وفى أمريكا اللاتينية الخ .. الخ .

وعندما حدث حريق المسجد الأقصى فى ٢٨ أغسطس ١٩٦٩ م اهتز الضمير الإسلامى .. فانعقد أول مؤتمر قمة للبلاد الإسلامية فى سبتمبر من نفس العام ، وتأسست فى العام التالى « منظمة المؤتمر الإسلامى » .. وهى التى تمثل - وخاصة إذا دبت فيها روح الحياة الحقة - عصبية الشعوب الإسلامية .. وإذا حدثت وعادت أغلب حكوماتها عن خلط الإسلام بالعلمانية فى تشريعاتها ، والتزمت بالإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وخلقاً ، فتحولت إلى « دول » إسلامية ، أمكن ، يومئذ ، أن تتطور من منظمة « مؤتمر إسلامى » إلى منظمة « دول » إسلامية . وبهذا التطور ، تكون قد استجابت لضرورات الواقع المعاصر فى التكتل على أساس المصالح المادية ، وحففت المبدأ الإسلامى فى وحدة دار الإسلام ، المؤسسة على مبدأ وحدة أمة الإسلام فى العقيدة والشريعة والحضارة والأخلاق .

وجدير بالذكر ، أن وحدة أمة الإسلام ، ووحدة دار الإسلام لا تعنى عزلة المسلمين عن المشاركة فى الحياة الدولية ، سواء من خلال المنظمات الإقليمية مع الدول غير الإسلامية ، أو من خلال المنظمات الدولية ، بل ومن خلال الأحلاف مع الدول غير الإسلامية ، مادامت هذه المشاركات والتحالفات تحقق للمسلمين مصلحة ، أو تدفع عنهم مضرة ، أو تحقق نفعاً عاماً للإنسانية . المسلمين منها وغير المسلمين . فتحقيق المصلحة الشرعية المعتمدة ، للمسلمين وللإنسانية كلها ، ودفع المضرة والمفسدة عن المسلمين وعن الإنسانية ، هما معايير الموالاة والمعاداة فى علاقات المسلمين بغير المسلمين . وهذه المعايير هى التى أوجزت التعبير عنها آيات القرآن الكريم النى تقول :

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَوْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَمَنْ يَبَرَّهُمْ فَاولئك هم الظالمون ﴾ (٧) .

(٧) سورة الممتحنة : الآيات ٧ - ٩ .

فالنس لا يقاتلون المسلمين فى الدين ، ولا يخرجونهم من ديارهم - بالافتلاع والنهجير ، أو باعصاب مفدراتهم وحريرتهم فى اتخاذ قرارات إدارة شئونهم ! - ولا يظاهرون ويعينون على إخراجنا من ديارنا ، نحن فى حل من إقامة العلاقات والنحالفات - على اختلاف درجاتها معهم ، مادامت محففة لمصلحة من المصالح الشرعية المعتبرة للإسلام والمسلمين .

## السؤال السادس

ما مدى الصواب فى القول بأن للدول الإسلامية المعوزة حقاً أصيلاً فى ثروات الدول الإسلامية الثرية ، وأن للمسلم - بصفته هذه - حق العمل والعيش فى أى بلد إسلامى ؟

● الإسلام دين الجماعة ، دون إنكار لتمايز هذه الجماعة - الأمة - إلى أفراد وطبقات ، لكنه يقيم العلاقة بين مكونات الجماعة - الأمة - على التوازن ، وليس على المساواة الكاملة ، التى تلغى التمايز وتنكر الفروق ، ولا على الفوارق الفاحشة التى تُحل « الخلل » الاجتماعى محل « التوازن » الاجتماعى ، فتمزق روابط الأمة الواحدة !

فالأمة ، فى الرؤية الإسلامية ، واحدة .

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١)

وعلاقة مكونات الأمة الواحدة - أفراداً وطبقات وشعوباً وقبائل - بالكيان الواحد لهذه الأمة ، هى علاقة الأعضاء المتعددة والتميزة ، فى القوة والعطاء والأهمية والاحتياجات ، بالجسد الواحد الجامع لهذه الأعضاء . فهناك « الوحدة » وهناك « التميز » فى إطار التضامن والتكافل والتفاعل و« الحس الحى » للجسد الواحد باحتياجات كل عضو ، على النحو الذى يضمن « حياة » الكيان العام !

وعن هذه الحقيقة يعبر حديث رسول الله ، ﷺ ، الذى يقول فيه : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٢) .

وانطلاقاً من هذا المبدأ الإسلامى العام والجامع ، كانت نظرة الإسلام إلى الثروة فى أرض

( ١ ) سورة الأنبياء : الآية ٩٢

( ٢ ) رواه البخارى ومسلم

الإسلام ومجتمعاته . وهي نظرة جمعت - بالوسطية - بين حقوق التكافل بين كل الأمة ، وبين اختصاص الأفراد والطبقات والأقاليم في أمة الإسلام وداره ، على النحو الذي يعيم الميزان والتوازن - أى العدل والوسطية .. فعُدل الله ، سبحانه وتعالى ، هو « الميزان » الذى أنزله ، مع الكتاب ، لتستقيم كل شئون الاجتماع ، فى الكون وفى البشر .

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ (٣)

﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (٤)

وتشريعاً لهذه الوسطية فى علاقة المسلمين بالثروات والأموال ، جاء حديث القرآن الكريم عن أن المالك الحقيقى - مالك الرقبة - فى الأموال والثروات هو الله سبحانه وتعالى ، وعن أن الناس ، مطلق الناس ، مستخلفون فى هذه الثروات والأموال ، فهم فيها - كأفراد وطبقات وأقاليم - مالكون مجازيون ، ملكية منفعة وتنمية لهذه الثروات والأموال .. على النحو الذى يحقق مصلحة الجسد العام - الأمة - وكل عضو من أعضاء هذا الجسد العام :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (٥) ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (٦)

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ (٧)

فهو الخالق والمالك الحقيقى للثروات والأموال ، وهو الذى أفاضها فى الطبيعة التى خلقها وسخرها للإنسان الذى استخلفه فى حيازتها والانفتاح بها والتنمية لها .

﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٨)

( ٣ ) سورة الشورى : الآية ١٧

( ٤ ) سورة الحديد : الآية ٢٥

( ٥ ) سورة البقرة : الآية ٢٩

( ٦ ) سورة الرحمن : الآية ١٠

( ٧ ) سورة الجاثية : الآية ١٣

( ٨ ) سورة الحديد : الآية ٧



ولهذه الوسطية الجامعة بين « ملكية الله الحقيقية » للثروات والأموال ، وبين « ملكية المنفعة والاستخلاف التي للإنسان » في هذه الأموال والثروات ، جاءت إضافة « المال » ، في القرآن ، إلى « ضمير الجمع » في سبع وأربعين آية ، وإلى « ضمير الفرد » في سبع آيات ، لتنبه على حقوق الجسد الواحد - الأمة - مع مراعاة حقوق مكونات هذا الجسد - الأفراد والطبقات والأقاليم .. الأمر الذي جعل الإمام محمد عبده ( ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م ) يعلق على هذا المقصد القرآني بقوله : إن الله ، سبحانه ، قد أراد أن ينبه بذلك على « تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها ، فكأنه يقول : إن مال كل واحد منكم هو مال أمتكم »<sup>(٩)</sup> ! .. ومن قبله قال الزمخشري [ ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ ١٠٧٥ - ١١٤٤ م ] - صاحب تفسير « الكشاف » - وهو يفسر آية الاستخلاف في الأموال : « إن مراد الله هو أن يقول للناس : إن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله ، بخلقه وإنشائه لها ، وإنما مولاكم إياها ، وخولكم الاستمتاع بها ، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها ، فليست هي أموالكم في الحقيقة ، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب »<sup>(١٠)</sup> !

وعندما يكون الإنسان - فرداً أو طبقة أو إقليمياً - وكيلاً ونائباً في حيازة الثروات والأموال .. المملوكة على الحقيقة لله - فلا بد وأن يلتزم بحدود بنود عقد وعهد الاستخلاف والإنابة والتوكيل ، الذي يحرم « الكنز » و« الاحتكار » عن أعضاء محتاجين في الجسد الواحد للأمة . ولذلك اتفق الأئمة : ابن عباس ( ٣ ق . هـ - ٦٨ هـ ٦١٩ - ٦٨٧ م ) والحسن البصري ( ٢١ - ١١٠ هـ ٦٤٢ - ٧٢٨ م ) وقتادة بن دعامة السدوسي ( ٦١ - ١١٨ هـ ٦٩٣ - ٧٦٥ م ) وغيرهم من المفسرين على أن الإنفاق المطلوب في الآية الكريمة :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(١١)</sup>

اتفقوا على أن « العفو » - المطلوب إنفاقه - « هو ما فضل عن العيال . فالمعنى : انفقوا ما فضل عن حوائجكم ، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة .. »<sup>(١٢)</sup> !

وإذا كانت وجوه الإنفاق قد تعددت ، وسميت - حتى فيما هو غير الفرائض - مثل الزكاة - « حقوقاً » للمستحقين والمعوزين ، فلاشك أن إعادة استثمار الفوائض المالية في المصالح

( ٩ ) ( الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ) ج ٥ . ص ٢٠١ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة

بيروت ١٩٧٢ م

( ١٠ ) ( الكشاف ) ج ٤ ص ٦١ طبعة الحلبي - القاهرة

( ١١ ) سورة البقرة : الآية ٢١٩

( ١٢ ) ( القرطبي ) ( الجامع لأحكام القرآن ) ج ٣ ص ٦١ . طبعة دار الكتب المصرية

الإسلامية ، بديار الإسلام ، هو لون من ألوان الإنفاق الإسلامي ، إذا التزم بضوابط الإسلام في المعاملات المالية .. لأنه إخراج لهذه الفرائض من إطار الكنز والحبس والاحتكار ..

ولقد جاءت السنة النبوية لتبين هذا البلاغ القرآني ؛ فقال رسول الله ، ﷺ ، فيما رواه ابن عمر - « من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برىء من الله تعالى وبرىء الله تعالى منه . وأيما أهل عَرْصَةِ أصبح فيهم أمرؤ جائع فقد برئت منهم نعمة الله تعالى ،<sup>(١٣)</sup> ! فليس من المسلمين من بات شعبان وجاره جائع . والجوار هنا - بمنطق وحدة الأمة - كالجسد الواحد - شامل لكل أقاليم الأمة وأفرادها وطبقاتها ، خصوصاً بعد أن جعلت وسائل الاتصال الحديثة عالم الإسلام كالعَرْصَةِ الواحدة ، أى الميدان والحي والقرية الواحدة .

وإذا كانت الزكاة ركناً من أركان الإسلام الخمسة ، فإنها لو جمعت على النطاق العام ، وصرفت في مصارفها ، لكانت مصدراً لتكافل الأمة في الثروات والأموال ، يتعدى خبره حدود الدول والأقاليم .

وكذلك الحال في الكثير من التشريعات المالية الإسلامية . فمثلاً يوجب الإسلام على كل الثروات المركوزة في باطن الأرض - صلبة أو سائلة - خمس قيمتها . وفي الحديث النبوي : « في الركاز الخمس ،<sup>(١٤)</sup> . وكذلك الحال في كثير من الثروات .

وإذا كان القرآن يحذر من أن يصبح المال ثولَةً - متداولاً - بين القلة الغنية

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا تَنكَّرَ الرَّسُولُ  
فَخْذُوهُ وَمَا نَهَكَرَ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾<sup>(١٥)</sup> ..

فإن السنة النبوية - القولية - قد قررت الاشتراك بين المسلمين في المصادر المالية التي تمثل ضرورات الحياة : « المسلمون شركاء في ثلاث : الماء ، والكلاء ، والنار . ومنعه

( ١٣ ) رواه الإمام أحمد

( ١٤ ) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه ومالك - فى الموطأ - والإمام أحمد . وانظر فى ذلك ( كتاب الأموال ) - لأبى عبيد القاسم بن سلام - باب الخمس فى المعادن والركاز - ص ٤٣٠ - ٤٣٥ - وباب الخمس فى المال المدفون - ص ٤٣٦ - ٤٣٩ - وباب الخمس فيما يخرج البحر من العنبر والجوهر والسمك - ص ٤٤٠ - ٤٤٣ - دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م

( ١٥ ) سور الحشر : الآية ٧

حرام»<sup>(١٦)</sup> .. ثم جاءت السنة العملية ، فى « المؤاخاة » ، التى نمت بين المهاجرين والأنصار ، استجابة للضرورات الاقتصادية ، لتضع هذا « الفكر » فى « الممارسه والتطبيق »<sup>(١٧)</sup> .

وإذا كانت وحدة « أمة الإسلام » ، تستلزم وحدة « دار الإسلام » ، حتى لو تعددت أقاليمها وولاياتها وحكوماتها ، فإن المسلم إنما يمثل إسلامه ، بالنسبة له ، جنسية إسلامية ، تجعل السياحة والاقامة والعمل فى أى مكان من « دار الإسلام » حقاً إسلامياً لا جدال فيه .

وإذا كانت الوحدة الأوروبية توشك أن تحقق ذلك للمواطن الأوروبى ، عبر دولها وأقاليمها ، فإن سبق الإسلام إلى تحقيق هذه « الأممية الإسلامية » ، وإلى تأسيسها على قواعد الإيمان الدينى لهو ملمح من الملامح الجديدة بالإحياء والتنويه ؟

---

( ١٦ ) رواه ابن ماجة والإمام أحمد  
( ١٧ ) انظر : ابن عبد البر ( الدرر فى اختصار المغازى والسير ) ص ٩٦ . تحقيق : د . شوقى ضيف . طبعة  
القاهرة ١٩٦٦ م

## السؤال السابع

ماهى الحقوق السياسية للأقليات الدينية فى دولة إسلامية ؟ وهل يمكن اختيار رئيس الدولة ورئيس الوزراء والوزراء منها ؟

● فى القرآن الكريم ، وفى الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الممتحنة ، يحدد القرآن الكريم معايير الإسلام فى الموالة والمعاداة بين المسلمين وغير المسلمين :

﴿ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكَ أَنْ تَبْرؤَهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يَجِبُ الْمَقْسِطِينَ . إِنْ مَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

وانطلاقاً من هذه الآيات المحكمة فالمواطنون من أبناء الأقليات الدينية - الكتائبون - الذين يعيشون مع الأغلبية المسلمة ، ويشاركونهم الانتماء للوطن ، والولاء له ، هم شركاء فى المواطنة ، لهم البر والعدل ، فريضة من الله على الأغلبية المسلمة .

وإذا كان الإسلام قد جعل من التعددية فى الشرائع الدينية سنة من سنن الله فى الاجتماع الدينى ،

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَلَكُمْ فِي مَاءِ اتِّكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) .

( ١ ) سورة المائدة : الآية ٤٨

فإن دستور دولة الإسلام الأولى ، في المدينة ، على عهد رسول الله ، ﷺ ، قد قرر التمييز بين « أمة » - جماعة - الدين ، وبين « أمة » - جماعة - الرعاية السياسية .. فحرية الدين تحدد خطوط تمايز الجماعات المختلفة في الدين ، على حين تجمعها جميعاً رابطة المواطنة الواحدة والرعية السياسية في الدولة الواحدة .. فهناك نوعان من المواولة :

( أ ) مواولة في الدين بين أهل كل دين ، تظهر في المناصب والتنظيمات ذات الطبيعة والشروط والوظائف الدينية ، والتي ترعى الشؤون الدينية لأهل كل دين ، وفيها لا ولاية لغيرهم عليهم .. بصرف النظر عن القلة والكثرة العديدة لهذه الجماعات والملل الدينية ..

( ب ) ومواولة في الشؤون العامة للدولة المشتركة ، تظهر في المرجعية التي تعبر عن هوية الدولة ورسالتها .. وهذه المرجعية والهوية والرسالة تتحدد تبعاً لأغلبية المواطنين .. ولشمولية الإسلام الدولة مع الدين - وهي خصيصة تميز بها عن النصرانية خاصة ، تلك التي وقفت عند خلاص الروح ومملكة السماء ، تاركة ما لقيصر لقيصر وما لله لله .. مع تأكيد أن إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها لا تعنى انتقاصاً من المساواة في الحقوق أو تمييزاً في الواجبات الحياتية بين كل المواطنين من أبناء كل الديانات .

وعن هذه الحقيقة الدستورية جاء في « الدستور » - الصحيفة - الكتاب - الذي حكم علاقات الرعاية بعضها ببعض ، وعلاقاتها بولاية الأمر ، في دولة الإسلام الأولى : « وأن يهود أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأنتم ، وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم » .

فتقررت - في هذه « المواد » المساواة في الحقوق والواجبات .

ثم تقررت إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها ، بالنص على : « وأنه ماكان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله .. » (٢) .

والأمر الذي يجعل من إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها أمراً لا ينتقص من حقوق المواطنة لغير المسلمين ، في الدولة ذات الأغلبية الإسلامية ، أن « إسلامية الدولة » من حيث « إسلامية قانونها » هو مطلب ديني للإسلام ، لا يقابله مطلب نصراني للنصرانية . فالنصرانية

---

( ٢ ) انظر نص الصحيفة في ( مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ) ص ١٥ - ٢١ .

التي لم تأت بشرعية للدولة والسياسة والاقتصاد وشئون العمران الدنيوي ، والتي تركت ما ليقصر لقيصر وما لله لله ، لا يضيرها ، ولا ينتقص من حقوق أبنائها « إسلامية قيصر - الدولة » .. لأنها في كل الحالات قابلة بـ « قانون » ينظم العلاقات في الدولة ، فإذا كان هذا القانون إسلامياً ، يعبر عن الهوية الإسلامية للدولة ، فإنه لا يمثل انتقاصاً منها ، ولا بديلاً عنها ، فضلاً عن أنه - مع عدله مع كل الرعية - هو جزء من الاعتقاد الديني للأغلبية التي تعاشها وتوطنها .

ولقد أكد هذه الحقيقة - حقيقة قيام المساواة في حقوق وواجبات المواطنين ، بين الأغلبية المسلمة وبين الأقليات الكتابية - « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » - مع « إسلامية الدولة » - في هويتها ورسالتها وحضارتها وثقافتها - أن هذه الإسلامية لم تقم كبديل عن « نصرانية الدولة » في المرحلة التي سبقت فتوحات الإسلام وقيام دولته الإسلامية . فالنصرانية الشرقية - والتي هي دين لا دولة - قد ظلت ديانة مضطهدة في الشرق ، حتى جاء الإسلام فأمن أهلها لأول مرة في تاريخهم النصراني؟! .. فدولة الإسلام كانت بديلاً لدولة الروم البيزنطيين المستعمرين ، ولم تكن بديلاً لدولة نصرانية وطنية شرقية ، ولذلك كانت تدريراً للنصارى وتأميناً للنصرانية ، ولم تكن انتقاصاً لحق من حقوقهما !

ولقد بلغ الإسلام في التأسيس لوحدة الأمة في المواطنة ، على اختلاف دياناتها ، أن شرع لتعدد الديانات في الأسرة الواحدة - وهي لبنة الأمة والشعب - فيزواج المسلم من الكتابية ، يكون للأولاد المسلمين أم كتابية وأحوال كتابيون ١ - الأمر الذي يؤسس وحدة الأمة بدياناتها المتعددة ، على التعددية التي قررها الإسلام في لبنات الأساس .

وإذا كانت سنة : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » قد مثلت عنواناً على تراث من المبادئ والتشريعات والممارسات ضمنت العدل والمساواة بين أهل الديانات المتعددة في دولة الإسلام ، حتى لقد انفردت حضارة الإسلام بتجسيدها لهذه التعددية بين الحضارات الأخرى ، فإن الفكر الإسلامي ، والممارسة الإسلامية قد أكدا أن إسلامية هوية الدولة ومرجعيتها ورسالتها الحضارية - فضلاً عن أنها حق من حقوق الأغلبية المسلمة في أن تحكم بأبيولوجيتها - بالمنطق الديمقراطي .. وحق الإنسان في أن يحكم بالقانون الذي تريده الأغلبية - والذي لا يخل بالعدل والمساواة بالنسبة للأقليات ... إن هذا الفكر وهذه الممارسة قد ميزا بين الولايات التي فيها « رسالة دينية إسلامية » ، فمن الطبيعي أن يليها مسلم ، وبين الولايات التي لا تحمل « رسالة دينية إسلامية » ، وفيها يتساوى كل المواطنين ، على اختلاف الديانات التي يتدينون بها .

فعندما نكون بصدد تكوين هيئة للاجتهاد الإسلامي في الشريعة الإسلامية والقانون الإسلامي .. فلا بد من اشتراط الإسلام في أهل هذا الاجتهاد . وعندما نكون بصدد خبرات أهل الذكر في الشؤون الحياتية فلا مجال للتمييز بين عقائد أهل الذكر هؤلاء .. وكذلك عندما نكون

بصدد تكوين هيئات ومؤسسات المراقبة والمحاسبة للحكومات - البرلمانات - فلا مجال للتمييز بين المواطنين بسبب الاعتقاد الديني ..

وعندما يكون القاضى - كما كان قديماً - مجتهداً في الدين الإسلامى ، فلا بد وأن يكون مسلماً ، أما إذا كان القاضى منفذاً للقانون - كما هو الغالب الآن - فلا مجال للتمييز بين عقائد القضاة .

وعندما تكون لرئيس الدولة الإسلامية ولايات دينية - رغم كونه حاكماً مدنياً ... مثل إمامته للأمم في الصلاة ، وقيادته الدعوة إلى الإسلام والجهاد فى سبيل- نصرته الإسلام .. وقضاء المظالم وفق شريعة الإسلام .. إلى آخر ولايات حراسة الدين الإسلامى ، فضلاً عن سياسته للعنصر بهذا الدين .. فلننا نكون أمام شروط فى رأس الدولة لا تتحقق إلا إذا كان مسلماً .. فحجب غير المسلم عن هذا المنصب ليس انتقاصاً من المساواة فى المواطنة ، وإنما هو لغيبه شروط لا بد منها فىمن يلى هذه الولاية ذات الرسالة الإسلامية ، غيبتها عن غير المسلمين !!

ومثل ذلك مثل المواطن الذى لم تجتمع فيه شروط منصب من المناصب ، فإن ذلك لا ينتقص من حقوقه فى المواطنة الكاملة ، وإنما هو أمر يتعلق بغيبه الشروط اللازمة فىمن يلى هذا المنصب .

وإذا كانت إسلامية الدولة ، هى مطلب دينى إسلامى ، وفى غيبتها لا يكتمل إسلام الدولة والأمة ، وإذا كانت هذه الإسلامية للدولة - التى يرمز لها إسلام رئيس الدولة - ليست بديلاً ولا نقيضاً لعقيدة نصرانية توجب نصرانية الدولة وقانونها ونظامها - ومن ثم رئاستها ... فإن الذين يطرحون مطلب تولى نصرانى ، مثلاً الرئاسة لدولة أغلبيتها مسلمة ، إنما يفتعلون « مشكلة » ثم يبحثون لها عن « حل » ! فالدولة ليست شريعة نصرانية حتى يطلبها النصرانى بحكم نصرانيته ، وإنما هى شريعة إسلامية ، يطلبها المسلم استكمالاً لإسلامه .. ففى ولايتها بُعد دينى إسلامى . وإذا كان المسلم مطالباً بأن يدع الولايات ذات الرسالة النصرانية للنصارى ، فإن الولايات ذات الرسالة الإسلامية والبعد الدينى الإسلامى ، والشروط الإسلامية ، لا بد وأن يشترط فيها إسلام متوليها .

وإذا كان غريباً - ومستحيلاً - أن يطلب مسلم بريطانى أن يكون ملكاً على بريطانيا - وملكتها - بنص الدستور - حارسة الكنيسة - فإن من الغريب - دينياً .. وديمقراطياً - أن نجعل الولايات ذات الرسالة الدينية فى الدولة الإسلامية « مشكلة .. ومطلباً » فى علاقات الكتائب كالثورات بالأغلبية المسلمة فى الدولة الإسلامية !!

لقد قرر الفقه الإسلامى - منذ عصر الماوردى ( ٣٦٤ - ٤٥٠ هـ ٩٧٤ - ١٠٥٨ م ) - أن

« ولايات ووزارات التفويض » - ذات الرسالة الدينية الإسلامية - هي اختصاص إسلامي ..  
بينما « ولايات ووزارات التنفيذ » - التي لا تحمل رسالة دينية إسلامية - هي مشاع مفتوح لأهلها  
من الكتابيين<sup>(٣)</sup> .. ومارس المسلمون ، من خلال دولهم الإسلامية ، تطبيق هذا الاجتهاد  
الإسلامي ..

ولقد آن الأوان للإقلاع عن افتعال « مشكلات » ، ثم البحث عن « حلول - مفتعلة » لها .  
فتخصيص « الولايات ذات الرسالة الدينية الإسلامية » للمسلمين .. هو كتخصيص « الولايات  
ذات الرسالة الدينية النصرانية » للنصارى ، لا يعنى ذلك انتقاصاً من حقوق المواطنة بالنسبة  
لمن يحجب عن ولاية هذه الولايات .. لأن هذا الحجب هو إلى الافتقار إلى شروط هذه الولايات  
أقرب منه إلى التمييز الذى يخل بحقوق المواطنة .

إن المساواة بين المواطنين حتى فى الدولة التى تكون رعيّتها كلها مسلمة ، لا يعنى توافر  
كل شروط جميع المناصب فى كل مواطن مسلم .

وولاية منصب ما هى حق لمن تجتمع فيه شروطه .. وليس فى ذلك إخلال بمبدأ المساواة  
فى المواطنة ، حقوقاً وواجبات ، تلك التى سنّها رسول الله ﷺ عندما حدد علاقة المسلمين  
بالكتابيين فقال : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

---

( ٣ ) انظر للماوردى « الأحكام السلطانية »



## السؤال الثامن

ما رأى الإسلام فى الصلح مع إسرائيل وإقامة علاقات تعاون اقتصادى وعلمى وثقافى معها؟ وهل يمكن الدخول فى ترتيبات أمنية معها؟ وهل يمكن لدولة إسلامية أن تستعين بها لمواجهة دولة إسلامية أخرى؟

● إن الموقف الإسلامى من دولة إسرائيل - فى جوهره وحقيقته - ليس موقف «إسلام» من «يهودية»، ولا موقف «مسلمين» من «يهود».. أى ليس صراعاً دينياً خالصاً.

فعلى الرغم من اعتبار القرآن اليهود هم - والمشركين - الأشد عداوة للمؤمنين

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (١) -

وهى حقيقة قرآنية صدق عليها الواقع التاريخى فى علاقة اليهود بالإسلام والمسلمين، لأنهم قد ساروا على سنة إسقاط المعايير الأخلاقية فى تعاملهم مع الآخرين

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢) ..

على الرغم من ذلك، كانت الحضارة الإسلامية الحضارة الوحيدة التى تمتع فيها اليهود بالأمان، بل والامتيازات، حتى كادوا - وهم الذين استعصوا على الاندماج فى الأوطان التى عاشوا فيها - يندمجون فى أوطان ديار الإسلام.. ففلاسفتهم غدوا جزءاً من الفلسفة الإسلامية، و«نحو» العبرية - فى الأندلس - تأثر «بنحو» العربية وقواعدها.. وكذلك «عروض» الشعر العبرى تأثر «بعروض» الشعر العربى.. بل لقد أصابهم ما أصاب المسلمين من مد وجزر

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٥

وسعد ونحس وأمن وخوف في كثير من بقاع الإسلام في فترات كثيرة من تاريخ المسلمين ..  
ولقد وقف وراء هذه العلاقة المتميزة موقف الإسلام من الديانات الأخرى ، ومن أبنائها ،  
وإيمانه بالتعددية ، واحترامه لحرية التدين وللخصوصيات الاعتقادية ، وتركه الفصل في  
الخلافات على هذه الجبهة الدينية للخالق ، سبحانه وتعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٣)

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ  
لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ  
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤)

تلك هي نظرة الإسلام والمسلمين لليهودية واليهود .

لكن الاستعمار الغربي ، الذي فشل في ظل غزوته الصليبية ( ٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ) - ( ١٠٩٦ -  
١٢٩١ م ) في استمالة الأقليات النصرانية الشرقية إلى جانبه ، كى يتخذ منها ثغرة للاختراق  
وموطىء قدم في بلادنا ، قد ركز على هذا الهدف منذ بدء غزوته الحديثة ، فأصدر بونابرت  
[ ١٧٦٩ - ١٨٢١ م ] وهو يحاصر « عكا » عام ١٧٩٩ م نداء إلى يهود العالم يعرض عليهم  
« المشاركة » والمساعدة في بناء إمبراطوريته الشرقية مقابل إعادة « ملك بنى إسرائيل » إلى  
اليهود !!.. ومنذ ذلك التاريخ بدأت قصة اليهود - وخاصة الصهاينة - كشريك - أصغر في  
المشروع الغربي للهيمنة على وطن العروبة وعالم الإسلام .. وتنقلت هذه « الشراكة » مع مواقع  
« النجم الصاعد » في الهيمنة الغربية .. فرنسا .. فانجلترا .. فالولايات المتحدة الأمريكية ،  
حتى قامت إسرائيل دولة عام ١٩٤٨ م ، وتوسعت عبر حروبها المتتالية مع العرب .

إذن ، فدولة إسرائيل ، في النظرة الإسلامية ، ليست « اليهودية » كدين ، ولا « اليهود »  
المتدينين باليهودية ، وإنما هي جزء من المشروع الغربي لاحتلال الأرض وكسر الشوكة  
وإعاقة التقدم في وطن العروبة وعالم الإسلام . فجوهر الصراع ليس دينياً .. وإنما هو اغتصاب  
أرض الإسلام ، واقتلاع المسلمين وإخراجهم من ديارهم ، وإقامة قاعدة ورأس حربة لمشروع  
الهيمنة الغربية على عالم الإسلام .

( ٣ ) سورة النقرة : الآية ٢٥٦

( ٤ ) سورة المائدة : الآية ٤٨

وللإسلام من هذه القضية - قضية اغتصاب الأرض والإخراج من الديار - موقف حسمه القرآن الكريم عندما قال :

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥)

فلا موالاة ولا سلم بين المسلمين وبين من يخرجونهم من ديارهم ويظاهرون على إخراجهم من الديار . بل إن موقف الإسلام من هذه القضية ليتأكد ويزداد حسماً ووضوحاً ، عندما نعلم أن المسلمين الأوائل ، تحت قيادة رسول الله ﷺ ، لم يحاربوا مشركي قريش لمجرد شركهم ورفضهم للتدين بالإسلام ، فالحرب للإكراه على الدين مرفوضة إسلامياً ، وهى لا تثمر « إيماناً » بل « نفاقاً » يدينه الإسلام!؟ .. وإنما حارب المسلمون المشركين لأنهم اعتدوا على المؤمنين ، وفتنوه عن دينهم ، ولأنهم أخرجوهم من ديارهم!؟ .. والذين يتأملون آيات القرآن الكريم التى جاء فيها « الإذن » بالقتال ، بعد الهجرة ، و« التحريض » على هذا القتال ، يرون كيف كان « الإخراج من الديار » فى مقدمة أسباب الإذن بالقتال والتحريض عليه :

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا . وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (٦)

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا . إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٧)

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدَّقَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ

(٥) سورة الممتحنة : الآيتان ٨ ، ٩

(٦) سورة الحج : الآيتان ٣٩ ، ٤٠

(٧) سورة البقرة : الآيتان ١٩٠ ، ١٩١

بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْأَعْرَاجِ أَهْلَهُ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴿٨﴾

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ (٩)

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ (١٠)

﴿ وَكَانَ مِنْ قَرِيبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِينِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَ عَنْهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (١١)

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴾ (١٢)

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١٣)

﴿ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَحُوا آبَاءَهُمْ وَهَمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۗ أَتُحْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تُحْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤)

(٨) سورة البقرة : الآية ٢١٧

(٩) سورة الأنفال : الآية ٣٠

(١٠) سورة الاسراء : الآية ٧٦

(١١) سورة محمد : الآية ١٣

(١٢) سورة آل عمران : الآية ١٩٥

(١٣) سورة الحشر : الآية ٨

(١٤) سورة التوبة : الآيتان ١٣ ، ١٤

فمشروعية الجهاد ، ووجوب القتال ، ليس لمجرد المغايرة في الاعتقاد - شركاً أو يهودية - وإنما للإخراج من الديار .

وإذا كان مشركوا قريش قد اضافوا إلى إخراجهم المؤمنين من ديارهم وأموالهم محاولتهم ان « يُثْبِتُوا » رسول الله ، ﷺ ، أى أن يحبسوه ، أو يخنوه بالجراح ، فهذا ما تجاوزت فيه دولة إسرائيل الحدود مع العرب والمسلمين ، على امتداد ما يقرب من نصف قرن حتى الآن .

وإذا كان مشركوا قريش قد اضافوا إلى ذلك « فتنتهم » المسلمين عن دينهم ، فإن إسرائيل تعلن على الملأ أن دورها في « الشراكة الغربية » لم ينته بسقوط الشيوعية ، وإنما دورها القائم والقادم في محاربة اليقظة الإسلامية ، لحساب الغرب ، دور كبير ، ولا يمكن للغرب أن يستغنى عنه ، ورئيس دولتها « حاييم هيرنزوج » هو القائل : « إن إسرائيل تصدت في الماضى لخطر الشيوعية والاتحاد السوفيتى . وإن لإسرائيل دوراً في المستقبل ، بعد زوال الاتحاد السوفيتى ، وهو التصدى لخطر الأصولية الإسلامية على نطاق منطقة الشرق الأوسط كلها(١٥) ١٩ . إن العالم يجهل الخطر الأكبر الذى يهدده وهو الأصولية الإسلامية(١٦) .. » !

إذن ، فاغتصاب الأرض ، والإخراج من الديار ، وقتل المسلمين ، وفتنتهم عن دينهم ، وإجهاض كل محاولاتهم للنهوض ، هي جوهر الصراع مع دولة إسرائيل - كقاعدة لمشروع الهيمنة الغربية ، وأداة للإذلال الاستعماري للمسلمين .. ومن ثم ، فإن الموقف الإسلامى من هذه الدولة هو الجهاد ، كفرض عين على كل مسلم ومسلمة ، حتى تحرير الأرض ، خصوصاً وأنها ليست « أى أرض » ! وإنما هي الأقصى المقدس - أولى القبلتين ، وثالث الحرمين - الذى بآرك الله حوله :

﴿ سُبْحٰنَ الَّذِىٓ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِىٓ بَرَكَّا حَوْلَهٗ لِنُرِيْهِ مِّنْ ءَايٰتِنَاۤ اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيْرُ ﴾ (١٧) ..

فالعلاقة به آية من آيات الله ، والأرض المغتصبة هي وديعة وأمانة عمر بن الخطاب لدى الأمة الإسلامية . فللقضية « خصوصية » تؤكد الموقف الإسلامى العام من اغتصاب الأرض والإخراج من الديار والقتال في الدين والفتنة في الاعتقاد .

هذا هو الموقف الإسلامى من دولة إسرائيل .

( ١٥ ) انظر صحيفة « الأهالي » المصرية - عدد ١٩٩٢/٤/٨ م مقال للكاتب محمد سيد أحمد - ص ٢

( ١٦ ) من خطاب له في البرلمان البولندى بتاريخ ١٩٩٢/٥/٢٩ م

( ١٧ ) سورة الاسراء : الآية ١

أما جواز « الصلح » معها ؟.. فقضية تحتاج ، إسلامياً ، إلى تحرير مضامين المصطلحات .  
فإن كان المراد « بالصلح » : السلم الدائم .. فهذا لا يجوز ، لأن فيه تكريساً لاغتصاب الأرض  
والإخراج من الديار ، والفتنة في الدين .

وأما إذا كان المراد « بالصلح » : الهدنة التي تفرضها توازنات القوى ، وضرورات السياسة  
والحرب ، داخلياً ودولياً .. فذلك جائز ، شريطة أن تقدر الضرورة بقدرها ، وأن يتفق عليها  
أولو الأمر - أي كل أهل الذكر والشوكة في الأمة ، بالإجماع أو بالأغلبية ، وبشرط السعي الجاد  
والحثيث لتسخير الإمكانيات اللازمة لتجاوز عوامل هذه الضرورة وأسبابها .

فَالْهُدْنَةُ - حتى ولو سميت « صلحاً » - هي الجائزة ، وليس السلم الدائم ، الذي يعترف بثمرات  
الاعتصام ، ويدبم آثار العدوان ، ويهمل تنمية أسباب القوة لاسترداد الحق السليبي !

وهذا هو الذي صنعه رسول الله ﷺ ، مع مشركي قريش ، في « صلح الحديبية » - في  
ذى القعدة عام ٦ هـ - مارس ٦٢٨ م - فلقد كان هذا الصلح « هدنة » موقوتة بعشرة أعوام  
« يتداخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضاً » (١٨) - وإن كان المؤرخون قد سموها « صلحاً » -  
لكنها لم تكن « سلاماً دائماً » مع الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم وفتنوهم في الدين !.. ولقد  
كرس المسلمون جهدهم يومئذ في نشر الإسلام ، وتقوية الدعوة ، حتى جاء يوم الفتح المبين !

وفي الهدنة ترد : الترتيبات الأمنية وغيرها مما يحقق ضرورات الفرقاء المتهادنين .. وهي  
ضرورات تقدر بقدرها .. شريطة ألا تكون عوامل لتكريس الواقع الظالم ، وإنما لا بد وأن تدفع  
وتساعد على تهيئة الأوضاع التي تزيل الضرورات ، وتسمح بالجهاد لاسترداد الحقوق السليبية .

أما عن الموقف من جواز « استعانة دولة إسلامية بدولة إسرائيل على دولة إسلامية  
أخرى » ، فهذا منكر ومحرم لا يجوز أن يقترفه مسلم ، فرداً كان أو جماعة أو دولة .

إننا ، إسلامياً ، منهيون عن موالاتة إسرائيل .. ومن باب أولى لا يجوز لنا أن تبلغ موالاتنا  
لها حد الاستعانة بها على فريق من المسلمين .

وإسرائيل تجسد مقولة القرآن الكريم :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ ﴾

( ١٨ ) انظر : ابن عبد البر [ الدرر في اختصار المغازي والسير ] ص ٢٠٥ . تحقيق : د . شوقي ضيف .  
طبعة القاهرة ، ١٩٦٦ م

.. فكيف يجوز - شرعاً وعقلاً - الاستعانة بأشد الناس عداوة ضد جزء من الأمة الإسلامية !؟

إن الاستعانة بإسرائيل في مواجهة دولة إسلامية أخرى هي موالة للعدو ، منهي عنها بنص القرآن الكريم ، وفيها اتخاذ هذا العدو « بطانة » ضد عضو من أعضاء جسد أمة الإسلام ، والله ، سبحانه وتعالى ، يحذرننا من ذلك ، وينهانا عنه عندما يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوَامَاعِنْتُمْ قَدْ  
بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ  
تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ .

## السؤال التاسع

يرفض البعض مفهوم القومية العربية كأساس للتعاون بين الدول العربية ، ويقولون إن الرابطة الدينية الإسلامية هي الأساس الوحيد للتجمع والانتماء بين الدول ، فهل هذا صحيح ؟

● الإسلام دين الفطرة السليمة ..

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وعندما يعود الإنسان إلى فطرته السليمة ، التي فطره الله عليها ، فسيجد أن لديه ولاء وانتماء إلى « الأهل » - بمعنى الأسرة والعشيرة ، ثم إلى « الشعب » في الوطن والإقليم الذي ينتسب إليه ، ثم إلى الأمة - الجماعة - التي يتكلم لسانها - وهي الأمة بالمعنى القومي - ثم إلى الأمة - الجماعة - التي يشترك معها في الاعتقاد الديني ، ثم إلى الإنسانية ، التي خلقه الله وإياها من نفس واحدة ، دون أن يكون هناك تناقض أو تعارض بين هذه « الدوائر » في « الولاء والانتماء » .. فهي أشبه ما تكون بدرجات سلم واحد ، يفضى بعضها إلى بعض ، ويدعم أحدها الآخر ، وخاصة إذا خلت مضامينها من الأفكار الشاذة التي تقحم عليها التناقضات .

وكذلك الحال إذا عاد الإنسان إلى فطرته السليمة ، فإنه سيجد له حنيناً خاصاً إلى المكان الذي ولد فيه ، وولاء للوطن الذي يحمل جنسيته والذي ضمن له الرعاية والخدمات .. وولاء وانتماء للوطن الأكبر ، الذي كونت ذكريات انتصاراته وطموحاته وآماله وآلامه مخزون التاريخ والتراث الذي شكل ويشكل تميز هوية هذا الإنسان ، دونما تناقض أو تعارض بين هذه الدوائر المتسعة والمتتالية والمتربطة لوطن هذا الإنسان !؟ ..

( ١ ) سورة الروم : الآية ٣٠



إنن ، فافتعال التناقض بين الانتماء العربى وبين الانتماء الإسلامى - لدى بعض من الإسلاميين ، وبعض من القوميين - هو ثمرة لغبية منهاج الفطرة السليمة فى النظر لقضية الانتماء ودوائره .. أو هو ثمرة لسوء الفهم الذى أحدثته مضامين غريبة وشاذة وخاطئة وضعت فى أوعية مصطلحاتنا ، فأدت إلى خلافات مفتعلة بين فرقاء لو حددوا مرادهم بالمصطلح الذى يرددون لزال الخلاف والاختلاف !

فمصطلح « القوم » - الذى اشتقت منه « القومية » - مصطلح عربى ، بل وقرآنى .. وفى القرآن الكريم حديث عن العرب ، قوم الرسول ، ﷺ ،

﴿ وَإِنَّهُ لَدِكُّكَ لِقَوْمٍ ﴿٢﴾ وَسَوْفَ يُسْأَلُونَ ﴾

فقوم الإنسان هم الدائم الإقامة معه ، والذين تربطهم معه الروابط التى اصطلح على تسميتها « سمات القومية » ، وأولها رابطة اللسان - اللغة .

بل لقد حدد حديث رسول الله ، ﷺ ، دور اللغة العربية فى تحديد دائرة القوم العرب ، عندما استنكر أن تكون العصبية العرقية والنسبية هى التى تحدد من هو العربى ، فقال : « ليست العربية بأحدكم من أب أو أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى » (٣) !

فإذا اتفق الفرقاء الذين يفتعلون الخلاف حول تبنى أو رفض « القومية العربية » وحول علاقتها بدائرة « الجامعة الإسلامية » .. إذا اتفقوا على استبعاد المفهوم العرقى العنصرى للقومية - وهو مفهوم غربى وافد إلينا من الفكر القومى الغربى - وإذا اعتمدوا معيار « العربية » - « اللغة والثقافة » - لتحديد دائرة العروبة وأبنائها ، زال الخلاف المفتعل بين دائرة الانتماء القومى - والقومية العربية - وبين دائرة الانتماء الإسلامى - والجامعة الإسلامية ، بل إنهم سيكتشفون قاعدة للعلاقة بينهما ورباطاً للاتفاق ، ذلك أن اللسان العربى ، الذى يحدد من هو العربى ، هو فى ذات الوقت لسان الإسلام وقرآنه الكريم .. وبدون عروبة اللسان لا يمكن للمسلم أن يبلغ درجة الاجتهاد فى الدين واستنباط الأحكام من القرآن ، فكأنما « العقل المسلم » للدولة الإسلامية لا بد وأن يكون « عربياً » فى أية قومية من قوميات الإسلام!؟ ..

فتحديد مضمون مصطلح « العروبة » ، ومعيار « العربى » هو الذى سيفك الاشتباك المفتعل بين القوميين والإسلاميين ، وبين الرابطة القومية العربية والرابطة الدينية الإسلامية ، وعند ذلك يعود الجميع إلى دوائر الانتماء ، التى صنعتها الفطرة السليمة : الوطن الإقليمى ، فالوطن

( ٢ ) سورة الزخرف : الآية ٤٤

( ٣ ) ( تهنيد تاريخ ابن عساكر ) ج ٢ . ص ١٩٨ . طبعة دمشق

القومى ، فالمحيط الإسلامى ، الذى يضم قوميات إسلامية ، كالجزر التى يحتضنها المحيط ، دون تنافر أو تناقض أو عداة !

وهذا التحديد ، الذى ينفى المفهوم العرقى للقومية ، سينفى أيضاً المفهوم الضيق للوطنية ، بالمعنى القطرى والإقليمى ، ليس بمعنى إسقاط « الوطن - الإقليم - القطر » ، وإنما بمعنى عدم الوقوف عند دائرته كنهاية للأفق والمطاف .. فالوقوف عند الدائرة « الوطنية - القطرية - الإقليمية » هو مفهوم عنصرى ضيق الأفق لمصطلح « الوطنية » .. وكذلك الحال مع الوقوف عند « الدائرة القومية - العربية » ، مع إسقاط الدائرة الإسلامية .. هو الآخر مفهوم عنصرى ضيق الأفق لمصطلح « القومية العربية » .. وإذا نحن اكتشفنا واعتمدنا علاقة الأخص بالخاص بالعام بالأعم لدوائر « الوطنية » و « القومية » و « الجامعة الإسلامية » و « الإنسانية » ، انتفت هذه التناقضات المفتعلة ، بإحلال منهاج الفطرة الإنسانية السليمة محل المفاهيم العنصرية الطارئة على حياتنا الفكرية العربية الإسلامية !

والأمر الذى يزيد من شذوذ هذا الخلاف المفتعل بين دوائر الانتماء هذه ، أن كثيرين من أعلام النهضة الإسلامية الحديثة قد كتبوا فى هذا الموضوع مؤكدين تكامل هذه الدوائر للانتماء ، نافين أى تناقض بينها .

فإمام الإصلاح القومى والإسلامى فى المغرب العربى ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ( ١٣٠٥ - ١٣٥٩ هـ ١٨٨٧ - ١٩٤٠ م ) له فى هذه القضية كتابات كثيرة .. منها مقال كتبه فى ذكرى ميلاد الرسول ﷺ ، جعل عنوانه : « محمد ، ﷺ ، رجل القومية العربية » .. وفيه يقول : « هذا هو رسول الإنسانية ورجل القومية العربية ، والأمة العربية ، الذى نهتدى بهديه ، ونخدم القومية العربية خدمته ، ونوجهها توجيهه ، ونحيا لها ، ونموت عليها ، وإن جهل الجاهلون .. وخذع المخدوعون .. واضطرب المضطربون .. » (٤) !

وهو نص واضح وحاسم لا يحتاج إلى أى تعليق (٥) !

وأبرز أئمة الإصلاح الإسلامى فى القرن الرابع عشر الهجرى ، الشيخ حسن البنا ( ١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ ) - ( ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م ) هو القائل عن علاقة التكامل والتساند بين دوائر الانتماء « الوطنية » و « العربية » و « الإسلامية » :

« إن الإخوان المسلمين يحبون وطنهم ، ويحرصون على وحدته ، ولا يجدون غضاضة

---

( ٤ ) ( كتاب آثار ابن باديس ) ج ٢ مجلد ٢ ص ١٧ - ٢١ طبعة الجزائر ١٩٦٨ م  
( ٥ ) انظر فى النصوص المشابهة ملحق كتابنا ( الإسلام والعروبة ) ص ١٥١ - ٢٦١ . طبعة القاهرة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م

على أى إنسان أن يخلص لبلده ، وأن يفنى فى سبيل قومه ، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار .. وأن يقدم فى ذلك الأقرب فالأقرب رحماً وجواراً ..

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربياً ، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبین ، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين ، وقد جاء فى الأثر : إذا ذل العرب ذل الإسلام . وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسى ، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم ، فالعرب هم عصبية الإسلام وحراسه .. والعروبة هى كما عرفها النبى ﷺ ، فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل ، رضى الله عنه : « ألا إن العربية اللسان ، ألا إن العربية اللسان » .

ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه ، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها .

ثم إن الإسلام ، كما هو عقيدة وعبادة ، هو وطن وجنسية ، قضى على الفوارق النسبية بين الناس .. فهو لا يعترف بالحدود الجغرافية ، ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية ، ويعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة ، ويعتبر الوطن الإسلامى وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناعت حدوده .

فالقومية الخاصة هى الأساس الأول لثنهوض المنشود .. والوحدة العربية هى الحلقة الثانية فى النهوض .. والجامعة الإسلامية هى السياج الكامل للوطن الإسلامى العام .. ثم إننا نريد الخير للعالم كله .. فلا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار ، فكل منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها (٦) ؟!

ذلك هو منهاج الفطرة الإنسانية السليمة فى رؤية تعددية وتكامل دوائر الانتماء .. وهو المنهاج الذى التزمه كل الذين نجت مناهجهم من المفاهيم الشاذة والغريبة التى أقمحت على مصطلحاتنا فى « الوطنية » و« القومية » ، كما نجت مناهجهم من التعصب لدائرة انتماء واحدة مع إدارة الظهر للدوائر الأخرى !

---

(٦) انظر : رسالة المؤتمر الخامس ص ٤٩ - ٥٠ . طبعة القاهرة ١٩٧٧ م

## السؤال العاشر

يدعى البعض أن الإسلام لا يسمح بالمعارضة السياسية ، ويتعامل معها بالسيف ، ويحرم اختلاف الرأي ، ويرفض فكرة الأغلبية ، فما هو وجه الحقيقة في ذلك ؟

● مادام من حق الحاكمين أن يؤيدهم المحكومون إذا هم أحسنوا ، فإن من حق المحكومين أن يعارضوا الحاكمين إن هم أساءوا !.. بل إن هذه المعارضة ، عند الإساءة ، هي من حقوق الحاكمين على المحكومين أيضاً !

فولاة الأمور وحكام المسلمين هم نواب عن الأمة ، فالسلطة الحقيقية الأصلية هي للأمة ، والحاكمون ليسوا بمعصومين ، وكل بني آدم خطاء .. والخطأ في الولايات العامة أكثر وقوعاً من الخطأ في الشأن الخاص ، وآثاره الضارة أكبر وأعم ، ومن ثم فالوزر عليه أشد وأثقل . ولصاحب الحق الأصل سلطان لا ينازع في مراقبة وتكيله ونائبه وخليفته في أداء ما فوض إليه من مهام ، كي تنجز هذه المهام على النحو الذي أراده صاحب الحق عندما عقد لثأبته عقد الوكالة والإنابة والتفويض !

وفي التجربة السياسية الإسلامية الأولى ، كانت الشورى - وهي استخراج الرأي من المشيرين استخراجاً - تعنى فيما تعنى تشجيع المحكومين على المشاركة بالرأى ، مؤيداً كان هذا الرأي أو معارضاً لولاة الأمور .

بل إن ولادة أمور المسلمين ، في دولة الخلافة الراشدة ، كانوا ينبهون الرعية على ضرورة المعارضة تنبيهاً . وأبو بكر الصديق ، هو الذى سن سنة الإلحاح على الرعية في مراقبة الحاكم ومحاسبته ومعارضته ، عندما قال في أول خطبة له بعد بيعته بالخلافة : « إنى قد وُلّيت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، إنما أنا مثلكم ، فإن استقمتم فاتبعونى ، وإن زغت فقومونى .. أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ! » (١) .

( ١ ) انظر نص الخطبة فى : النويرى ( نهاية الأرب فى فنون الأدب ) ج ١٩ ص ٤٢ - ٤٥ طبعة دار الكتب المصرية

وعندما فتح المسلمون ، على عهد عمر بن الخطاب ، العراق والشام ومصر ، حدثت معارضة كبيرة من جمهور كبير من الجند الفاتحين ، وفيهم نفر من كبار الصحابة ، لسياسة عمر الجديدة فى الأرض المفتوحة .. حتى لقد كان عمر يستجير بالله من شدة المعارضة وقسوتها عليه .. ثم حسم الخلاف - بعد أن تأزم - بالشورى والتحكيم (٢)!

وعندما بوبع لأبى بكر بالخلافة ، عارض البيعة له ، وامتنع عن مبايعته فريق من الصحابة ، أنصاراً ومهاجرين ، وكان فى المعارضين سعد بن عبادة - من « النقباء الاثنى عشر » - ولقد مات فى عهد عمر ، على معارضته لخلافة أبى بكر وعمر ، ودون أن يبائع لهما !؟ .. وكان من المعارضين كذلك على بن أبى طالب .. والذى ظل ممتنعاً عن البيعة لأبى بكر أشهراً ، قيل إنها ستة وقيل إنها ثلاثة (٣) !..

ولا يحسن أحد أن السماح بالمعارضة السياسية فى التجربة الإسلامية هى خصيصة راشدة ، ترجع إلى تقوى وورع الخلفاء الراشدين ، الباحثين عن النصح لدى الرعية كى لا يتمادوا فى الخطأ فتزداد ذنوبهم فى الحساب يوم الدين !

فضلاً عن هذا العامل - التقوى والورع - الذى يجب ألا يكون خصيصة راشدية ، وإنما خصيصة إسلامية ، بل وإنسانية ، وفضلاً عما تحققه المعارضة من ترشيد للحكم يسهم فى نجاح الحاكم والمحكوم كليهما ، فإن المعارضة - فى النظرة الإسلامية - مؤسسة على عدد من الأصول والمنطقات ، التى تمثل أسساً وثوابت فى النظرية السياسية الإسلامية ، وذلك من مثل :

حرية الإنسان : إن الإسلام يعتبر الحرية فطرة فطر الله الإنسان عليها .. وكلمة عمر بن الخطاب .. « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » تعبير دقيق عن فلسفة الحرية فى الإسلام ، كفطرة إنسانية ، تفسدها قيود الاستبداد والاستعباد ، بل إن القرآن الكريم يعتبر أن تحرير الإنسان من القيود والأغلال هو من جماع رسالة محمد ، ﷺ ، الذى بعثه الله للناس كى

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٤) !؟ ..

ولقد وضع أئمة الإسلام « الحرية » فى مقام « الحياة » ، وجعلوا « الرق » بمثابة « الموت » ! حتى وجدنا الإمام النفسى ( ٧١٠ هـ - ١٣١٠ م ) ، وهو يعالج كون كفارة القتل الخطأ هى تحرير رقيق من رقه ، يقول : « إنه ( أى القاتل ) - لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة

( ٢ ) انظر وقائع هذا الخلاف فى ( كتاب الأموال ) لأبى عبيد القاسم بن سلام - ص ١٣٥ وما بعدها . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م

( ٣ ) أنظر قصة هذه الأحداث فى كتابنا « الإسلام وفلسفة الحكم » ، ص ٧١ - ٩٢ طبعة القاهرة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م

( ٤ ) سورة الأعراف : الآية ١٥٧

الأحياء ، لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار ، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها ، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموال ، إذ الرق اثر من آثار الكفر ، والكفر موت حكماً .

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ (٥) ... ، (٦)

وعندما يكون الإنسان حرّاً في « تأييد » صواب ولاة الأمر .. فمن الطبيعي أن يكون حرّاً كذلك في « معارضة » ما يراه غير صواب !

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وهي - كأصل من أعظم أصول الفكر السياسي الإسلامي - لا تجعل « المعارضة » للأخطاء في السياسات مجرد « حق » من حقوق الإنسان ، وإنما تجعلها فريضة إلهية وتكليفاً دينياً .. فالمعارضة السياسية ، في جوهرها ، ليست سوى إنكار المنكر السياسي .. وهو فريضة من الله على كل مسلم ومسلمة ، كأفراد ، وكهيئات وجماعات منظمة .

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْغَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٧)

وهو معيار لخيرية الأمة .

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٨)

وبتخلفه تحل على الأمة كلها لعنة الله ، كما حدث لبني إسرائيل .

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٩)

ولهذا البلاغ القرآني فَصَّلَ وَطَبَّقَ البيان النبوي .. عندما حض على إنكار المنكر ومعارضته ، بل وتغييره - تأكيداً على أن المعارضة ليست مجرد تسجيل مواقف ، وإنما هي

(٥) سورة الأنعام : الآية ١٢٢

(٦) « مدارك التنزيل وحقائق التأويل » - تفسير النسفي - ج ١ ص ١٨٩ . طبعة القاهرة ١٣٤٤ هـ

(٧) سورة آل عمران : الآية ١٠٤

(٨) سورة آل عمران : الآية ١١٠

(٩) سورة المائدة : الآيتان ٧٨ ، ٧٩

تغيير يقدم البدائل : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » (١٠) ..!

وأهمية تنوع وتدرج أساليب المعارضة ودرجاتها ، هي دعوة كل الأمة المؤمنة إلى المشاركة في العمل العام ، دون عذر لمتخلف وسلبى بحجة قلة أو ضعف أو انعدام الإمكانيات .. فلا أقل من الرفض بالقلب ، إذا لم يستطع الإنسان المعارضة والتغيير وتقديم البديل ، بالقول والكتابة ، أو بالفعل والتطبيق؟! ..! فليس وراء هذه الحدود مكان أو أثر لإيمان في قلوب السلبيين! .

بل إن السنة النبوية تعلمنا أن التفريط في إقامة هذه « الفريضة الاجتماعية » لا يفسد « دنيانا » فقط ، وإنما هو « محبط » لأعمالنا ، يحول بينها وبين أن تفتح أبواب السماء لدعائنا؟! ..! فإلله أقرب إلينا من حبل الوريد ، لكنه لا يسمع للذين لا يعترضون على المنكر في اجتماعهم البشري : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه - ( تجبرونه ) - على الحق أطراً ، أو ليضرين الله بعضكم ببعض ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » (١١) ..! و« إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه يوشك الله أن يعمكم بعذاب من عنده » (١٢) !

ولمشقة هذا الطريق .. ولما يكلفه لأصحابه من مشقات ، وخاصة في عصور الجور والاستبداد ، رغب الإسلام فيه ، ونبه على أنه هو المنقذ من الخسران .. فالذين لا يتواصلون ويتفقون وينتظمون في الأمم والجماعات والمؤسسات القائمة على نصرة الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع الصبر على تبعات هذا الطريق ، إنما يرددون بإنسانيتهم من مرتبة « أحسن تقويم » إلى « الخسران » في أسفل السافلين !

﴿ وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١٣) ..

ولذلك كان « أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر » (١٤) ..!

- 
- ( ١٠ ) رواه مسلم والترمذى والنسائى والإمام أحمد  
( ١١ ) رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد  
( ١٢ ) رواه الترمذى  
( ١٣ ) سورة العصر : الآيات ١ - ٣  
( ١٤ ) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والإمام أحمد

.. فمعارضة ما يستحق المعارضة .. فريضة .. وجهاد .. بل أنها أفضل الجهاد - كما قال الرسول ﷺ !

ورغم هذا الموقف الإسلامى الواضح والحاسم - فى مشروعية المعارضة السياسية - عندما توجد دواعيها - وهى دائما موجودة للقيام بفريضة المراقبة والمحاسبة لولاة الأمور .. أى أن المعارضة وظيفة سياسية دائمة فى المجتمع ، للمراقبة والمحاسبة ، أما رفع الصوت المعارض بإنكار المنكر فهو رهن بوقوع وقيام المنكر .. وهى وظيفة لا تكفى فيها التكاليف الفردية ، لتتعد الحياة السياسية والاجتماعية على النحو الذى تحتاج المعارضة والمراقبة والمحاسبة فيه إلى مؤسسات وتنظيمات ، كى تتحقق من « المعروف » ومن « المنكر » ، وكى تقدم « البدائل » فى « التغيير » .. وهذا النهج المؤسسى المنظم ، هو الذى زكاة القرآن عندما دعا إلى أن تتولى ذلك « أمة » أى جماعة ، وعندما تكون المعارضة سياسية ، أى فى العمران السياسى والاجتماعى والاقتصادى وشئون الدولة - وكلها من الفروع الإسلامية - التى يجوز فيها الاجتهاد .. وتعدد الاجتهادات - فإن تعددية جماعات المراقبة والمحاسبة والمعارضة يكون أمراً طبيعياً ..

رغم هذا الموقف الإسلامى ، المؤسس لمشروعية المعارضة .. المنظمة .. فإن حيناً من الدهر قد جاء على الأمة الإسلامية ، تراجعت فيها الشورى لحساب الانفراد بالسلطة والسلطان .. ثم حدث أن جاءت المخاطر الخارجية التى هددت وجود الأمة .. من الغزوة الصليبية التى استمرت قرنين من الزمان ( ٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ) - ( ١٠٩٦ - ١٢٩١ م ) ومن التحالف الصليبي مع الغزوة التتريية الوثنية ( ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م ) .. الأمر الذى كرس « حكم التغلب » ومد العمر فى عهد « الاستبداد » ، حتى ظن نفر من الفقهاء انه هو « القاعدة » لا « الاستثناء »!؟ فظهرت فى كتابات فقهية متأخرة آراء تركز على وجوب « الطاعة المطلقة » من الرعية لكل « الأمراء » ، بصرف النظر عن « عدل » هؤلاء الأمراء .. وتحذر من الخروج - المعارضة .. والثورة - على هؤلاء « الأمراء » ، باعتبار أن فى ذلك خروجاً من « الإيمان » بالإسلام!؟ الأمر الذى مال بكفة الفكر - فى حقبة التراجع الحضارى الإسلامية - نحو « الطاعة » على حساب « الحرية »!

ولقد استند هؤلاء الفقهاء إلى تأويلات فاسدة ، لأحاديث نبوية صحيحة ، لكنهم أخرجوها - بهذه التأويلات الفاسدة - عن سياقها ، أو معانى مصطلحاتها ، كما عزلوها عن أحاديث أخرى ، وردت فى ذات الموضوع ، ومفسرة لها!..

- فمثلاً .. استندوا إلى حديث رسول الله ، ﷺ ، الذى يقول فيه : « من أطاعنى فقد أطاع



الله ، ومن يعصني فقد عصى الله . ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني» (١٥)

ونسوا الحديث الآخر - بل الرواية الأخرى لذات الحديث - والتي وردت في ذات الصحيح - صحيح مسلم - ونصها : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصا الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني ، ومن عصى أميرى فقد عصاني » .

فالحديث هو عن « أمير » من الأمراء الذين اختارهم وعينهم رسول الله ، ﷺ ، وليس عن كل الأمراء ، على امتداد حياة الإسلام والمسلمين ..!

بل ونسوا ما هو أكثر من ذلك ، وهو أن « الأمير » - في مصطلح عصر النبوة - هو أمير الجيش وقائد القتال .. وليس الوالى والعامل ورئيس الدولة .. ولطاعة أمراء الحرب في القتال مقتضيات ومقاصد وآليات مختلفة تماماً عن شورى ومراقبة ومحاسبة ومعارضة الحكام في شئون السلم وال عمران ..!

- كما استندوا إلى الحديث النبوى القائل : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه ، فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً ، فمات فميتته جاهلية » (١٦) ..!

وظفوا هذا الحديث فى الدعوة إلى « الطاعة التامة » لكل « الأمراء » ، حتى فيما « كرهت » الرعية من سياساتهم ..!

ولقد نسى هؤلاء الفقهاء أن الحديث ، أيضاً هو عن « أمير » الحرب والقتال ، وليس عن والى السلم والسياسة وال عمران ، وأن المطلوب هو عدم مفارقة صفوف الجماعة المقاتلة ، حتى ولو رأى المقاتل من قائده أمراً يكرهه .. وفارق بين ما نكره ، فيدعو الحديث للصبر على المكاره ، وبين ما يغضب الله ويخالف شريعته . وفيه « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » و « لا طاعة فى معصية الله » (١٧) و « لا طاعة لمن عصى الله » (١٨) و « لا طاعة فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف » (١٩) وليس فى المنكر ؟!

كما نسوا أن المعارضة للحاكم لا تعنى الخروج على « الجماعة » ، لأنها موقف فى سبيل

( ١٥ ) رواه مسلم

( ١٦ ) رواه مسلم

( ١٧ ) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والإمام أحمد

( ١٨ ) رواه ابن ماجه والإمام أحمد

( ١٩ ) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والإمام أحمد

« الجماعة » ، حتى ولو بلغت درجة « الخروج » على « الحاكم » !.. فالمعارضة الحققة هي - في الحقيقة - انحياز « للجماعة » ، وليست خروجاً عليها !.

- كما استند هذا النفر من فقهاء عصور التراجع الحضارى والتغلب السياسى - وهم قلة بين فقهاءنا - إلى حديث رسول الله ، ﷺ ، الذى يقول فيه : « من مات على غير طاعة الله مات ولا حجة له ، ومن مات وقد نزع يده من بيعة كانت ميته ميته ضلالة » (٢٠) !

ونسى هؤلاء الفقهاء أن « البيعة » التى يتحدث عنها الرسول ، ﷺ ، هنا هى « البيعة » التى بايعه المؤمنون بها ، أى البيعة على الإسلام والإيمان ، وبها ينتقل المبايع من الجاهلية إلى الإسلام ومن الضلالة إلى الهدى .. فهى ليست البيعة السياسية لحاكم من الحكام .. وعن هذه البيعة المعينة ، التى يؤدى الخروج منها إلى الكفر والضلالة ، جاء حديث القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِتْمَانًا يَبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (٢١)

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٢٢) ،

فذلك بيعة خاصة على الإيمان بالإسلام ، وهذا مقام خاص لرسول الله ، كبلغ عن الله .. فبيعته بيعة الله .. وطاعته طاعة الله .. وموضوعها الإسلام - إسلام الوجه لله - بلا اجتهاد ولا رأى ولا شورى - من أمور السياسة والدولة والمعارضة والتأييد للحكام !.

ثم نسوا - هؤلاء الفقهاء - أيضاً ، أن الحكام المتغلبين ، أو الظلمة ، الذين أرادوا تطويع الأمة لطاعتهم ، قد تولوا السلطة بلا بيعة شرعية حرة معتبرة .. وأن ظلم الحاكم وجوره وفسقه وضعفه ، هى أسباب مسقطه لطاعته ، تُجَلُّ الأمة من بيعتها له ، حتى ولو كانت له فى عنقها بيعة حرة شرعية صحيحة ، لأن فى الجور والفسق والضعف نقض لشروط التعاقد ، وتختلف لصفات وشروط الحاكم ، وفق شريعة الإسلام !..

وهكذا تسقط شبهات بعض الفقهاء على مشروعية المعارضة السياسية ، فى الفكر السياسى للإسلام .

أما موقف الإسلام من الاختلاف فى رأى .. فلا بد لفهمه من التمييز بين :

( ٢٠ ) رواه الإمام أحمد

( ٢١ ) سورة الفتح : الآية ١٠

( ٢٢ ) سورة النساء : الآية ٨٠

( أ ) الاختلاف فى الأصول - أصول العقيدة والشريعة .. وهذا هو الاختلاف المذموم ..  
لأنه « فرقة فى الدين » ..

( ب ) والاختلاف فى الفروع - فروع الدين والدنيا - مما لم يرد فيه نص محكم قطعى الدلالة والثبوت . وهذا هو المجال الطبيعى لتعددية الاجتهادات والمذاهب والمدارس الفكرية - سياسية وغير سياسية .. وهو اختلاف غير مذموم .

أما رأى الإسلام فى موضوع « الأغلبية » و « الأقلية » فى الأصوات والآراء .. فلقد اعتمد الإسلام سبيل الاقتراع والتحكيم فى المشكلات .. وهذا نهج يعتمد رأى الكثرة من أصحاب الرأى .. وفى الفقه الإسلامى - سواء منه السياسى - فى بيعة الأئمة والخلفاء - أو فى مطلق الاجتهاد الفقهى - نجد الترجيح لرأى « الجمهور » - أى الأغلبية .. ويجب أن ننتبه إلى الأمر الذى يخلط فيه البعض ، عندما يستدلون بآيات من القرآن الكريم على أن

﴿ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣) و ﴿ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢٤) و  
﴿ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٥) ..

فهذه كثرة جاحدة للوحى الإلهى .. وأمام الوحى وأصول الإيمان ، لا مجال للاقتراع وأخذ الأصوات ، ولا للكثرة العددية .. أما فى ميادين الحكمة ، والرأى ، والاجتهاد الإنسانى ، فإن رأى الكثرة يرجح رأى القلة .. ورأى « الجمهور » مقدم على رأى « البعض » .. ولهذا شرعت « الشورى » .. ولهذا قال ﷺ ، لأبى بكر وعمر : « لو اجتمعنا فى مشورة ما خالفتكما » (٢٦) نزولا على رأى الاغلبية - ٢ : ١ - ... !؟

بل إن الإسلام ليلبغ فى احترام رأى الأغلبية والجمهور ، إلى الحد الذى يجعل « العصمة » للأمة إذا اجتمعت على أمر من الأمور .. وفى هذا يقول الرسول ، ﷺ ، : « إن أمتى لا تجتمع على ضلالة » (٢٧) !

( ٢٣ ) سورة يوسف : الآية ٢١

( ٢٤ ) سورة يوسف : الآية ٣٨

( ٢٥ ) سورة الزعد : الآية ١

( ٢٦ ) رواه الإمام أحمد

( ٢٧ ) رواه ابن ماجه



# الإسلام والطب

الدكتور  
حسان مهتوت

- داعية إسلامي في الولايات المتحدة ، وعضو مجلس أمناء المنظمة العالمية للطب الإسلامي ، وعضو في لجنة أخلاقيات المهن للاتحاد الدولي للولادة وأمراض النساء .
- حاصل على درجة الزمالة من الكلية الملكية لأطباء النساء والولادة وكلية الجراحين الملكية بانجلترا وكلية الجراحين الأمريكية ، وعلى دكتوراه في الفلسفة من جامعة أدنبره .
- عمل أستاذاً لأمراض النساء والتوليد في الجامعات المصرية ثم بكلية طب الكويت التي أسهم في إنشائها .
- حاصل على نوط الامتياز عام ١٩٨٦ .
- له عدة مؤلفات: منها ، الجوانب الإسلامية لعلم أمراض النساء والتوليد ، ..



## السؤال الأول

يدعى البعض أن الاستعانة بالطب والدواء حرام ، بمقولة أن المرض مكتوب وأن الشافي هو الله وأن الطبيب لا يملك نفعاً ولا ضرراً ، فما رأى الدين في ذلك ؟ وهل يجوز علاج الأمراض بقراءة القرآن أو بحمل أحجية بها آيات قرآنية ؟

● إذا سلم أصحابنا معنا بأن معلمنا الذي علمنا الدين والذي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نطيعه هو سيدنا محمد ﷺ ، فإنه هو بنفسه قد أوصانا فقال : « تداووا عباد الله فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله » . وفي حديث آخر « لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله » .. وكان قوله ردّاً على أمثال أصحابنا ممن لا يؤمنون بالطب والطبيب . بل إنه حذر من أدعياء الطب فقال « من طبب وليس له بصر بالطب فقد ضمن » أى أصبح عرضة لدفع التعويض ، أو كما قال ﷺ .

ووصف ﷺ لبعض الأمراض أدويتها التي كانت متاحة في حدود المعلومات الصيدلانية المعروفة في عصره وفي مجتمعه ، فالماء تطفأ به الحمى ، والكمأة تعالج بمائها العين ، والحبة السوداء لطائفة عريضة من الأدوية ، والعود الهندي لالتهاب الحلق في الأطفال ، وعسل النحل الذي خبر عنه القرآن ، وفي الصنوف الجراحية وصف أو استعمل الحجاماة والكي وقطع العرق .

هذا في العصر النبوي ، أما ما تبعه من زمن بناء الحضارة الإسلامية ونهضتها ، فقد كان له على تقدم علوم الطب والجراحة والصيدلة وآدابها وتعليمها وفيض أنوارها على المسلمين وغير المسلمين في أرجاء العالم ، ما هو معروف ومذكور ومنشور ومشكور .

وتدرك الفطر السليمة والعقول السوية أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الخليفة بمقدار وميزان وسنة لا تبديل لها ولا تحويل ، وأجرى كل شيء على قانون الأسباب والمسببات ، وجعل للعمل الإنساني قيمته وآثاره فقال :

﴿ وقل اعملوا ﴾

وفرق بين التوكل والتوكل والفرق بينهما حرص الإنسان على الأخذ بالأسباب أو تفریطه في ذلك .

ولقد مارست مهنة الطب أكثر من أربعين عاماً ، ما خطر ببالي خلالها أنني أتصدى لشفاء الناس من دون الله . وإنما لله سبحانه وتعالى وسائله وأدواته ، ومن بينها ذلك الطبيب الذي يبذل جهده ، وذلك القدر من العلم الذي يؤتيه الله الباحثين والعلماء جيلاً وراء جيل . وما ذكرت مرة أنني وقفت أعقم يدي لعملية جراحية إلا ودعوت « اللهم اجعلني من وسائل رحمتك واجعل اجتهادي من أسباب الشفاء » ، وقديماً قال الصالحون : « إذا أراد الله إسباغ النعمة عليك خلق هو ثم نسب إليك » .

ولولا هذا التسليم بمبدأ الأسباب والمسببات لما قال النبي ﷺ عن الطاعون : « فمن سمع به بأرض فلا يقدمن عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه » .. ولهذا فإن عمر بن الخطاب قتل بمن معهم راجعاً لما سمع أن الطاعون بالشام ، فلما عاتبه أبو عبيدة قائلاً : « أفراراً من قدر الله ؟ » قال : « نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله » .

وما الطبيب ولا الطبابة إلا من قدر الله . والعقد مع الله عقد التزام بعمل وليس عقد التزام بنتيجة ؛ فعلى كل أن يجتهد وأن يتحرى وأن يبذل الجهد وإلا فهو مقصر ومسئول أمام الله ، وإن كان الأمر كله من قبل ومن بعد الله .

وإن من أبعد الناس عن معرفة الإسلام من قال لقد مرضت ، فإما أن أطلب الشفاء من الطبيب وإما أن أطلبه من الله .. فهذا مفترق طرق لا يوجد على خريطة الإسلام ، بل تقصد إلى الطبيب وتسال الله العافية .

ولا يتناقض هذا مع دعاء الله والرجاء منه بالدعاء المأثور وغير المأثور .. فعن عائشة أن جبريل كان يرقى رسول الله إذا اشتكى بقوله : « باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين » . وعنها كذلك ، أن الرسول كان إذا مرض أحد من أهله مسحه بيمينه ثم قال : « أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً ( يراجع صحيح مسلم لهذين وكتب الحديث لسواهما ) .

أما القرآن الكريم فكلام الله المنزل ، وقد أكرمنا الله ، فضلاً منه ومنة وإحساناً ، بأننا مثابون على مجرد تلاوته على كل حرف حسنة يستوى في ذلك الماهر به أو الذي يتتبع به ومن يفهم العربية ومن لا يفهمها . هذا من كرم الله ، ولكن علينا كذلك أن ندرك أن القرآن لم ينزل الله لمجرد التلاوة أو التبرك بوضع المصحف في الجيب أو في السيارة أو في البيت أو معلقاً في سلسلة حول الرقبة أو معلقاً في برواز على الحائط ، لكنه كتاب للتنفيذ ، فهو منهاج حياة



المسلمين الفردية والجماعية ، وهو دستور دولتهم وقانون محكمتهم ونظام كسبهم وبيعهم وشرائهم وزواجهم وطلاقهم وميراثهم وأخلاقهم الخاصة والعامة .. ومن اختصر نطاق القرآن عن ذلك فقد وقع فى خطأ عظيم .

وقد وصف الله القرآن بأنه شفاء فقال :

﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ <sup>ل</sup> ﴾

وقال ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ <sup>ع</sup> ﴾

ذلك أنه ليس من أمراض النفوس ما هو أشد فتكاً من الكفر والشرك والزيغ والضلال .

أما الدعوى بأن القرآن إذن علاج لأمراض البدن وآفاته المعروفة ، بأن يزعم زاعم أنه يعالج البلهارسيا والانكلستوما والروماتيزم والزائدة الدودية وحصو المرارة والسرطان ، فهو زعم ساذج أخطأه التوفيق .. ولو أراد الله بالقرآن كتاباً للعلاج الطبى لجعله كذلك ، فما ترك مرضاً ولا علاجاً إلا فصله ، ولكن لم يكن هذا مراده . ومع ذلك ، فعلى المريض بجانب علاج الطبيب أن يواظب على قراءة القرآن ، فيه تطمئن النفس وينشرح الصدر ويهدأ البال وينمو الصبر ويرجى الأجر ويقل الجزع ، ولذلك مردوده الصحى ودوره فى رفع المعنوية وبالتالي زيادة المناعة والسكينة والرضا وكلها من أسباب الشفاء ووسائله .

أما تعليق الأحبة والتعاويد وغيرها ، كما يفعل بعض الناس فى هذه الأيام ، فلا نسيغها وسيلة للرزق لمن يعطونها ولا للعلاج لمن يأخذونها ولم ترد عن النبى ﷺ ولا عن صحابته الراشدين .

## السؤال الثاني

هل للمرأة المسلمة أن تلجأ لطبيب أمراض نساء ؟ وهل يستعين الرجل المسلم بطبيبة ؟  
وهل يجوز استعانة المسلم أو المسلمة بطبيب أو طبيبة من غير المسلمين ؟

● العورة وأحكامها العامة معروفة للجميع . والقاعدة العامة سترها عن الغير حتى لو كان من نفس الجنس . لكن الشواهد تدل على أن الطباية والعلاج ظروف معتبرة تبيح الاستثناء من القاعدة العامة . وهي شواهد باكرة ، ففي عصر الرسول ﷺ كان السلاح الطبي لجيشه ( إن جازت التسمية ) كله من النساء ، منهن من تحمل قرب الماء للسقيا ، ومنهن من تحمل الجرحى إلى خيام خاصة على أطراف المعركة ( لعلها الصورة البدائية لمستشفى الميدان ) ، ومنهن من توافرت لهن درية خاصة ودراية بما تهيأ في ذلك العصر من علم الطب يقمن بتطبيب الجراح دون أن تثار أية مشكلة عن موضع الجرح من الجسد ، وكانت هاته المؤمنات يعرفن بالآسيات .. بل إن منهن من جاوزت دور العلاج إلى دور القتال ، مثل نسيبة بنت كعب التي رأت تخرج الموقف الحربى فى معركة أحد ، فحملت السيف والدرع وحاربت فما لامها أحد ولا لعنها ، بل امتدحها الرسول فقال : « ما التفت يمينه ولا يسرة إلا وجدتها دونى تنافح عنى ... » كما اشتركت من بعد الرسول وأبناؤها فى حرب المرتدين ، وهو ما يلقي ضوءاً على ما يمكن أن يصل إليه دور المرأة المسلمة فى المجتمع المسلم .

وقد اتسع الفقه الإسلامى لمبدأ استثناء الطباية من القاعدة العامة منذ زمن بعيد ، لا نستطيع أن نتهم علماءه ولا ناسه بالتسبب أو عدم المحافظة .. فابن قدامة وهو من علماء المذهب الحنبلى فى القرن الثامن الهجرى يبيح فى الجزء السادس من كتابه « المغنى » ( ص ٥٥٩ ) أن ينظر الطبيب إلى ما يلزم نظره من الجسم عورة أو غير عورة . وابن مفلح الحنبلى فى كتابه « الآداب الشرعية » ( جزء ٢ ص ٤٦٤ ) يروى الفتوى التى تجيز للمجبر أن يكشف عن صدر المرأة كسرت زراعها وأن يلمسه ؛ لأن وضع الجبيرة يقتضى ذلك ، ويزيد بأن المرأة إن مرضت ولم يوجد إلا الطبيب فله - إن اقتضى الأمر - أن ينظر إلى موضع العلة منها حتى فرجها . وكذلك إن انعكس الأمر فللطبيبة أن تنظر إلى موضع العلة من المريض الرجل

حتى فرجيه . وفي نفس العنان يجرى القاضى أبو يعلى الحنبلى وابن عابدين الحنفى فى حاشيته وغيرهم ! بقى تعليق بسيط على مسألة « موضع العلة » فقد أصبحت غير ذى موضوع بعد أن تعلمنا أن الشكوى قد تكون فى موضع بينما علتها فى موضع آخر من الجسم ، كأن تنكسر عظمة مثلا من جراء انتقال زرعة سرطانية إليها من سرطان فى البروستاتا على ما بينهما من بعد جغرافى .

ونود بعد ذلك أن نعود إلى صدر السؤال لنتساءل عن تخصيص طبيب أمراض النساء وجواز أن تلجأ إليه المرأة المسلمة . فإن تخلينا عن الهالة الفولكلورية الشائعة ، وجدنا أن المرأة قد تلجأ إلى الطبيب الباطنى أو الجراح أو طبيب الأشعة أو العظام أو الجلد أو الأعصاب ، فيكشف على جسمها كله أو جلده ، بل إننا نحار إذ نجد من يعترض على الفحص النسائى ، ولا يعترض على الجراح يجرى عملية البواسير أو الناسور أو سرطان المستقيم مع أن المجال الجراحى هو فى الحالين . كذلك ندهش لمن يقول تعالجها أنثى إلا فى الحالات الخطيرة أو الفادحة ، فلا بأس أن تحال إلى الطبيب الماهر ، كما لو كان هذا الطبيب قد ولد ماهرا أو دخل كلية الطب ليتعلم الحالات الصعبة والكبيرة فقط دون أن يمر على العادى والبسيط ثم الأعقد فالأعقد حتى يتراكم لديه من الخبرة ما يتيح له أن يجابه المعقد والخطير .

إن المريض إذا مرض كان مطلبه الشفاء . وقديماً قالت العرب « اشك داءك لمن ترجو عنده البرء » .. فعليه أن يقصد من يتوسم فيه القدرة على رد العافية إليه ( أو إليها ) بصرف النظر عن الجنس ، فالمرأة لا تقصد الطبيب بوصفه نكراً أو أنثى ولكن بوصفه خبرة ومهارة وثقة . والطبيب كذلك لا ينظر إلى الجنس الآخر خلال العمل الطبى نظرة جنسية بل أعده تدريبه الطبى أن ينظر نظرة محايدة قد تشبه نظرة الميكانيكى إلى ماكينة يفحصها ليصلحها وهذا هو المنظر من داخل المهنة ( التى مارسها أكثر من أربعين عاماً ) ، ويضاف إلى ذلك احتياطات منها : ضرورة وجود طرف ثالث من هيئة التمريض أثناء الفحص ( وهو ما توجبه أخلاقيات المهنة ) وما نرجوه من أن يشتمل التعليم الطبى على ما يثبت القيم ويطلع على الخلق القويم .

وتبقى بعد ذلك طائفة من السيدات لا يستطعن أن يتخلصن من الشعور بالحرج والاستحياء من كشف جسمهن لطبيب رجل ( سواء فى أمراض النساء أو غيرها ) ، فيجب أن يحترم شعورهن ويجاب طلبهن حتى فى مستشفيات الدولة المجانية .. ويجب على السلطات وعلى التعليم الطبى أن يؤمنا هذه الحاجة وفى كافة التخصصات لا فى أمراض النساء فحسب ، وإن كان ذلك ظل بعيداً عن الإمكان حتى الآن ، وقد يظل كذلك ، خاصة أن بعض التخصصات ( لعل منها الولادة بالذات وجراحة العظام والطوارئ وغيرها ) تستأدى ضريبة كبيرة ومشقة بالغة من الطبيبة المرأة ، ولها كسائر النساء الحق فى رعاية زوجها وبيتها وأولادها والتوفر على إسعادهم ورفاهتهم والقيام بحقهم وحماية وقتها معهم ووقتها لهم .

كذلك نود أن نشير - بارتياح - إلى ما دار في مؤتمر « الإنجاب في ضوء الإسلام » الذي دعت إليه المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت في شهر مايو ١٩٨٣ نخبة فاضلة من علماء الشريعة وعلماء الطب وكانت توصيتهم وفق ما أسلفنا . فإن مهنة الطب فرض كفاية في مجتمع المسلمين . وتأسيساً على أن ما لا يكون الواجب إلا به فهو واجب ، فقد أقر هذا الاستثناء من القاعدة ورئى جواز النظر إلى عورة الجنس الآخر لأغراض التشخيص والعلاج والتعليم الطبي .

أما السؤال عن جواز استعانة المسلم أو المسلمة بطبيب أو طبيبة من غير المسلمين فلا أخفى أنه أصابني باكتئاب بالغ وشعرت بغم شديد لمجرد أن هذا السؤال مطروح وأحسست أنه آذى وجداني الإسلامي .

إذا مرض الإنسان فمن حق جسمه عليه ( إن لبيدك عليك حقاً ) أن يعهد به إلى أفضل من يتوسم فيه القدرة على رد العافية إليه . والمعول في ذلك على الثقة وعلى الكفاءة ، ما دام الهدف هو الشفاء . ومن حسن الحظ أن أعراف المهنة الطبية سارت من قديم على ما جاء الإسلام بعد ذلك فأكدته من أن الطب هو من رحمة الله التي تعم الجميع ويستوى فيها القريب والبعيد والعدو والصديق حتى بين طرفي القتال والحرب السجال . وقديما اتتمن النبي ﷺ النجاشي النصراني على مسلمي الهجرة الأولى لما توسمه من أهليته للأمانة رغم اختلاف الدين .. ثم انتوى ﷺ أن يهاجر من مكة إلى المدينة فاختار عبد الله بن أريقط دليلاً للرحلة ولم يكن من المسلمين لما توسمه فيه من أمانة على السر ودراية بالمسالك والطرق ، في أخطر رحلة في تاريخ الإسلام . إن الفيصل هو الكفاءة والثقة فمن عمى عنهما بسبب اختلاف الدين فهو أعمى البصيرة .. وقديماً نظر النبي ﷺ إلى اثنين من عتالة الكفر فدعا ربه قائلاً : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمريين » .. ولم يبخس الناس فضلهم فقال « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام » .. ونكر حلف الفضول فقال « هذا حلف في الجاهلية لو دعيت به في الإسلام لأجبت » .

وفي دولة الإسلام منذ فجرها النبوي المشرق حتى يومنا هذا في آخر الزمان كان كافة الأطباء يعالجون كافة الناس على اختلاف الملل والنحل . ومن الخير للرعية والمصلحة الشرعية أن تصان المهنة الطبية عن غير ذلك .

## السؤال الثالث

ما هي الحالات التي يجوز الإجهاض فيها ؟

● للإجهاض معنى قصص ونوادير ، لعل من أطرفها ما صادفته خلال عملي أستاذاً للولادة وأمراض النساء بجامعة الكويت . ففي ذلك البلد الكريم ، كما هو الحال عندنا وكثير من البلاد العربية ، لا يزال يطلق على الطبيب اسم الحكيم ، وهي تسمية من واقع الحال ؛ فإن الناس ما إن تثق بطبيب حتى تأتمنه وتستشيريه في أمور خارج نطاق الطب . وقد دعنتي أسرة فاضلة للإصلاح بينها وبين ابنها وكان شاباً متديناً في مظهره ومخبره ، فما ذكرته بما يفرضه الإسلام من البر بالوالدين حتى جبهني قائلاً : « لا يا دكتور فلست متديناً لهما بشيء . فقد انتويا عند زواجهما أن يقتصرا على طفلين ، ولولا أن الصدفة جعلتني رقم اثنين لكان مصيرى القتل بطريق الإجهاض كما فعلا بالثالثة التي جاءت بعد أختى وبعدي ! » . ووجدت في هذا بعداً جديداً للإجهاض لم أفكر فيه من قبل .

والحق أن موضوع الإجهاض لا يزال يثير البلبلة لدى كثير من الناس ، فإنك إن سألت عينة من خريجي الدراسات الدينية كأئمة المساجد مثلاً عن الإجهاض ، فستحصل على إجابات مختلفة ، وسترى من يبيحه خلال الأشهر الأربعة الأولى للحمل ، ومن يبيحه فقط خلال الأسابيع الستة الأولى للحمل ، وستجد من لا يبيحه مهما كان مبكراً . ذلك أن كلاً منهم سيطالع ما كتب وفق المذهب الذي يتبعه من كتب الفقه وما أورده الأئمة الكبار الأوائل والناهبون من أتباعهم ، الذين اجتهدوا فاختلّفوا وجزى الله كلاً الخير على اجتهاده ، واعتمدوا على ما أتاحته لهم أوقاتهم من علوم ومعارف ، حتى أغلق باب الاجتهاد لكن ظل اللاحقون ينقلون عن السابقين غير مواكبين لما وردت به الأيام من كشوف مذهلة في بقية أبواب المعرفة صارت به العلوم غير العلوم ، والمعارف غير المعارف ، مع أن الأحكام المبنية على علل ينبغي شرعاً أن تتغير بتغير العلل - ولو أننى اليوم عالجت مرضاى بطب ابن سينا الذى كان بديع عصره وعبقرى زمانه ، لحاكتنى وزارة الصحة وأوقفتنى نقابة الأطباء وانفض عنى مرضاى كما يفر السليم من الأجر .

وغاية الأمر أنه كان بين الأوائل من يرى أن بداية الحياة في الجنين تكون وقت إحساس أمه بحركته في رحمها ، ويكون هذا عادة في نهاية الشهر الرابع ، خاصة وأنه يتزامن مع وقت نفخ الروح ( التي هي سر من أمر الله ) كما دل على ذلك حديث شريف ، دون أن يتاح للعلم الطبى في زمنهم معرفة أن الجنين حى يرزق ويتحرك من قبل أن تحس بذلك الأم بزمن طويل ، وأن الروح تنفخ فى حى لا فى ميت .

أما أصحاب الأسابيع الستة فقالوا هذا هو الوقت الذى يتخذ الجنين فيه هيئة آدمية يبدو فيها الرأس والصدر والجسم ، خاصة وأن ذلك يتزامن مع زيارة أخرى لملك من الملائكة للرحم أوردها حديث شريف آخر . وما كانوا يعلمون آنذاك أن له من قبل ذلك بكثير خصائصه الآدمية عامة بل وخصائصه الشخصية المفردة التى تدل عليه بذاته ويستعان بها علمياً على تحقيق شخصيته بصورة لا تقل دقة عن بصمات الأصابع حتى من قبل أن تكون له أصابع ! .. أما الجماعة الثالثة وعلى رأسها أبو حامد الغزالي فقد رأت بعين البصيرة ما أثبتته عين العلم بعدها بألف عام ، وهو أن الجنين يبدأ بالتحام بذرة الرجل ( المنوى ) ببذرة المرأة ( البويضة ) وأنه حى منذ تلك البداية ، حياة محترمة يعتبر العدوان عليها جنائية ، وإن رأى أن تلك الجنائية تكون أفحش بعد نفخ الروح ، وتبلغ منتهى التفاحش بعد الانفصال حياً بالميلاد وهو ما كانت الجاهلية تقترفه بوأد الموعودة .

ولهذا فإنه لما انعقد مؤتمر الاتحاد العالمى لتنظيم الوالدية فى مدينة الرباط بمراكش عام ١٩٧٠ ، وتلاه مؤتمر الإنجاب فى ضوء الإسلام الذى دعت له المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت عام ١٩٨٣ ، وفصل المشاركون من علماء الطب لإخوتهم المشاركين من علماء الشريعة ما استقر فى زماننا من معلومات أثبتتها علم الجنين وعلم الطب الجنينى من ضمنها فيلم سينمائى للجنين الحى داخل الرحم منذ أدواره الأولى فما بعدها ونمائه وتخلقه وحركته ودقة قلبه من الأسبوع الخامس ثم استطالة أطرافه وتامم تجهيزه ، كان قرارهم العرفان بفضل الأقدمين فيما اجتهدوا ، لكنهم أخذوا بالمعطيات الطبية والعلمية التى أتاحتها عصرنا ، وأوا أن حياة الجنين تبدأ منذ التحام المنوى بالبويضة وأن حياة الإنسان محترمة فى كافة أدوارها منذ تلك البداية ، فلا يجوز إهدارها إلا فى حالات الضرورة القصوى .

أما تلك الضرورة القصوى التى تقرها الشريعة فهى بصفة عامة الحالات المرضية التى تجعل استمرار الحمل تهديداً لحياة المرأة ، فإن الأم فى الشريعة هى الأصل والجنين هو الفرع ، ويضخى بالفرع إن كان ذلك هو السبيل الوحيد لإنقاذ الأصل عملاً بالقاعدة الشرعية التى تقول باختيار أخف الضررين إن لم يكن دفعهما معاً . أما هذه الحالات فمسألة طبية محضة قد لا يكون من الصالح حصرها حصراً ، فهى قابلة للتغيير بتقدم علم الطب . وتقدير الطبيب المعالج وحكمته وخبرته لها دور فيها فحبذا لو كان من المعروف عنهم الاهتمام بالناحية الشرعية والاحترام

لها . ونسوق من أمثلتها الأورام الخبيثة التي تستدعى إزالة الرحم أو حشوه بأنايب الراديوم ، أو السرطانات العامة التي عولجت ولكن يعرف أن البيئة الهرمونية للحمل تنشطها من جديد ، أو حالات النقص الحرج فى وظائف الكلويتين فالحمل إذن عبء خطير عليهما ، أو حالات الارتفاع الخبيث فى ضغط الدم وبعض الأمراض القلبية ، ولا نود أن نطنب فى ذلك نظراً لجنوح بعض القراء إلى إقحام نفسه فى المشاكل الطبية لنفسه أو غيره وكل ذخيره أمثال هذا المقال .

ومن الجدير بالذكر ، أن الأحكام الفقهية كانت على الدوام تنسجم مع مبدأ احترام الجنين فى كافة أدواره ، فالمرأة إن كان محكوماً عليها بالإعدام وتبين أنها حامل تأجل تنفيذ الحكم مهما كان الحمل مبكراً حتى تلد ( وقيل حتى ترضع ) رعاية لحق الجنين فى الحياة . والجنين قد يسقط تلقائياً ، فإن بدت عليه علامات حياة ثم مات فإنه يرث مورثيه ثم يرثه ورثته . والزوج إن مات وزوجته حامل ، حفظ للجنين ميراثه حتى يولد حياً فيملكه ، غير حقوق أخرى أقرتها الشريعة له كحقه فى النسب وحقه فى الوصية له والهبة له والوقف عليه وكلها مما يُعتبر حقوقاً نالية للحق الأول وهو حق الحياة .

ويبقى سؤال عن مشروعية الإجهاض إن ثبت أن الجنين مصاب بعاهة . ونرى ، كالأغلبية ، أن العاهة لا تعالج بقتل المصاب . ففى عالم الأحياء من الصم والبكم والعرج وأمثالهم من يعيشون حياة سعيدة ومفيدة ، وأن من واجب المجتمع أنه يهيئ لحالات التخلف العقلى المؤسسات التى ترعاهم وتؤهلهم على قدر طاقاتهم ، والمجتمعات تهدر على وسائل الترفيه والتسلية البريئة وغير البريئة ما ينهض بهذه الواجبات وزيادة لكنها قاصرة عن ترتيب الأولويات وتفضيل القيم على الكماليات .

وتدور فى أمريكا معركة حامية الوطيس بين أنصار حياة الجنين وأنصار حرية المرأة فى جسدها بما فى ذلك حق الإجهاض .. والفلسفة هناك مختلفة ، فالرأى فى الإسلام أننا لا خلقنا أجسادنا ولا خلقنا أطفالنا ولكنهم وديعة نستأمن عليها وعلى رعايتها قبل أن تولد وبعد أن تولد وحسابنا فى ذلك على الله .

## السؤال الرابع

ما الرأي فى بيع أعضاء الجسم وفى بيع الدم ؟ وهل يجوز بيع دم المسلم وأعضاء جسده لغير المسلم والعكس هل يسمح بإعطاء المسلم أعضاء ودماً من غير المسلم ؟

● طالما تأملت فى مراحل عمرى المختلفة الآية الكريمة :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾<sup>(١)</sup>

كنت أسائل نفسى عن عبارة ﴿ ومن أحياها ﴾

وأقول : كيف يتأتى لإنسان أن يحيى نفساً ؟ فلعله الطبيب الماهر بدوائه أو جراحته ، أو المحامى البارع بدفاعه عن برىء متهم ، حتى جاء عصر نقل الأعضاء وزراعتها ، فلم أجد أقرب إلى تحقيق معنى الإحياء هذا من إنقاذ مصاب أو مريض مشرف على الموت المؤكد بتأمين حاجته إلى الدم أو إلى عضو ينقل إليه ليؤدى وظيفته الحيوية .

هى إذن مبرة عظيمة أولى الناس بها المسلمون المؤمنون ( نادراً ما أستعمل مصطلح المسلمين المؤمنين ولعلى هنا نكرت قول الله عز وجل :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَدُنَّا تَوْفِيقُ اللَّهِ وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>

( ١ ) سورة المائدة : الآية ٣٢

( ٢ ) سورة الحجرات : الآية ١٤



والأخذ إما من حى وإما من ميت . وتقضى الشريعة بأن جسد الإنسان محترم حياً أو ميتاً ، فلا يجوز جرحه إلا لضرورة شرعية ، لكن أعمال قاعدة أن الضرورات تبيح المحظورات وأنه يختار أهون الضررين ( وهو جرح جسم المتبرع حياً أو ميتاً ) لدفع أعظم الضررين وهو ترك المريض المحتاج للهلاك المحقق إن لم يعط العضو المطلوب تجعله مباحاً . ويشترط أن يكون المعطى حر الإختيار فى عطائه دون قهر أو إخراج أو استغلال لحاجته المادية وألا يتسبب أخذ العضو منه فى ضرر يهدده . أما الميت فيشترط أن يكون قد أوصى بالتبرع أو أن يقبله ولّى الدم أو الحاكم لمن لم يعرف له أقرباء .

أما موضوع البيع فأمر آخر . فقد اتفق الفقهاء على أن جسم الإنسان محترم ومكرم ، وأن حق الله فيه لا ينفصل عن حق العبد ، وأن أعضائه لذلك غير قابلة للبيع ، وإن كان الجمهور يرى جواز بيع نواتج الجسم المتجددة مثل الدم فإنه إن سحبت منه كمية صنع الجسم غيرها من جديد ، وقاسوا ذلك على جواز استئجار المرضعة لتغذى الرضيع بلبنها إن لم تستطع أمه ذلك . ولو كان المجتمع مجتمعاً إسلامياً مثاليًا بحق تنطبق عليه صفات المؤمنين بأنهم كالجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء ، وأنهم رحماء بينهم ، « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، ( فما بالك وهو هنا تبرع فى غير خصاصة فإن الأطباء يستوثقون من استغناء المعطى فعلاً عن العضو المطلوب .. وإذا كان الحى يستغنى فالميت أغنى ) ، نقول لو كان الأمر كذلك لما طرح موضوع البيع ولأدى المجتمع هذا الفرض من فروض الكفاية استباقاً لمرضاة الله تعالى وحسبة لوجهه الكريم . ومن قبل شرع عمر ابن الخطاب أنه إن هلك إنسان بقرية من الجوع لزمتم أهلها دينته كأنهم قتلوه ، وشبيه بذلك من يموت من حاجته إلى الدم أو إلى عضو يقيم عليه حياته .

لكن المجتمعات الإسلامية فى الزمن الراهن لا تنطبق عليها هذه الأوصاف للأسف الشديد ، فهى لا تعيش الإسلام بهذا المعنى الجاد والعميق إلا بالنسبة للأقلية ، وإذا كانت قطاعات منها قد أوغلت فى الاهتمام ببعض ظواهر الإسلام وثانوياته ، فبينها وبين لبابه وأفضلياته بون بعيد ، والحصيلة فى موضوعنا الذى نبحثه أن عدد المتبرعين قاصر قصوراً شديداً عن أن يلبى من الحاجة قدرأ يذكر . وقامت سوق سوداء طرفاها هما المضطر بدافع المرض والمضطر بدافع الفقر ، وصدرت آراء فقهية تحاول تلافى هذا الحرج بأن تسمى العقد عقد تعويض وليس عقد بيع ، أو أن تجيزه للمريض الشارى وتؤثم فيه المتبرع البائع ، ولكن ذلك لم يحل الأزمة ، بل نشأت سوق استغلالية خاصة عندما نزل إليها الأغنياء ( من داخل الوطن وخارجه ) فأزاحوا المرضى الفقراء من حلبة المنافسة لدرجة بشعة وتغيرت قاعدة البقاء للأصلح إلى البقاء للأغنى !!

والرأى الآن هو أن تتدخل الدولة فتعهد إلى هيئة يمثل فيها الفقهاء والأطباء والاجتماعيون

والقانونيون والاقتصاديون ، يعهد إليها بدراسة الموضوع واقتراح تشريع ينظم هذا الموضوع ويضع له الضوابط والحوافز وترتيب الأوليات فيُسنُّ به قانون شامل ينقله من شريعة الغاب إلى عصمة الدولة ورقابة المجتمع وحوزة الإنسانية ، وحتى على فرض أن المثالية الإسلامية غير قائمة ، فلا بد من قاعدة « سدِّدوا وقاربوا » ، و« ما لا يدرك كله لا يترك كله » .. لكن المأمول والمرجو ألا يكون بين جهازها التنفيذي من يمكن أن تطاله الرشوة أو تميل به المحسوبة !

أما السؤال عن نقل الدم والأعضاء بين المسلم وغير المسلم فقد فركت عيني لأعيد قراءته من جديد .. إن فصائل الدم المعروفة هي فصيلة أ وفصيلة ب وفصيلة أب وفصيلة صفر وليست فصيلة مسلم ومسيحي ويهودى وغيرها ، وليست كذلك تصنيفات أنسجة الجسم وأعضائه وعظامه ، وما يقال عن تقسيم العظام إلى زرقاء وبيضاء وحمراء هو فولكلور ظريف أو سخيف ولكنه لا يمثل الحقيقة . والذى نعلمه قطعاً أنه كان ( يا ما كان ) فى سابق العصر والأوان رجل اسمه آدم وامرأة اسمها حواء ، تكاثرت ذريتهما وتكاثرت حتى شملت كل إنسان على ظهر الأرض فى الماضى والحاضر والمستقبل فإذا الإنسانية كلها أسرة متسعة من أبناء العمومة والخوالة .. أراد الله أن تتعامل كما يتعامل الأقارب الطيبون فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ ﴾ (٣)

والتعارف ليس المعرفة فقط ولكنه التعامل بالمعروف . ولم يكن فى قصد الله وخطته أن تكون تلك الأسرة من لون واحد أو لسان واحد أو دين واحد فهو يقول لنبيه عليه السلام :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۗ ﴾ (٤)

ويسأل النبى سائل عن الإحسان للحيوان فيقول « فى كلِّ ذات كبد رطبة أجر » فما بالك بالإنسان للإنسان وإن اختلفت الأديان ؟ ، ومن قبل أن ينقسم الناس أقساماً انتظمهم جميعاً قول الله :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ۗ ﴾ (٥)

( ٣ ) سورة الحجرات : الآية ١٣

( ٤ ) سورة يونس : الآية ٩٩

( ٥ ) سورة الإسراء : الآية ٧٠

تكريماً لمجرد الأهمية .. ولست أعقل أن يسمح الإسلام للمسلم أن يتزوج بالكتابية فإن  
احتاجت لنقل دم وكان دمه صالحاً قامت مشكلة على أساس الدين .

إن هذه المجالات مبررات مشكورة وتعاون على الخير وينبغي أن ينتظم الجميع على مبدأ  
المعاملة بالمثل وأحرى بالمسلمين أن يكونوا في هذا سابقين وليسوا مسبوقين .

## السؤال الخامس

هل يجوز للطبيب إجراء عملية تحويل شخص من جنس لآخر ؟  
فى أى الحالات وبأى ضوابط ؟

● ينبغى الإجابة عن هذا السؤال بشيء من الدقة ، لأن معظم الحالات التى تنشر فى الصحف السيارة من أن فلانة تحولت إلى فلان أو العكس لا تنطوى فى الحقيقة على أن جراحة الطبيب قد حولت أنثى إلى ذكر أو ذكر إلى أنثى . بل مرد الأمر أن مولوداً من جنس معين اكتسبت أعضاؤه الخارجية هيئة أعضاء الجنس الآخر لدرجة كبيرة فغم الأمر على المولد ثم على الأهل واعتبر من جنس معين ومنه أخذ اسمه ، وعليه كانت معاملته وتربيته وثيابه والمدرسة التى أرسل إليها ، حتى جاءت مرحلة البلوغ وبدأت الغدد التناسلية تفرز هرموناتها وبان التناقض بين ما استقر وما استجد ، ووضح التشخيص فقام الطبيب بوضع الأمور فى نصابها أخذاً فى الاعتبار الطابع النفسى الذى انطبع عليه الطفل بجانب التعديلات العضوية اللازمة .

وتسمى الحالات السابقة الخنثى الكاذبة .. أما الخنثى الحقيقى فحيث تبقى الغدتان الجنسيان داخل البطن وتتركب كل منهما من خليط من نسيج الخصية ونسيج المبيض . ولابد من إزالتها لأن بقاء نسيج الخصية داخل البطن يعرضه للسرطان ، ويكون المناسب بعد ذلك تحويل الجسم إلى جسم أنثى فهى عادة على هذا نشأت وإن كانت بطبيعة الحال لن تجد إلى الإنجاب سبيلاً .

نأتى بعد ذلك إلى مسألة تحويل رجل عادى إلى أنثى أو تحويل أنثى عادية إلى رجل . وحتى عصرنا الراهن فإن هذا التحويل لن يكون تحويلاً كاملاً ولا حقيقياً . ولكن من الرجال من يود أن يودى جنسياً دور المرأة (!!) فيذهب للطبيب يجرى له الإخصاء (إزالة الخصيتين) ويختصر له القضيب ويشحنه بالهرمونات الأنثوية التى تنمى ثدييه ، أما المجامعة فتكون فى الدبر شأن بقية المنحرفين ، والأقلون هم الذين يشق لهم بين القبل والدبر كهف يبطن بزرعة جلدية يكون مثل المهبل ، وبقية الزينة تكون فى الثياب والمكياج والحركات فتخطئهم العين ولا ترى منهم إلا الأنوثة .

أما تحويل النساء إلى رجال بهذا المعنى فهو أندر لأن من تريد أن تؤدي الجنس مع النساء تفضل أن تحتفظ بعضوها الحساس على أن تقوم بالجراحات البلاستيكية المتعددة ليكون لها قضيب أضال باعاً وأقل إمتاعاً .

ذلك ما جرى في أمريكا حتى الآن .. ومن الناحية النظرية فإن زراعة الرحم والمبايض في الأول أو الخصية في الثانية مع إزالة مبيضيها ، سيؤدي إلى التحول الحقيقي الكامل ، ولكن ذلك لم يقع حتى الآن نظراً لمخاطر عمليات زراعة الأعضاء ، وإن كنت شهدت في أحد المؤتمرات ديكا تم تحويله إلى دجاجة بهذه الطريقة .

فما حكم ذلك ؟

من الناحية الشرعية واضح أنه حرام حرام فهو تغيير لخلق الله في غير مسوغ شرعى ، وإذا كان الرسول ﷺ قد لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ومن النساء بالرجال فما بالنا بالمتحولين من رجال إلى نساء والمتحولات من النساء إلى رجال ؟!

لكن نعود فنقول لو حدث هذا فإن المعول على القانون وقد لا يلتقى القانون مع الشريعة في بلاد إسلامية (!!) كثيرة . وأعلم عن محاولة جراحية لتحويل مدرسة بإحدى المدارس إلى رجل في عاصمة إسلامية وثارت ثائرة النقابة من الناحية الأخلاقية ، لكن وجد أن القانون ليس به نص يجرم هذا الفعل ولا جريمة إلا بنص والأمر إذن متروك لحرية التعاقد بين الطبيب والمريض .

وطالما تمنيت أن تزول الهوة بين القانون وبين الشريعة ولكن هذا موضوع آخر له حساسيته ، وأنا لا أريد أن أتهم بالرجعية أو الأصولية أو التطرف !

## السؤال السادس

ما هو رأى الإسلام فى التلقيح الصناعى وأطفال الأنابيب ونظام الأم البديلة ؟

● من بين ما فطر الله عليه النفس الإنسانية ، وغير الإنسانية ، من حيوان ودواب وطير ، حينين الجنس إلى الجنس الآخر استجابة للغريزة الجنسية التى ركزها فيها وزودها بأجهزتها العضوية والنفسية والهرمونية التى تؤدى فى نهاية المطاف إلى التناسل والتكاثر حفظاً للأصناف واستبقاء لها على مر الزمان إلى ما شاء الله .

لكنه سبحانه وتعالى كرم الإنسان ونفخ فيه من روحه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ، واجتاز به كيانه الحياتى البيولوجى البدنى إلى مجال القيم والمعانى والروحانيات وحمل الأمانة والأهلية للتكليف ، وسما بغريزة الجنس عن أن تكون استجابة عشوائية لنزوة عابرة ، بل صاغ لها نظاماً هو الزواج يرتبط فيه رجل بذاته وامرأة بذاتها بعقد وثيق وميثاق غليظ ورابطة شخصية مستقرة ، جعلها الله سبحانه من آياته فقال :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً  
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) ..

وجعله عقداً بين اثنين لا ثالث لهما وأوجب به حقوقاً وواجبات متبادلة ، وحصنه ورعاه ليجعل منه المحضن الصالح للجيل المقبل ، وجعل خيانتته خيانة عظيمة وجعل فسخه ، ولو بموجب الشرع ، أبغض الحلال إليه سبحانه .

وعلاوة على السكينة والمودة والرحمة ، بيّن القرآن الوظيفة الثانية للزواج فى قوله تعالى :

(١) سورة الروم : الآية ٢١

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (١)

مقراً أن مصدر الذرية هو الزوجية مثلما قرر في مواضع أخرى حق الذرية فى الأبوة الصريحة .

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾

والأمومة الصادقة

﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾

وبعبارة أخرى حق الإنسان فى أن يولد فى نطاق عقد زواج شرعى فلا تختلط الأنساب ولا تتبهم .

ومما ميز الله به الإنسان كذلك نزوعه إلى الماضى يحاول أن يتعرفه ، ونزوعه إلى المستقبل وفى الصميم منه أن يحاول أن يكون له وجود فيه ، رغم ما يدرك من قصر حياته الشخصية ، فهو يرى فى أبنائه امتداده فى ذلك المستقبل ويرى فيهم حياته من بعده ، ولهذا كان الحرص على الإنجاب والتشوف إلى الذرية . وغريزة الأمومة والأبوة من أقوى النوازع الإنسانية والرغبات المشروعة . فإن من بين أنبياء الله من حرمها حيناً فألحف، على الله فى الدعاء والسؤال حتى أجيب ، ونبأ إبراهيم ونبأ زكريا عليهما السلام فى كتاب الله منكور ومعروف . فلا بأس إذن على من حرم الذرية أن يسأل الله العطاء وأن يستعين بما زود الله به الإنسان من العلم ومن الوسيلة لتحقيق هذا الأمل ، وكلما زاد الإنسان علماً زادت قدرة الطب على تحرى الأسباب وتهيئة العلاجات . فهذا بالقطع مباح مادام فى حدود ما تبيحه الشريعة وتسمح به . فإذا استدعى العلاج إجراء التلقيح الصناعى لضمان وصول السائل المنوى إلى موقعه من جهاز الأنثى أو لتركيز المنى إن كان فقيراً فى عدد المنويات ثم إيصاله ، فذلك جائز لكن بشرط أن يكون المنى من زوج السيدة لا من رجل غيره كما هو شائع فى كثير من البلاد غير الإسلامية ؛ لأن مادة اللقاح إذن تكون غريبة وخارجة عن عقد الزواج بين زوج ( تمثله منوياته فى عملية الإنجاب ) وزوجته ( تمثلها بويضتها فى عملية الإنجاب ) وتكون الزوجة إذن قد حملت من

( ٢ ) سورة النحل : الآية ٧٢

غير زوجها ، ولا تقر تلك شريعة الإسلام حتى لو رضى بذلك الطرفان وحتى لو ظل صاحب المنى مجهولاً لهما ( وهو فعلاً المعمول به إذ تجلب هذه اللقاحات من خزائن خاصة تسمى بنوك المنويات ) ، وهو لون من الحرام لا تتوافر فيه أركان وقوع الزنى ولكنه شبيه به فى اختلاط الأنساب والتعقيم على الأصول ، والاحتمال القائم أن يقع الزواج مستقبلاً بين إخوة وأخوات على غير معرفة منهم لأن منى رجل واحد قد تلقح به أعداد كبيرة من النساء .

فإذا طبقنا نفس القواعد الشرعية على ما يعرف بتقنية أطفال الأنابيب ، وجدنا أنه لا غبار عليها مادام الحمل لم يتجاوز نطاق الثنائية المحددة المخصصة فى عقد الزواج وما دامت أركان الحمل وهى المنوى والبويضة اللذان يصنعان الجنين ثم الرحم الذى يحتضنه ويحمه كلها منحصرة فى الزوج وزوجته المنصوص عليهما فى عقد الزواج القائم ، فإن هذا العقد هو الفارق بين الحلال والحرام كما أنه عقد بين اثنين فلا تثليث فيه . فإذا قيل نأخذ المنى من غير الزوج أو قيل نأتى بالبويضة من غير الزوجة أو قيل نصنع الجنين من منى زوج وبويضة زوجته ثم نسكن هذا الجنين رحم امرأة أخرى غير الزوجة لتتولى الحمل والولادة ثم تعطيهما المولود وتذهب لحال سبيلها ، فإن أياً من ذلك لا يجوز لأنه يعنى أن النسل كان بين ثلاثة لا بين اثنين ، فهو نسل غير شرعى لأنه جاوز نطاق عقد الزواج ولا متسع فى عقد الزواج لأكثر من اثنين . وتسرى نفس القاعدة حتى لو كانت السيدتان زوجتين لرجل واحد ، فإن عقد زواجه بكل منهما عقد منفرد بين اثنين لا ثالث لهما ولا يجوز أن يقتحمه عليهما طرف ثالث حتى لو كان هذا الطرف هو الزوجة الأخرى .

وحرى بالذكر ، أن الجواز الذى أشرنا إليه يشترط قيام الزوجية . فإذا طلقت الزوجة أو مات عنها زوجها ، فقد انقضت عقد الزواج ولم يعد لها أن تحمل بمنىه الذى سبق له إيداعه بنك المنى قبل الطلاق أو الوفاة .

ونزيد بشيء من التعقيب على ما يسمى بنظام الأم البديلة على اعتبار أن هذه التسمية يقصد بها السيدة التى تحمل لزوجين جنينهما ثم تلده وتعيده لهما ، فنقول إنها سببت مشاكل بالغة فى الولايات الأمريكية التى لم تحرمها ، وقامت قضايا محيرة عندما غيرت تلك الحامل رأبها وبعث الجنين الذى فى بطنها بواعث غريزة الأمومة فيها فأحبهته وبعد الميلاد رفضت أن تسلمه فهى التى حملته وولدهته وتهدأ ثديها لرضاعه ونفسيتها لأموته واللسوق به . وأقل ما يوصف به هذا النزاع على الأمومة بين صاحبة البويضة وصاحبة الرحم هو أنه افتتات على صراحة النسب وولوج فى اختلاط الأنساب . فضلاً عن أنه منعطف خطير فى تاريخ الإنسانية فأول مرة فى التاريخ البشرى تقبل أنثى الإنسان أن تحمل ثم تلد مع العزم السابق على التخلّى عن الوليد . ولما كان هذا فى غالب الأحوال يتم لقاء أجر متفق عليه ، فهو إذن إهدار للأمومة واختصار لها من قيمة إلى ثمن .



## السؤال السابع

هل للإسلام موقف من التدخين؟ وماذا عن إدعاء البعض أن تدخين الحشيش غير محرم؟

● حتى عهد قريب لم يكن للإسلام موقف من التدخين . وأذكر في الأربعينات حديثاً صحفياً أجراه المرحوم الأستاذ محمد التابعي مع المرحوم الإمام الشهيد حسن البنا حيث قال الأخير : « أنا لا أدخن عادة لا عبادة ، ، وأعلم أن أحد شيوخ الأزهر السابقين رحمه الله ، وكثيراً من مشايخه كانوا يدخنون .

لكن الوضع تغير منذ أوائل الخمسينات حين نشرت الجهات الطبية ثبوت العلاقة السببية الوثيقة بين التدخين وسرطان الرئة . ثم تلا ذلك ثبوت العلاقة بين التدخين وسرطانات أخرى كالحنجرة والفم والمرىء والمثانة والكلوة وعنق الرحم والمعدة والبنكرياس . كما تبين أن التدخين سبب رئيسي لأمراض أخرى كالاتهابات الشعبية المزمنة وتكيس الرئة وجلطة شريان القلب وتصلب الشرايين وضربة الفالج الدماغية وقرحة المعدة وضعف المنويات في الرجل والتبكير بسن اليأس في المرأة . وينخدع الكثيرون بأن هذه الأمراض قد لا تحدث لسنوات عدة فيغفلون عن أنها بانتظارهم في مقبل الأيام . إزاء هذه الحقائق الطبية إذن ، لا بد أن يكون للإسلام موقف . فإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾<sup>(١)</sup>

ويقول :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾<sup>(٢)</sup>

وإذا كان الرسول ﷺ يقول : « لا ضرر ولا ضرار » ويقول « إن لبدنك عليك حقاً ،

( ١ ) سورة البقرة : الآية ١٩٥

( ٢ ) سورة النساء : الآية ٢٩

فلا أدرى بأى وجه نطالع هذه الآيات والأحاديث ، ثم تكابر فى موقف الإسلام من التدخين . إن التدخين انتحار بطيء وقد نهى الله ورسوله عن قتل النفس وعن الانتحار فى أكثر من موضع ، ولا بأس هنا من أن نروى نكتة المدخن الأحمق الذى قال له طبيبه : ألا تعلم أن التدخين يقتلك ببطء ؟ فأجاب : حسنا فلست فى عجلة من أمرى !!

ومن الأسف الشديد أن أضرار التدخين لا تقتصر على المدخنين فحسب ، فكل من حولهم فى السكن أو العمل ينشقون الدخان الذى ينبعث عنهم ويلوث الجو من حولهم ويكونون عرضة لنفس المضاعفات ، فضلاً عن أن الحامل التى تدخن تعرض جنينها بدرجة ملموسة لقصور النمو والتشوهات الخلقية واحتمال الإجهاض . وبين يدي الآن كتاب من منشورات منظمة الصحة العالمية مكتب إقليم شرق البحر الأبيض المتوسط عن الحكم الشرعى فى التدخين يحمل مجموعة من الفتاوى تدين التدخين وتحرمه من بين أصحابها الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق والدكتور عبد الجليل شلبي والدكتور حامد جامع والمرحوم الدكتور زكريا البري والشيخ عطية صقر والشيخ عبد الله المشد والدكتور أحمد عمر هاشم والمرحوم الدكتور الحسينى هاشم وجميعهم من الفقهاء الراسخين فجزاهم الله خيراً .

ومن المفارقات أن أمريكا تقف على رأس محاولات منع التدخين داخل حدودها فقد منعت كافة وسائل الاعلان عن التدخين وألزمت شركات التدخين بوضع ملصقة على كل باكييت تذكر بمغبة التدخين ، ومنعته على الطيران الداخلى وحاصرتة فى أماكن العمل والترفيه واستنبتت نظماً وبرامج وعلاجات لتشجيع الإقلاع عنه ، ومع ذلك ، فحينما حاولت بلاد أخرى مثل تايوان منع الاعلانات عن السجائر قامت قيامة أمريكا ووجهت لها إنذاراً وهددتها بمنع المعونات فغلبت على أمرها ، وهى الصورة فى بلاد أخرى فأمريكا قد تحرص على حماية شعبيها أما الشعوب الأخرى فالاعتبار الأهم فيها هو المصالح الاقتصادية الأمريكية . وتتفق شركات التدخين الأمريكية على الدعاية لسجائرها أكثر من أربعة بلايين دولار كل عام ( أقول بلايين لا ملايين ) دعاية مباشرة أو غير مباشرة ، كتبنى الأنشطة الرياضية والثقافية .. ولها فى سيكولوجية الدعاية فنون متخصصة بحسب الشريحة المستهدفة مثل المراهقين ( توحى لهم بأن التدخين سلوك الكبار ) ، أو الشباب ( فتنة جسم المرأة غير المستورة ) أو الملونين أو أهل العالم الثالث . وفى بداية عصر الانفتاح قرأت مقالا جاء فيه أن الشركات ترسم خطة خاصة للسوق المصرية وتتوسم أن العامل المصرى الذى زاد دخله سيشتري بكبرياء خاصة والسيجارة الأمريكية بين إصبعيه يدخنها ، وغلى الدم فى عروقى لأن الشركات تستغل أهل بلدى ، فلما زرت مصر هالنى أن الكثيرين من أهل بلدى قبلوا أن يكونوا مغفلين ، ومن عتبة المطار فى صالة الوصول حتى عتبة المطار لصالة المغادرة صدمت لإنتشار التدخين وليس بين العمال فقط ، بل بين الشباب والكبار . كافة مرافق الحياة . ولقد تفرح الدولة بزيادة حصيلتها من

الضرائب على السجائر ، كأنما لا تعلم أننا نخسر أضعاف أضعاف ذلك في صورة أرباح الشركات التي تنزف خارج البلاد ، أو في صورة الأمراض وتكاليف العلاج والإجازات المرضية والأبدان الكليلة والأعمار المقصوفة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأنجع الطرق لمكافحة التدخين هي ألا يبدأ فيه الإنسان بالمرّة . ولهذا فالمدرسة الابتدائية هي ميدان المعركة والأم في البيت والأستاذ في المدرسة هما عماد المعركة إن كان لدى الأم وقت ولدى الأستاذ اهتمام كما كان الحال أيام زمان . والوالد المدخن والأستاذ المدخن مجرمان في حق الناشئة بما يقدمان من مثل سييء .

ولذة التدخين ليست غريزة كامنة فمن لم يبدأ التدخين فما فاتته شيء منها ، وما المدخن إلا كذلك الرجل الذي اشترى حذاء بالغ الضيق ، فلما سألوه قال لأنه عندما يشتد به إيذاء وألمأ أخلعه فأشعر براحة كبيرة !! ووسيلة الإقلاع عن التدخين لا تعتمد على التدرج ، لكنها أشبه الأشياء بالطلاق ( الذي يرجى أن يكون غير رجعي ) مع الاستعانة بالله والعزيمة القوية وتعديل النظام اليومي لتلقى مواطن التدخين ( كالاضطجاع على الكرسي المريح الذي اعتدناه لتناول سيجارة بعد وجبة الطعام ) وهناك ملايين قد أقلعوا عن التدخين . ولينكر الإنسان أن كل مولود كان يرضع ثم فطم قد عانى نفس المعاناة حتى تحرر من أسر العادة . كما ينصح بتناول كميات كبيرة من الماء في الفترة الأولى للتعجيل بإخراج رواسب النيكوتين من الجسم بطريق البول ولها أثرها في عملية الإيمان .. وحبذا لو ردد الإنسان آية أو دعاء كلما أحس بوطأة الإيمان مثل :

﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

، أو ،

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

ولعل نور الإيمان وبركة القرآن يقهران شيطان الإيمان فما هي إلا أيام حتى يولى لغير رجعة إن شاء الله .

أما الذين يدعون أن الحشيش غير محرم فأسأل الله لهم أن يفيقوا .. وعندما يفيقون سيعلمون أنه حرام .. وأنه مهما قلبت النظر فيه من الخبائث صحياً وعقلياً ومادياً ، والله تعالى يقول :

﴿ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتُ ﴾

وأن رجل الشارع حتى غير المتعلم يبصر الغافل والتائه والشارد فيوبخه قائلاً : « أنت

مسطول ؟ » .

قرأت من خمس سنوات أن مصر تحشش بسبعة ملايين جنيه كل يوم .. ترى كيف الحال الآن على زمن غلاء الأسعار وزيادة الانتشار والعتاويل الكبار . وفي مصر قانون يعاقب بالإعدام على تجارة الحشيش فكم تاجراً أعدموا ؟ ولماذا ؟ ( مهمة جداً لماذا هذه ) . نفس القانون في ماليزيا لكنه ينفذ وأعدم فيه مواطنون وأجانب من العالم الأول .. ولهذا فلا حشيش في ماليزيا .

ولعل في الختام أنكر المكابرين في الحشيش بصوت المرحوم سيد درويش ( ضمير مصر الغنائى ) فى أغنية الحشاشين :

أقول لك الحق لما نلقى بلادنا طبّبت فى أى عوزه  
تحرم علينا عيشتك يا جوزه      روحى وأنتى طالقاه مالكيشى عوزه  
دى مصر عايزه ناس فايقين .. هأع .. يا مرحب !

## السؤال الثامن

بعض الأدوية يحتوى على كحول أو مواد مخدرة فما رأى الشرع فيها ؟

● الأصل فى الشرع تحريم شرب الكحول أو ما يلحق به من باب القياس ، والرأى فى ذلك مستقر فلا داعى لبحثه من جديد ، كما أنه يسرى مهما كانت كمية الكحول المشروبة لأن « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

ومعلوم كذلك أن الأحكام الشرعية قد تجرى عليها الاستثناءات استجابة لضرورة لا مندوحة عنها . وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز :

﴿مَنْ أَضْطَرَّنِي مَحْمَصَةً غَيْرَ مَتَّجِنِفٍ لَا يُرْفِئُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

وكان أن تقررت فى علم أصول الفقه أحكام مثل « الضرورات تبيح المحظورات » ، ( على أن تقدر الضرورة بقدرها ) ، ومثل قاعدة « اختيار أخف الضررين إن لم يمكن دفعهما معاً » .

وعلى هذا ، فإن وجد مريض مصاب بمرض لا شفاء له إلا بتناول الكحول ذاته ، أو تناول مادة ذاتية لا تنوب إلا فى الكحول وكانت الخطورة التى تتهدده من عدم تناول خطيرة حقيقية جسيمة فإنه يرخص له بتناول ذلك الدواء وبمجرد استغنائه عنه تقف الرخصة ويسرى التحريم من جديد .

وعلى هذا جرى العرف فى البلاد الإسلامية فى الأحقاب الأخيرة مع وجود عناصر لا تتورع عن تناول تلك الأدوية مخالفة بذلك الرأى العام . لكن دلت الشواهد على حقائق جديدة لا بد من اعتبارها لمن يكتب عن هذا الموضوع فى الوقت الحاضر . فلا بد من أن نعترف بأن هذه الرخصة قد صادفت توسعاً فى استعمالها نظراً للتساهل فى إدراك المقصود الشرعى بالضرورة . وشاع بين الناس أن كل ما أطلق عليه اسم دواء فهذه التسمية كفيلاً بالسماح

( ١ ) سورة المائدة : الآية ٣

والإباحة ، وأفضى ذلك إلى نوع من التسبب ، وقد عشت فترة في إحدى البلاد التي شاع عنها التمسك الشديد بالإسلام ، فوجدت أن من أكثر التجارات رواجاً ما يباع في الصيدليات من شراب الكينا على أنه دواء للتقوية ، وليس من ريب في أن سر رواجه كان ما يحوى من نسبة لا بأس بها من الكحول ، وما كان عذر التقوية هذا ليشكل ضرورة شرعية ولا شراب الكينا هو المقوى الوحيد .

ثم إن السبب في كثرة عدد تلك الأدوية الكحولية هو أن مصدرها بلاد الغرب وليس في بال أهل الصيدلة هناك أن للكحول عقدة دينية خاصة تحوطه بأية محاذير ، أو من تعلموا الصيدلة في بلادنا نقلأ عن المدرسة الغربية حذرة بحذرة ( حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه وراءهم ) كما يقول النبي ﷺ دون أن يدركوا أن الاشتغال بالعلم غير منعزل عن الاهتمام بالدين .

حتى جد جديد منذ نحو سبع سنوات كان مفاجأة للكثيرين . فقد قامت داخل هيئة الصحة العالمية بجنيف دعوة إلى تخليص الأدوية مما بها من كحول ، لما تبين أنه مصدر لمخاطر تصيب الناس خاصة الأطفال ، ومن منطلق صحى وليس دينياً حثت شركات الأدوية على ذلك ، وشركات الأدوية شديدة الحساسية خشية ما يرفع ضدها من قضايا تطالب بتعويضات باهظة إن ادعى المريض أنه أصيب بمضاعفات من جراء الكحول الذى فى الدواء .. واستطاعت فعلاً أن تحضر نفس الأدوية على هيئة أقراص أو بمذيبات أخرى غير الكحول ، وتقصد الصيدلية فى أمريكا فترى على العلبة عبارة خال من الكحول ، أو تطالب الصيدلى ببديل خال من الكحول فيأتيك بالبديل .

وتبقى القاعدة الشرعية سليمة لا تمس . إن كانت هناك حقاً ضرورة شرعية ولا يوجد مخرج آخر فالرخصة قائمة فى تناول الكحول أو المواد المخدرة أو المسكنة .. ولكن مع التورع وعدم أخذ الأمر ببساطة أو سطحية . ونحسب أنه فى خلال سنوات ستستغنى الأدوية كلها تقريباً عن الكحول ، لكن المواد الدافعة للألم ستظل معنا لفترة طويلة وهى فى موضعها الصحيح مباحة فلا ضير على من يحتاج إليها .

وغنى عن البيان أن المحرم فى الكحول هو شربه . أما استعماله الظاهرية كتطهير الجلد قبل الجراحة أو فى العطور والكولونيات المختلفة فلا بأس ( بشرط عدم شربها كما يفعلون فى بعض البلاد إياها ) والله أعلم .

## السؤال التاسع

ما هي حدود الحفاظ على أسرار المهنة في المجال الطبي خاصة في حالات تهديد المجتمع مثل الإصابة بالإيدز وإدمان المخدرات ؟

● الأصل في المهنة الطبية أن أية معلومات يحصل عليها الطبيب عن المريض عن طريق ممارسة المهنة سواء أخبره بها المريض أو استنتجها هو أو كانت أمارات نلت عليها هيئة المريض أو شكل بيته إن زاره الطبيب ، فإنها تكون سرّاً مصاناً حتى ولو لم يطلب المريض صراحة أن يبقيها الطبيب سرّاً .

ومنذ عهد امحوتب في مصر ثم أبو قراط في أثينا ثم العهد الإسلامي كان للأطباء قسم يقسمونه مشتمل على حفظ سر المهنة .

ذلك أن من مقتضيات المهنة الطبية أن يتحصل الطبيب من مريضه على معلومات تفصيلية ، فإذا حجب المريض الحقيقة كان ذلك عقبة في طريق العلاج . ولهذا ، فلا بد من أن يصارح المريض الطبيب وكأنه يناجي نفسه ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إن كان متأكداً واثقاً أن سره مصون بحكم أن أخلاقيات المهنة تنص على ذلك وتصر عليه ، وأن الأطباء فعلاً ملتزمون بهذا الدستور الأخلاقي .. وإذا لم يكن هذا الوضع مستقرّاً فسيؤدي ذلك إلى خلخلة المهنة الطبية واهتزازها . ولما كان وجود المهنة الطبية في المجتمع واجباً شرعياً ، ولما كانت القاعدة أن ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب ، فقد حرصت القوانين في البلاد المختلفة على النص على حرمة سر المهنة الطبية وإيراد العقوبة على إفشائه . وهكذا ، لم يصبح هذا السر محاطاً بسياج الأخلاق فحسب ، ولكن محروساً بالقانون كذلك .

ويعاقب القانون على إفشاء سر المهنة حتى ولو لم يكن السر محرراً لصاحبه أو يصيبه الأذى من إفشائه ، ومن الأمثلة اللطيفة سابقة حدثت في فرنسا عندما مات أحد الفنانين ونشرت صحيفة أنه مات بسبب مرض الزهري ، فأصدر طبيبه بياناً ( شهماً ) يؤكد أن الرجل لم يمت بالزهري ولكن بمرض في القلب ، لكن النياية اعتبرت ذلك من الطبيب إفشاء لسر المهنة وقدمته للمحاكمة .

والواقع أن الإسلام حرم إفشاء السر على الجميع لا على الأطباء فقط ، وها هو ذا الرسول يقول : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » . والقاعدة عندنا أن المجالس بالأمانة .

وإذا كان ذلك واجبا على الجميع ، فهو بالنسبة للأطباء أوجب . وفي حياة كل طبيب نماذج لا تحصى من اعترافات رجال ونساء بأمور تشيب لهولها الولدان لكن ليس للطبيب أن ييوح بل حتى أن يغضب أو ينهر ، وإن جاز أن يقدم النصح الرقيق في سياق دلالة المريض على ما فيه خيره وسلامته ، وأن يكفل للمريض السر تماماً كما يكفل له العلاج .

تكن هذه القاعدة - ككل قاعدة - لها شواذ واستثناءات . فهناك حالات يكون على الطبيب فيها أن يفشى السر . وتقدير هذه الحالات لا يعود إلى الطبيب ولا يترك لتقديره الشخصي أو لشعوره العاطفي في كل حالة على حده . فلو ترك الطبيب وشأنه فمناهجه الكتمان على طول الخط ، ولكن المعول في الاستثناء على القانون سواء أكان القانون شرعياً أم مدنياً .. فهناك حالات يحددها القانون ويحصرها حصراً لا مزيد عليه ولا نقصان منه . والقانون ملزم للطبيب كما هو ملزم لغيره .. وهدف القانون شرعياً أو وضعياً من هذه الاستثناءات هو كفالة مصلحة المجتمع وهي أولى من مصلحة الفرد ( القاعدة الأصولية أن يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام ) .. وينبغي على السلطات وعلى الجهات الطبية أن تتيج للجمهور أن يعلم عن مواطن إفشاء السر هذه حتى يكون الناس على بينة من أمرهم فلا يعتبروا أن الطبيب خانهم أو غدر بهم .

فمن أمثلة مواطن الإفشاء هذه أن القانون يسمح بالإفشاء إن أذن بذلك المريض . وعندما يتقدم إنسان ليؤمن على حياته فإن شركة التأمين تحيله للكشف الطبي على بينة من أن الطبيب سيرفع تقريره للشركة . كذلك ينص القانون على ضرورة تبليغ السلطات الصحية عن حالات الأمراض المعدية أو الوبائية ويحدد هذه الأمراض . كما يبلغ الطبيب أحد الزوجين إن كان الآخر مصاباً بما يهمهما معاً . وكذلك يبلغ بنتائج الفحص الطبي للموظفين أو طالبي رخصة قيادة السيارة ( كشف النظر على الأخص ) أو الالتحاق بالجيش أو قيادة الطائرات . كما يجب التبليغ لمنع وقوع جريمة لم تقع بعد لكن إن اعترف المريض للطبيب بجريمة وقعت فعلاً فليس له أن يبلغ . وإذا طلب الطبيب للشهادة في المحكمة ، فله أن يعتذر عن إجابة سؤال يدخل في سر المهنة إلا إن أمره القاضي أمراً جازماً وإلا أمر بحبسه فهو إذن في حل .

على أن هذه المواطن تختلف من بلد لبلد وقد تتغير أو تزيد أو تنقص بمرور الزمن فيحسن أن يكون أهل كل زمان وكل مكان على بينة من القانون الذي يتحاكمون إليه .



# الإسلام والمرأة

الدكتور  
عبد الجليل شلبي

- الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، عين إماما للمركز الإسلامي في لندن ، وشغل منصب عميد معهد إعداد الدعاة ، كما أختير عضوا في لجان مجمع البحوث وفي لجنة جوائز الملك فيصل الأدبية . وعمل بالتدريس والدعوة في السودان والسعودية وأستراليا وأمريكا والهند وباكستان وماليزيا وتنزانيا وجنوب أفريقيا والنيجر .
- حاصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن ، كما درس الأديان المقارنة والخطابة في معهد ماري لبيون بنفس الجامعة . وقد تخرج في كلية اللغة العربية بالأزهر ، وحصل على اجازة التدريس ، وليسانس اللغة العربية من كلية الآداب جامعة القاهرة .
- شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية ، وحصل على وسام تقدير للنشاط العلمي ووسام الدولة من الدرجة الأولى عام ١٩٨٩ .
- له مؤلفات عديدة منها : فقه العبادات ، الإسلام والمستشرقون ، وتحقيق كتاب معاني القرآن وأعرابه للزجاج ، معركة التبشير والإسلام ، مقتريات المبشرين .



## السؤال الأول

ما رأيكم فيما يقال من أن السماح بتعدد الزوجات ظلم للمرأة ؟

● نذكر أولاً أن الإسلام ليس أول دين أباح تعدد الزوجة ، ولكنه أول دين نظم هذا التعدد ، فوضع له شروطاً وحدد عدد الزوجات . ففي الأمم القديمة قبل الإسلام ، وفي أمم أخرى تجاوزت حد البداوة حتى بعد ظهور الإسلام وظهور القوانين التي سنّها لإباحة تعدد الزوجة ، نجد فوضى هذا التعدد فاشية بينهم .

والديانات السماوية قبل الإسلام التي بقيت لها كتب ونصوص مقدسة ، تبين لنا كيف كانت هذه العادة شائعة مألوفة . وليس من هذه الديانات سوى الديانة اليهودية والمسيحية .

ففي الديانة اليهودية نجد أن إبراهيم عليه السلام - رأس الأسرة العبرية - كان له زوجات وسراري ، ويعقوب كان له زوجتان أختان ، واستكثر داود من الزوجات ، واستكثر سليمان أيضاً حتى كان في بيته ألف امرأة ، سبعمائة من السيدات ، وثلاثمائة من السراري<sup>(١)</sup> ، وهكذا نجد في العهد القديم هذه الفوضى من كثرة النساء .

أما الديانة المسيحية فلم ترد فيها نصوص تحرم التعدد أو تنكر ما جاء منه في العهد القديم ، ولم يمنع تعدد الزوجة إلا بعد القرن السابع عشر ، وخلال هذا الزمن الطويل شاعت المخالفة ، وفشا الفساد بين الرهبان والراهبات ، ولا تزال مسألة إباحت التزوج بزوجة أخرى ، كمسألة الطلاق - لا تزال تجد من يطالب بها بين الغربيين والأمريكيين ، لأن بعض الرجال استعاض عن الزوجة الثانية بالمخالفة ، بل حدث في أمريكا - فيما قيل لنا - أن زوجة شكّت من زوجها لأنه تزوج زوجة ثانية ، أو أكثر . ولكنه قال إنهن خليلات ، فلم يؤخذ على هذه المخالفة بشيء لأنها مجرد صداقة ، واختلاطهما جنسيا لا يحرمه القانون .

والإسلام - على أي حال - لا يحتم ولا يشجع على تعدد الزوجة ، ولكنه أباحه على شريطة ألا يزيد عدد الزوجات على أربع ، وأن يستطيع الزوج العدل بينهم .

(١) سفر الملوك الأول ص ٢١ ، ٣

وعندما ظهر الإسلام ، كان بين العرب من له عدد من الزوجات يصل إلى عشر ، فأمر النبي - ﷺ - بالإبقاء على أربع وتطليق من عداهن .

واشترط الإسلام على من يتزوج من أكثر من واحدة أن يكون قادراً على العدل بين نساته . عدل في النفقة وعدل في الحياة الزوجية ، وعدل في المعاملة حتى في بشاشة الوجه ولين الكلام . ولم يستثن إلا الميل القلبي الذي لا يملك المرء فيه شيئاً حتى في معاملته أولاده ، وهو شعور مباح ما لم يترتب عليه جور في الصلوات الأخرى ، وجاء في القرآن الكريم

﴿ وَلَنْ نَسْتَبِيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ ۗ ﴾ (١) .

وكان رسول الله - ﷺ - بطبيعته البشرية ، يميل إلى بعض نساته ، فقال : اللهم هذه حيلتي فيما أملك ، فلا حيلة لي فيما تملك ولا أملك ، ولا ضرر على الزوجة إن أحب زوجها ضررتها أكثر مما يحبها هي ، مادامت هذه المحبة لا يترتب عليها فوارق مادية ، ولا ينالها من ورائها نقص معنوي .

وقد اشترط الإسلام هذا العدل والمساواة بين الزوجتين أو الزوجات فقال سبحانه :

﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ ﴾ (٢) .

فالمرأة المسلمة إذن آمنة من الظلم إذا تزوج رجلها زوجة أخرى .

أما دواعي التعدد أو الزيادة على زوجة واحدة فكثيرة قد تجعل هذه الزيادة واجبة أو أمراً لا بد منه في بعض الأحيان . فقد يطرأ على الزوجة مرض لا تستطيع معه أن تؤدي واجب الزوجية أو لا تتقبلها ، وقد تكون عقيماً لا تلد لسبب من الأسباب التي ينشأ عنها العقم ، والإنجاب هو ثمرة الزواج ، لأنه به يبقى النوع الإنساني ، وتعمد الأرض ، وقد امتن الله سبحانه على عباده بهذه النعمة إذ قال :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ۗ ﴾ (٤)

( ٢ ) سورة النساء : الآية ١٢٩ .

( ٣ ) سورة النساء : الآية ٣ .

( ٤ ) سورة النحل : الآية ٧٢ .

فلا مساع لحرمان الرجل من هذه النعمة ، ثم إن الرغبة في وجود الأولاد عريضة وفطره ، وكثيرا ما نجد ذوى العقم من الرجال يبنون أطفالا ، أو يربونهم ، وكذلك يفعل النساء . فعلى مثل هذه المواقف لا يجوز أن نجبر الزوج على الإبقاء على زوجته واحدة .

وقد أعطى الشرع الزوجة الحق في طلب الطلاق من زوجها إذا ثبت أنه عقيم لا يلد ، أو لا قدرة له على ممارسة الحياة الزوجية ، أو به مرض منفر .. ، وفي كتب الفقه تفاصيل واسعة عن أسباب الفرقة . وقد تزوج عبد يزيد امرأة من مزيعة ، فلم يفم برسالته زوجا ، رجعت امرأته إلى النبي - ﷺ - فأخذت شعرة من رأسها وقالت : « إن عبد يزيد لا يعنى عسى إلا كما تغنى هذه الشعرة ، ففرق بينى وبينه » ، فقال له النبي - ﷺ - : « طلقها . فطلقها(٥) .

فقد سوى الإسلام بين الزوجين في طلب الانفصال إذا كان ثم ما يدعو إليه . وإذن ، فللزوج عندما يكون عيب في الزوجة أو عندما يطرأ هذا العيب ، أن يفصل عنها أو يتزوج عليها زوجة أخرى ، وزواجه من أخرى أو أخريات أهون وأفضل من الفرقة . ولها الخيار في بقائها أو طلب انفصالها إذا أساء عشرتها أو أنقصها شيئا من حقوقها .

وقد تطرأ حالات اجتماعية يكثر فيها النساء حتى يكن فتنة للشباب ومصدر غواية ، ففي حالات الحروب ، يذهب الكثير من الرجال ، لأنهم الذين يعانون غمرات الحروب ، فتكثر الأرامل وتكثر أيضاً الفتيات اللاتي لا يجدن أزواجهن . ولأن تكون الواحدة من هؤلاء شريكا مع زوجة أخرى خير لها وأصون من أن تظل عزبا ، وبفاؤها على العزوبة يعارض غريزتها ، ويحرمها من النسل ومن الحياة الزوجية الطاهرة الشريفة .

وفي البلاد التي تحرم تعدد الزوجة تكثر المخاللة ويشيع السفاح ، ويكثر نبعاً لذلك اللقطاء ومجهولو الآباء . وكون المرأة زوجة مع زوجات خير وأفضل لها ، وحرمانها من حياة الأسرة والتمتع بما لها من طهارة ونعاون وما يجمع أفرادها من محبة ووثام ، هو في الواقع حرمان من الناحية الإنسانية ، فالإنسان يمتاز عن غيره - من الحيوانات الأخرى ، بالحياة الأسرية والروابط القبلية ، وتعاون الأقارب ، والحيوانات العجم بدوافع الغريزة نحنو على أطفالها ، ويأتي هذا الحنو في أكثرها من جانب الأم ، فإذا نما الصغير واستطاع الاستقلال بنفسه تركته أمه أيضاً ولهذا لا توجد بين هذه الحيوانات حياة اجتماعية . والسمو الإنساني يفوم على التعاون والرحمة ، وبت النصائح والعلنة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ٥٢٦ ﴾

(٥) انظر القصة كلها في سنن أبي داود ح ١ / ٣٤٣ ، وانظر الإصانه ت ٥٢٦٩

(٦) سورة الحجرات : الآية ١٣

والطفل المجهول الوالد غريب في حياته وفي أكثر أحيانه ناغم على مجتمعه ، ناغم على الناس جميعاً . وقل مثل هذا في الأنثى التي لم تتزوج والتي تحرم من الأولاد ، إنها تشعر بالحقد على الآخرين ويساورها شعور البغضاء لهم .

أليس من الخير إذن أن تكون زوجة مع زوجات ؟

بهذا نرى أن الإسلام في إباحته تعدد الزوجة لم يظلم المرأة وإنما كان بها رحيماً .

ولنلاحظ أن العادة وآثار البيئة ذات دخل كبير في هذا الشأن ، فالبيئات التي تعتمد على كثرة العدد ، وتعزّز بكثرة أفرادها ، تنجح إلى تعدد الزوجة ، حتى إننا نجد المرأة تستحث زوجها على الزواج من زوجة أخرى ، وتختار له الولود الودود ولا يشعر الزوجات وهن تحت زوج واحد بغيرة ، بل نجد بينهن وبين أولادهن التعاون والإخاء .

وإذا كان من رجال الفكر الأوروبي من عاب على المسلمين أخذهم بنظام تعدد الزوجات واعتبره ظلماً للمرأة ، فإن رجالاً أوروبيين أيضاً من أنضج المفكرين وأوسطهم رأياً ، قد دافعوا عن هذا النظام ، وقالوا إنه أحرى أن يأخذ به الغربيون . من هؤلاء الدكتور آربرى ، والفيلسوف الكبير راسل ، واقتطف هنا بعض العبارات التي كتبها المستشرق الفرنسي الكبير جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » الذي عرّبه عادل زعيتر ، جاء في كلامه :

« ولا ننكر نظاماً أنهى الأوروبيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات ، كما أننا لا ننكر نظاماً أخطأ الأوروبيون في إدراكه كذلك المبدأ . ذلك أن أكثر مؤرخي أوروبا اتزاناً يرون أن مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية في الإسلام ، وأنه سبب انتشار القرآن ، وأنه علة انحطاط الشرقيين ، ونشأت عن هذه المزاعم الغربية - على العموم أصوات سخط رحمة بأولئك البائسات ..

ذلك الوصف مخالف للحق ، وأرجو أن يثبت عند القارىء ... أن مبدأ تعدد الزوجات نظام طيب ، يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به ، ويزيد الأسرة ارتباطاً ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في أوروبا .

... إن مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصاً بالإسلام ، فقد عرفه اليهود والفرس والعرب وغيرهم من أمم الشرق قبل ظهور محمد .

... وبما أن تركيب المرأة الجثمانى وأمومتها وأمراضها ... الخ . مما يكرهاها على الابتعاد عن زوجها في الغالب ، وبما أن التاييم المؤقت مما يتعذر في جو الشرق ، ولا يلائم مزاج الشرقيين ، كان مبدأ تعدد الزوجات ضربة لازب ، وفي الغرب - حيث الجو والمزاج أقل

أهمية ، لم يكن مبدأ الاقتصاد على زوجة واحدة إلا في الفوانين وهو نادر في الطباع .  
ولا أرى سبباً لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد  
الزوجات السرى ، عند الأوروبيين » .

ومضى « لوبون » بعد ذلك يسرد الدواعى التى تدعو لهذا التعدد ، ويبين جوانب الرقى التى  
أهداها الإسلام للمرأة ، فذكر حنو النبى محمد - ﷺ - على بناته ، وتحريمه وأد البنات ، ثم  
عرض أن كتب التاريخ فى العصر الوسيط تعكس صورة من غلظ الرجال وشدهن حتى أن  
شارلمان « انقض على أخته فى أثناء جدال وأخذ بشعرها وضربها ضرباً مبرحاً حتى كسر بقفازه  
الحديدى ثلاثاً من أسنانها » .

إن الأوروبيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية ، وما اقتضته من احترام المرأة .  
وإن - فالإسلام - لا النصرانية - هو الذى رفع المرأة من الدرك الأسفل .

## السؤال الثانى

هل يمارس الإسلام التفرقة ضد المرأة لصالح الرجل : فى الأحوال الشخصية والميراث والشهادة وتولى المناصب ،... الخ ؟

● هناك فوارق فطرية طبيعية بين الرجل والمرأة ، ولا تقوم الحياه إلا على مراعاة هذه الفوارق ، ولو كان الرجل والمرأة متساويين فى كل شىء ، ما اسفامت حناة ولا صلح شأن العمران . والفرق بين الذكر والأنثى ملاحظ فى كل شىء ، سواء فى بنى الإنسان أو فى الحيوانات العجم حنى الطيور والأسماك . فالذكر دائما أقوى جسما وأقدر على المفاومة ، بينما الأنثى أوهن قوى ، نم نجدها دائما تابعة له مسلمة له قيادتها .

والرجل والمرأة فى بنى الإنسان لا يخرجان عن هذا القانون الطبيعى ، ولهذا نيط بالرجل أن يعمل ويكد ويكنسب ، بينما وكلت إلى المرأة شئون البيت وتربية الأطفال . ولا يحسن الرجل بما فيه من خشونة وصلابة أن يسهر على الأطفال يرببهم ويرضعهم ، كما لا تقوى المرأة على الكفاح والأعمال العنيفة . هذا ما منحه الطبيعة كلاً منهما ، وقد هيأت المرأة للحمل والإرضاع - فهذه وظيفتها التى خلفت لها . وقد أخطأت النظم المسحدثة إذ طلبت مساواة المرأة للرجل ، أو بعبارة أخرى إذ خرقت نظم الطبيعة ، ورأت التسوية بينهما فى كل شىء .

ونحن نرجع إلى الوراء لنرى حال الزوجين البدائيين ، يوم أن لم تكن قضايا للمرأة ولا تنافس مع الرجل ، فنرى أن الرجل هو الذى كان يخرج للصيد ومكافحة الحيوانات أو جمع الأعشاب ، بينما كانت الأنثى تقبع فى كهفها ، تجمع الخرز الملون أو الجلود والأوراق اللامعة لتنزين بها ، وفى حالات الإنجاب كانت بطبيعة تكوينها هى المربية للأطفال الحانية عليهم .

على هذه الأسس الفطرية قامت معاملة الإسلام للزوجين ، ووضعت قوانينه التى نحدد لكل من النوعين عمله . فعلى الرجل أن يكتسب وينفق على زوجه وعلى أولاده ، وأيضاً على أبويه إذا احتاجا لنفقة أو معونة .

الرجل مسئول عن النفقة على المرأة سواء كانت فقيرة أو غنية ، فإذا كانت ذات مال ونراء ،



وليس للرجل مال ظل هو المسئول والمطالب وحده بالإففاق ، وما أنفقته الزوجة عليه أو على أولادهما ، فهو تبرع منها ليست مجبرة عليه .

ومن هنا كانت للرجل القوامة على البيت لأن القيادة تكون للأقوى والأقدر :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (١) .

وإذن فتقسيم أعمال الأسرة وواجباتها على هذا النحو ليس فيه محاباة لأى من الطرفين ولا ظلم لآخر ، وإنما هو جرى على قوانين الطبيعة والفترة الإلهية .

ولأن الرجل هو الأقوى وهو المنفق ، كانت له قيادة الأسرة ، زوجة وبنين ، وبيده عصمة الزوجية هو الذى يطلق زوجته إن شاء ويبقى عليها إن شاء ، ويجوز له أن يجعل عصمة المرأة بيدها ، فتطلق نفسها إن شاءت ، ولكن هذا لا يسلبه حقه فى التطلق .

ولم يدع الإسلام الأمر موكولاً لقوة الرجل وضعف المرأة ، بل أوصى الرجال بالنساء ، وقال رسول الله - ﷺ - « استوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عوان عندكم » . وجعلها الله سكناً وملاذاً للرجل يجد فى رفقها وفى لينها وعاطفتها الراحة والاطمئنان إليها :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (٢) .

وأوصى القرآن بالإحسان إلى الزوجة حتى فى حال طلاقها :

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

ومادامت المطلقة فى عدتها فالزوج مسئول عن نفقتها وإسكانها :

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِهِنَّ لِتَضْيَقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ

( ١ ) سورة النساء : الآية ٣٤

( ٢ ) سورة الروم : الآية ٢١

كُنْ أَوْلَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَعَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ  
وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴿٣﴾ .

فالنفقة واجبة على الزوج ، ينفق على أولاده وعلى أمهم حتى بعد طلاقها ، ولها عليه أجر  
خصانتها لأولادها منه ، وقد تكون تربية قادرة على الإنفاق ولكن هذا حقها . ولا يكلف الزوج  
أن يقدم نفقة على قدر تراء زوجته ولكن على قدر طاقته ، وهذا عدل :

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ  
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾ .

هل فى أى شىء من هذا محاباة للرجل !؟

لقد وضع الإسلام الأثياء فى وضعها الطبيعى . ووضع رعاية الأسرة فى يد المرأة مع  
تكليف الرجل بالكسب .

ولأن الأثنى غير مكلفة بالكسب والإنفاق ، كان لها من الميراث نصف ما للرجل ،  
فالمفروض فيها أنها تكون زوجة ينفق عليها زوجها ، وأن أباها يكون زوجاً لأخرى هو الذى  
ينفق عليها . وفى حال انفرداها - لا ينسى الإسلام حال العصبية التى تقوم عليها روابط القبيلة ،  
والتي تحتاج إليها الفتاة لحمايتها ، فقد أعطاها الإسلام نصف التركة إذا انفردت ، وجعل الثلثين  
لمن كن اثنتين فأكثر :

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ لِمِثْلِ حِظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ  
فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ  
مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ (٤) .

فالولد الذكر له ضعف الأثنى لما ذكرنا ، وللأبوين نصيب محدد . ولا ينبغي أن تستبد الفتاة

( ٣ ) سورة الطلاق : الآية ٦

( ٤ ) سورة النساء : الآية ١١

المفردة بتركة والدها كلها ، كما يأخذها الولد الذكر كلها . والولد الذكر نو قوة يحمى بها نفسه ، وهو يساعد من يحتاج إلى المساعدة من أسرته وقبيلته ، ولذا لا يأخذون شيئاً من تركة والده .

وقد أثبتت وقائع الحياة والمشاهدة أن الرجل أقوى وأمهر من المرأة في كل شيء عدا أعمال التمريض وتربية الأطفال ، لأن هذه أعمال أليق بالأنثى وألصق بالأمومة . قال الأستاذ عباس العقاد : « ... فإن المرأة على العموم لا تساوى الرجل في عمل اشتركا فيه ، ولو كان من الأعمال التى انقطعت لها المرأة منذ عاش الجنسان في معيشة واحدة ، لا تطبخ كما يطبخ ، ولا تنتقن الأزياء كما ينتقنها ، ولا تبدع في صناعة التجميل كما يبدع ، ولا تحسن أن ترثى ميتاً عزيزاً عليها كما يرثى موتاه وهى منذ بدء الخليقة تردد النواح وتتفرد بأكثر مراسم الحداد»<sup>(٥)</sup> .

واستطرد الكاتب الكبير في موازنته بين الجنسين ، وبيان تفوق الرجل مما يوجب أن تكون له قيادة الأسرة ، وأن تكون المرأة تابعة له وتحت قيادته .

ومصدق ما ذكره من تفوق الرجل حتى في الأشياء التى هى من خصائص النساء ، ما نقرؤه من مآثور المراثى لكل منهما ، وقد اشتهرت الخنساء بمراثى أخيها صخر حتى قيل عنها : إنها ندابة تجيد الشعر ، بمعنى أن صفة الندب والبكاء أصل في طبيعتها ، ونحن نقرأ هذه المراثى فنلمس جانب الاستسلام والضعف أكثر مما نجد تصوير الأحاسيس وبواعث الألم ، ومرثية واحدة لابن الرومى تعدل مراثيها كلها وتزيد عليها<sup>(٦)</sup> .

وليس في عزل المرأة عن مواقف القيادة انتقاص لها ، ولا زراية بها ، لأنها في الواقع

(٥) انظر حقائق الإسلام ... ص ١٧٤ - ١٧٥

(٦) انظر مثلاً قول الخنساء :

على إخوانهم لقتلت نفسى  
أسلى النفس عنه بالنأسى

ولولا كثرة الباكين حولى  
وما يكون مثل أخى ولكن

تجد كلاماً يقوله كل مبالغ في مدح شخص ، فيصفه بأنه عظيم لا نظير له ، وأن الباكي عليه لشدة حزنه يكاد ينجع نفسه ، وانظر قول ابن الرومى في رثاء ابنه :

وأنست من أفعاله آية السرشد  
بعيدا على قرب قريبا على بعد  
يكون للأحزان عوناً على الجلد  
فؤادى يمثل النار عن غير ما عمد  
يثيرانها دونى وأشقى بها وحدى

على حين شمت الخير من لمحاته  
طواه الرى عنى فأضحى مزاره  
أرى أخويك الباقيين ، كلاهما  
إذا لعبا فى ملعبك لذعسا  
فما فيهما لى سلوة بل حزازة

تجده يصور شعوراً نفسياً يمر بكل ناكل ، ولكن لا يحسن التعبير عنه إلا مثل ابن الرومى ، فليس قصاره أن يقول كان ولدأ نادراً أكاد أقتل نفسى لفقده ولكنه صور مشاعره وبواعث نفسه ، والنباح على الموتى من خصائص الأنثى ولم تتفوق فيها على الرجال

خصصت لأئمن ما تعتر به الحياة وهو تكوين الإنسان وتربيته تربية سليمة ، وسواء ربت رجلاً يكون أباً كادحاً أو امرأة تكون أماً صالحة مربية إنها في كلتا الحالتين بانية للإنسانية مكونة لأقوم عناصرها وأئمن ما تعتر به ، وما يقودها إلى الأمام ورفع مستواها .

ليست إذن مسخرة لصالح الرجل ، وإنما هي مخصصة لصالح الإنسانية ، لصالح الذكور والإناث على السواء .

وقد عبّرت أسماء بنت يزيد الأنصارية عن وظيفة المرأة أحسن تعبير (٧) إذ جاءت إلى رسول الله - ﷺ - وهو بين أصحابه فألقت خطبة حسنة جاء فيها :

« إن الله عز وجل ، بعثك إلى الرجال والنساء كافة ... ونحن معشر النساء محصورات مقصورات مخدرات قواعد بيوت ، مواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا علينا بالجمعات ، وشهود الجنائز وعبادة المرضى والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ، وإن أحكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم ، وربينا أولادكم ... أفنشارككم في هذا الأجر والخير ؟ »

فالتفت رسول الله - ﷺ - إلى أصحابه وقال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟ ... انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعيل المرأة لزوجها ، وطلبها لمرضاة وإتباعها لموافقته يعدل كل ما تكرت للرجال ..

هذا وحسن تبعيل المرأة لزوجها مما يضيء على البيت وثاماً ، وعلى الأسرة كلها انسجاماً ، فالطفل ينشأ وسنده في الحياة والداه ، فإذا لم يكن بينهما إنسجام نشأ هو أيضاً منقسماً متردداً واهن الشخصية ، ويخطيء كثير من النساء - خصوصاً قليات الحظ من الثقافة العامة أو الحياة الدينية ، إذ تحاول الواحدة منهن أن تثبت شخصيتها وقدرتها على التفكير فتفرض رأيها أو تخالف زوجها ، وبدلاً من الحوار المنطقي الهادئ تثير حول آرائها ضجة ، ولهذا أثر سيء على حياة الطفل وتكوين شخصيته .

أما الشهادة على الشئون المالية ، فجاء فيها قول الله تعالى :

﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ۗ ﴾ (٨)

(٧) انظر ترجمتها في الاستيعاب والإصابة

(٨) سورة البقرة : الآية ٢٨٢

وليس في هذا انتقاص للمرأة ، وإنما هو نتيجة لما وكل إليها من الأعمال وما خصصت له من الوظائف ، لأنها لبعدها عن مجال المعاملات المالية والمبادلات التجارية قليلة الخبرة ضعيفة الذاكرة ، فأعينت بزميلة معها تذكرها إذا نسيت أو أخطأت ، ولهذا يحضر القاضى الشاهدين من النساء معاً ، بينما يحضر كل شاهد من الرجال وحده .

وكما يختار الرجل الفتاة التي يرضاها شريكة حياته تختار المرأة أيضاً من ترزاه ، وجاء في الحديث الشريف : لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن ، والثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأمر وإنها صماتها .

وأرادت إحدى الصحابيات أن تعلم النساء أن ليس للآباء حق إكراه البنات على الأزواج ، وكان أبوها قد زوجها ، فذهبت إلى السيدة عائشة - أم المؤمنين - رضی الله عنها فقالت لها : إن أبى زوجنى من ابن أخيه يرفع له خسيسته وأنا كارهة ، فقالت لها : امكثى حتى يأتى رسول الله - ﷺ - فلما جاء أخبرته خبرها ، فأرسل إلى أبيها وذكر له شكوى بنته ، فقال الرجل : أمرها إليها ، أى إن شاءت بقيت ، وإن شاءت طلقت ، فقالت الفتاة : يا رسول الله ، قد أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء .

ومن مكملات هذا الحديث أن نذكر أطرافاً مما أنصف الإسلام به المرأة ، ورفع عنها ما كانت تعانيه من عسف في الجاهلية ، وقد بينا فيما سبق علة توريثها نصف الرجل المعادل لها في القرب من الميت ، أما في الجاهلية فكان ميراث الرجل لبننيه الذكور دون الإناث ، وكان العرب يقولون : لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمى البيضة ، وكان الرجل الذي ٧ ولد ذكراً له ، يرثه أحد أقاربه فيأخذ ماله كله ويضم بناته إلى بناته ، ولكن الإسلام محا ذلك ، وقال الله تعالى :

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (٩) .

ومرض سعد بن أبى وقاص بمكة ، فأتاه النبي - ﷺ - - يعوده ، فقال : يا رسول الله إن لى مالاً كثيراً ، ولا يرثنى إلا ابنتى ، أفأصدق بثلثى مالى ؟ . قال : لا ، قال : فأنشطر . قال : لا ، قال : فالثلث ، قال : الثلث والثلث كثير إنك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم

عالة يتكفون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك (١٠) .

ويبدو من هذا رفق النبي - ﷺ - بابنة سعد ، ولو تصدق بكل ماله أو نصفه ما بقى لها .  
ونجد مثل هذه العناية في المطلقة التي لم يدخل بها زوجها ، فقد جعل الله لها نصف صداقها ومتمعة يمتعها بها الزوج :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَا  
لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (١١) .

وجاء في كتاب « المرأة العربية » : « كثيراً ما كان رسول الله - ﷺ - يصدر عن رأى زوجه خديجة رضى الله عنها ، وكمثل ذلك صدور عبد الله بن الزبير عن رأى أمه أسماء ، وصدور الوليد بن عبد الملك عن رأى زوجه أم البنين ... وصدور السفاح عن رأى زوجه أم سلمة وصدور الرشيد عن رأى زوجه زبيدة ، وأمثال هؤلاء في الإسلام جم كثير (١٢) .

ونذكر بعد ذلك أذب قطر الندى بنت خمارويه ، ومكانتها عند الخليفة العباسى ، وموقف شجرة الدر الذى يعتبر من مواقف البطولة ، ثم ننظر موقف سفانة بنت حاتم وتكريم النبي - ﷺ - لها ، وكيف كانت سبباً فى إسلام قومها .

ومن البطولات المعروفة بطولة غزالة الحرورية ، وتحديها الحجاج بن يوسف الثقفى حتى لجأ إلى دار الرياسة فاعتصم بها ، ودخلت هى المسجد وصلت وأطالت صلاتها .

ومن مواقف المرأة فى الإسلام موقف السيدة صفية بنت عبد المطلب يوم الخندق وقد نزلت إلى مشرك اجتاز الخندق ، وجبن حسان بن ثابت عن النزول إليه - فضربته بعمود فقتلته ، وفعلت مثل ذلك أم حكيم بنت الحرث يوم اليرموك إذ قتلت سبعة من جنود الروم بعمود خيمتها .

(١٠) سعد بن أبى وقاص بن مالك بن أهيب الزهرى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، كان النبي - ﷺ - يسميه خاله ، ويقول : « هذا خالى فليرنى امرؤ خاله ، وهو أول من رمى سهماً فى الإسلام ، شهد غزوات النبي - ﷺ - جميعاً وله فى بدر وفى أحد مواقف مشهورة ، وأدخر العباءة التى لبسها يوم بدر ليكفن بها ، وولاه عمر حرب العراق ، فدخل إيوان كسرى وافتتح المدائن ثم اختط مدينة الكوفة ، وفى حرب على ومعاوية اعتزل الفتنة ، ومات سنة ٥٥ هـ .

(١١) سورة الأحزاب : الآية ٤٩

(١٢) ج ٢ / ٤٠

ونلاحظ تكريم الإسلام للمرأة بتنفيذ إيجارتهما ، وقد أجازت السيدة زينب بنت رسول الله - ﷺ - أبا العاص بن الربيع ، وكان زوجها ففرق بينهما الإسلام ، إذ أسلمت هي وبقي على شركه ، ومع افتراقهما أجازته ، ورد المسلمون عليه ماله<sup>(١٣)</sup> ، وأكبر من كل تكريم وأعظم أن رسول الله - ﷺ - كان يقوم من مجلسه لابنته فاطمة ويقبل يدها وأجازت السيدة أم هانئ اثنتين يوم الفتح<sup>(١٤)</sup> .

---

(١٣) كانت السيدة زينب الكبرى بنات النبي - ﷺ - وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع ، وكان يحبها ويجلها ، فلما فرق الإسلام بينهما هاجرت إلى المدينة ، وبقي بمكة ، ثم خرج في تجارة إلى الشام ، فعارض تجارته زيد بن حارثة ، وكان على رأس جماعة أرسلهم رسول الله فغنموا المال وأخذوا الرجال أسرى ، واستجار أبو العاص بزینب ، فوفقت على باب المسجد ، وصاحت : إني أجزت أبا العاص ، فسأل النبي - ﷺ - أصحابه : هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : « فالذي نفسى بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم ، المؤمنون يد واحدة يسمي بذمتهم أديانهم وهم يد على من سواهم ، وقد أجرنا من أجازت » وكانت قد قنمت في فدائه فإلادة ورثتها عن أمها ، فقال النبي لصحبه : إن شئتم ردنتم عليها فإلادتها وأطلقتم لها أسيرها . تم سألت أباها أن يرد عليه كل ماله ففعل .

ولما عاد أبو العاص إلى مكة أدى الأموال إلى أصحابها ، ثم أعلن إسلامه وهاجر إلى المدينة فرد النبي عليه زوجته

(١٤) هي فاختة بنت أبي طالب ، من أوائل من أسلمن ، ففرق الإسلام بينها وبين زوجها هبيرة بن أبي وهب ، وفر يوم الفتح إليها رجلان مستجيرين فأجازتهما وأراد على بن أبي طالب أخوها قتلها ، فبلغت عليهما بابها ، وذهبت إلى رسول الله فأخبرته ، فقال لها : « قد أجرنا من أجزت وأمانا من أمست » .

## السؤال الثالث

ما هي حدود طاعة الزوجة لزوجها ؟

● الزواج بداية لقيام أسرة ، ومن الأسر يتكون المجتمع ، وبقدر ما يكون بين الأسر من توافق والتنام يسود في المجتمع الهدوء والاطمئنان ، وتتصف حياة الأمة كلها بالرفق ، ويتفرغ أبناءها للعمل والابتكار . لذلك احتاط الإسلام لهذا التوافق وراعى كل الاعتبارات لنجاح الحياة الزوجية وسعادة كل زوجين .

والزوج هو القوام على الزوجة ، ولكن قوامته لا تقوم على السيطرة والتحكم المستبد ، ولا تستقيم حياة الزوجين على الجذب والشد والمخالفة بينهما ، وقد احتاط الإسلام لقيام الألفة بينهما ومنع الخلاف من أول خطوة تتخذ لاقتران اثنين بهذا الرباط المقدس .

وبعقد القران بعد هذا كله وتام الزواج تبدأ صفحة جديدة في حياة الزوجين هي الخطوة الفعلية في تكوين الأسرة ، على الزوج النفقة وعلى المرأة عمل المنزل . وقد قضى بذلك رسول الله - ﷺ - على ابنته فاطمة إذ أمرها أن تقوم بعمل البيت ، فالزوجة إذن شريكة لها جانب خاص من العمل . ليست مجرد متاع للرجل ، ولا تستقيم الشركة إلا إذا كان الطرفان فيها على وفاق به يسهل إذعان كل منهما للآخر .

ونحن نضع نصب أعيننا أن أساس الزواج عفة الرجل ، وعصمته من الزلل والوقوع في الإثم ، وعلى الزوجة أن تتزين كي تعف بصره فلا ينظر إلى غيرها وأن تستجيب لرغبته الجنسية إذا لم تكن في حالة تمنع منها شرعاً . وفي الحديث : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت ، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » ، وفي رواية « حتى ترجع » أي حتى ترجع إلى فراشه ، وأيضاً لا تصوم صيام تطوع إلا بإذنه ، وجاء في الحديث أيضاً : « لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه » والشاهد هو الحاضر ، فقد تدعوه حاجته إليها أن يلاقيها نهاراً ، فإذا كان مسافراً فلها أن تصوم كما تشاء . أما صوم الفريضة فلا يحتاج إلى إذن ، ولا تسافر إلا بإذنه ومع محرم ، فإذا لم يأذن لها في السفر ولو كان لحج الفريضة



فلا تسافر ، ولا إثم عليها في عدم الحج حينئذ ، لأنها غير قادرة عليه ، والحج على من استطاع إليه سبيلاً ، ولا إثم عليه أيضاً إذا كان يحتاج إليها أثناء سفرها له .

ولا تأذن لأجنبي بدخول بيته إلا بإذنه ، فإن كان أجنبياً - غير محرم - فلا يجوز لها - ولو كان دخوله بإذن الزوج - أن تخلو به بالجلوس معه وحدهما في حجرة واحدة .

وهناك حالة يجوز لها فيها أن تخرج بغير إذنه ، وذلك إذا دهم العدو البلاد وخرج الناس لمقاومته كل بما يطبق خرجت لتدفع عن المسلمين بدون استئذان ، لأن هذه الحالة تجعل الحرب فرض عين على كل مستطيع ، فيخرج كل من هو تحت رقابة بغير إذن وليه ، الزوجة والولد والرقيق وغيرهم ، وذلك استجابة لقول الله تعالى :

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

وتستشار المرأة ، وقد يأخذ الزوج برأيها ، كما فعل رسول الله - ﷺ - يوم الحديبية إذ استشار أم المؤمنين أم سلمة ، فأشارت عليه بما فرج الله به عن المسلمين كربة كانت توشك أن تودي بهم (١) .

والشورى أمر مقرر في الشؤون الإسلامية عامة ، ولا يضير الزوج ولا ينقص شيئاً من قيادته أن يستشير زوجته ، فالقائد يستشير من معه ، ويأخذ برأيهم ، وقد رأينا رسول الله - ﷺ - يستشير أصحابه يوم أحد ، وقد أصروا على الخروج إلى أحد ، وكان رأيُه أن يبقوا بالمدينة ، ولكنه نزل على رأيهم وأطاع اقتراحهم . حتى الذين استزلهم الشيطان في هذا اليوم وتولوا حين التقى الجمعان - أمر الله نبيه أن يشركهم في الشورى جبراً ل خاطرهم ، لأن مجالس الشورى يشهدها ذوو الرأي والأشراف من الأمة ، وفي إغفال هؤلاء من حضورها انتقاص لهم بين أقرانهم ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ (٢)

(١) لما احتبس عثمان بن عفان بمكة بايع الصحابة رسول الله - ﷺ - على الحرب ، تم جاء سهيل بن عمرو وعقد معاهدة الحديبية مع رسول الله ، ولم يكن الصحابة راضين ، ولما أمرهم النبي بالهلق والنحر لم يستجيبوا ، فنزل على أم سلمة محزوناً غاضباً ، وقال لها : هلك المسلمون ، فأشارت عليه أن يخرج ولا يكلم أحداً منهم ، وينحر ويحلق ، ففعل ذلك ، فقام المسلمون إلى بدنهم فنحروها وحلقوا وانصرف النبي وهم معه إلى المدينة .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٥٥

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ  
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (٣)

أُنتِ الأية على رسول الله - ﷺ - للينه وعفوه عنهم ، ولو كان غير ذى لين وعفو لانفضوا من حوله ، ثم أمره أن يستغفر لهم وأن يشاورهم فى أمور المسلمين ، والله - سبحانه - عفا عنهم ، فإذا كان العفو والتشاور مع الرعية ، فأولى به أن يكون مع الزوجة ، وجدير بنا معاشر المسلمين أن نقتدى بنبينا فى كل شىء ، يقتدى به الأمراء فى حكوماتهم ويقتدى به الأزواج مع زوجاتهم ، وبذا لا ينفض قلب الزوجة عن زوجها أو تظل تحمل فى نفسها ما يضايقها ويشعرها بالبعد عن زوجها والانتقاص أمامه ، أو أنها لم تظفر بالزوج الذى يسعدها ويقدر مكانتها ، وأجدر وأحرى به - وهو أقوى منها بدناً وأنضج عقلاً - أن يحتمل لها زلاتها وأن يعفو عنها ويشركها معه فى أموره .

بهذا التشاور والعمل على الوفاق تشعر الأسرة بالسعادة ، ويشعر كل واحد من الزوجين أن معه شريكاً يعاونه ، ويساعده فى التخلص مما يبتابه ، وقبيح جداً بالمرأة أن تتخلى عن زوجها فى مثل هذه المواقف أو أن تبادره بالمخالفة فهذا يشعره بالوحدة ، وقد جاء فى الحديث الشريف : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه » وهذا أيضاً من الطاعة وإدخال المسرة على الزوج .

## السؤال الرابع

زواج المتعة والزواج العرفي هل يبيحهما الإسلام ، وما هي حقوق الزوجة والأبناء فيهما ؟

● نكاح المتعة هو اتفاق رجل وأنثى على حياة زوجية لمدة معينة ، ويدفع لها الزوج قدرأ من المال ، والزواج المؤقت - وإن أفرد له الفقهاء باباً مستقلاً - لا يخرج عن نكاح المتعة ، وهو ينشأ بلفظ من ألفاظ عقود الزواج مثل زوجتك نفسى أو قبلك زوجاً لى ، أو أرضى بك زوجاً ، ويرد الزوج على ذلك بالقبول ، لكن يقرن بهذا العقد ما يدل على أنه لأجل معين ، قد يكون لحظة أو يوماً أو سنين كثيرة ، كأن يقول الرجل للمرأة تزوجتك لمدة عامين أو عشرين عاماً أو نحو ذلك ، فهذا التوقيت لا يخرج عن كونه زواج متعة لأن الزواج يبنى على التآبيد والاستمرار .

ونكاح المتعة أو النكاح المؤقت كان جارياً فى الجاهلية ومنعه الإسلام ، ولكنه لا يزال معمولاً به عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية والاسماعيلية ، وهو منتشر الآن فى شرق وجنوب آسيا وفى جزر إندونيسيا والفلبين ، ويحتج لصحته وجوازه ، بقول الله تعالى :

﴿ مَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (١)

وليس فى الآية حجة ، فهى مسبوقه بآيات نكرت المحرمات من النساء ، ثم أردفت بمن يحل نكاحهن وأوجبت الصداق على من يستمتع به منهن .

وقد نكرر النهى عن نكاح المتعة فى عدة مناسبات لشدة التأكيد وليعلم حرمة هذا النكاح من لم يكن بلغه النهى من قبل ، ويقال إن النبى - ﷺ - سكت عنها فى بعض الغزوات إذ اشتدت العزوبة على المحاربين ولم يكن معهم نساء ، ولم تكن نساء البلاد المغزوة مسلمات ، ولم يكن

( ١ ) سورة النساء : الآية ٢٤

النهي عنها قد نزل . وقد حرمها - ﷺ - عام خيبر ، كما حرمها يوم فتح مكة ويوم أوطاس وهو يوم حنين . وجاء عن جابر بن عبد الله أنه قال : « خرجنا مع رسول الله - ﷺ - وآله إلى غزوة تبوك حتى إذا كنا عند الثانية مما يلي الشام جاءنا نسوة تمتعنا بهن يظفن برحالنا ، فسألنا رسول الله - ﷺ - عنهن ، وأخبرناه فغضب ، فحمد الله وأثنى عليه ، ونهى عن المتعة . فتوادعنا يومئذ الرجال والنساء ، ولم تعد ، ولا نعود فيها أبداً . » وليس في الفصة ما يدل على أن الاستمتاع وقع منهن في تلك الحال ، فيحتمل أن ذلك وقع قديماً ، وجاءت النسوة على ما ألفن منهم ، فوقع التوديع يومئذ ، أو أنه وقع ممن لم يبلغه النهي بناء على بقاء رخصة متقدمة . ولذا وقع الغضب لتقدم النهي (٢) .

ورأى ابن قيم الجوزية أنها حُرمت عام الفتح ، وأن الصحابة استمتعوا عام الفتح بإذن النبي ، قال : ولو كان التحريم زمن خيبر لزم النسخ مرتين ، وهذا لا عهد بمثله في الشريعة البتة ، ولا يقع مثله فيها (٣) .

والذي عليه جمهور الفقهاء أنها كانت مباحة أول الإسلام ، وكان المحاربون إذ تشد بهم العزوبة ، يتزوجون على أن يكون زواجهم للمدة التي يقيمونها بأرض العدو ثم حُرمت يوم خيبر ، ثم أبيحت يوم فتح مكة ، وحُرمت بعد ثلاثة أيام .

ومما استبعد به ابن القيم تحريمها يوم خيبر أن خيبر لم يكن بها مسلمات ، وإنما كن يهوديات ، ولم يكن حتى هذا الوقت قد نزل إباحة الكتابيات ، ولم يكن للمسلمين رغبة في الاستمتاع بنساء عدوهم قبل الفتح ، وبعد الفتح استرق منهن من استرق وصرن إماء (٤) .

وكان ابن مسعود يبيحه ، ويقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾

وكان ابن عباس يجيزه للضرورة وخوف الوقوع في الزنا ، وقد نهاه الإمام علي عن رأيه هذا ووبخه ، وقال له : حرم رسول الله - ﷺ - المتعة والحرر الأهلية يوم خيبر ، لأن ابن عباس كان يبيحهما . ولكنه لما نزلت الآية :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾

( ٢ ) انظر الروض النضير ج ٤ / ٢١٥

( ٣ ) زاد المعاد ج ٣ / ٤٦٠

( ٤ ) المصدر السابق نفسه

قال : كل فرج سواهما فهو حرام .

وجاء أن سعيد بن جبير قال لابن عباس ما تقول في المتعة حتى قال فيها الشاعر :

قد قلت للشيخ لما طال مجلسه يا صاح      هل لك في فتوى ابن عباس<sup>(٥)</sup>  
وهل ترى رخصة الأطراف ناعمة      تكون مثواك حتى مصدر الناس<sup>(٦)</sup>

قال : أوقال الشاعر ؟ قال ابن جبير : نعم . فكرهها أو نهى عنها ، وفي رواية قال :  
« سبحان الله ، والله ما بهذا أفنتيت ، وما هي إلا كالميتة لا تحل إلا للمضطر » . وقال الإمام  
الخطابي : إنما هذا من غلبة الشهوة ، وهي تحسم بالصوم والعلاج ، فليس أحدهما في حكم  
الضرورة كالآخر .

والزيدية ، وهم قريب من الشيعة وربما عدهم بعض الناس منهم لنسبتهم إلى الإمام ، ينكرون  
نكاح المتعة ، ويرون أنه حرم يوم خيبر . وما جاء من تحريم له بعد ذلك فهو لتأكيد وتشديد  
حرمته ، ولعلم به الذين لم يكونوا علموه .

وشدد عمر وعلى النكير على من يرتكبه ، وقالوا من فعله يرحم بالحجارة ، فهو إنز غير  
بعيد عن الزنا .

وابن عباس رجع عن رأيه ، وقال له الإمام على إنك امرؤ تائه .

هذه خلاصة عن حكم نكاح المتعة ، والنكاح لأجل ، وبقي أن نذكر شيئاً من أحكام هذا النوع  
من الزواج عند الإمامية الذين يجيزونه .

حقيقة زواج المتعة عندهم أنه نكاح مؤقت ، ولا يشترط تحديد الوقت الذي يستمر به  
الزواج ، فإذا حدد له أجل معين انتهى بانتهاء الوقت ، وإذا لم يحدد له زمن كانت غايته خمسة  
وأربعين يوماً ، وإذا حدد له وقت ارتفع النكاح بانتهاء الوقت الذي اتفق عليه ، وتعدت الزوجة  
بعد انتهائه بحيضتين اثنتين فقط إن كانت من ذوات الحيض ، وإذا كانت لا تحيض أصلاً فعدتها  
شهران ، وقيل لا عدة لها لبراءة الرحم تلقائياً ، أما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر  
وعشرة أيام ، وعدة الحامل وضع حملها ، ولا ميراث للزوجة ولا لولدها ، ولا نفقة على  
الزوج . ويجيزون زواج المتعة من الكتابية ، ولكنهم لا يجيزون الزواج المؤبد الحقيقي منها ،

( ٥ ) يقول هذا على سبيل السخرية ، بمعنى أن المجلس طال ، كما تبعد الشقة والزمن على المحاربين ، فيحل

ابن عباس لهم نكاح المتعة

( ٦ ) الرخصة - بفتح الراء - الناعمة اللينة ، وحتى مصدر الناس أى حتى انصرفهم الذى طال عليه الزمن

وهم لا يجيزون زواج الأمة على الحرة ، ولكن يجيزون التمتع بها ، هذا لأنهم لا يرون زواج المتعة زواجا حقيقياً له حقوق الزواج ، وإنما هو عملية مؤقتة تحمي من الوقوع فى الزنا ، ويترك تحديد المهر لهما بلا حد أدنى أو أقصى ، ولكنه ضرورى لصحة العقد ، وإذا أرادت الزوجة الانفصال عن زوجها قبل نهاية المدة المتفق عليها سقط من المهر ما يقابل الأيام التى انقضت ، وبهذا نجد أنها أصبحت أدنى إلى المستأجرة منها إلى الزوجة ، ويلحق الولد بأبيه إن قبله ، فإذا نفاه عنه انتفى . ولا يلزم بشيء من نفقاته ، وللزوج الحق فى إنهاء عقده فى أى وقت وبذلك لا طلاق لزوجة المتعة ولا ميراث ولاظهار ولا لعان ... فكل ذلك لا حاجة إليه .

وهذا الزواج لا يخلو من تضارب وخرابة ، فحيث اعتبر عقد المتعة محللاً مبيحاً للمعاشرية الزوجية ، كان يجب أن تجرى عليه أحكام الزواج ! وإذا لم تعتبر زوجة كان يكفى فى عدتها الاستبراء ، وحيث حرم زواج الكتابية كان يجب أن يحرم الاستمتاع بها أيضاً . ولكنه - كما قلنا - زواج صورى للوقاية من الزنا الصريح وهو فى واقع زنا ، ولكن لا يجوز للزوجة أن تعاشر شخصاً آخر غير الذى عقدت عليه .

وجمهور الفقهاء من السنيين والزيدية على أنه كان نكاحاً معمولاً به فى وقت من الأوقات ثم نسخ نسخاً معلوماً بالتواتر ، وأنه لا يخرج عن دائرة الزنا . ولذا قال الإمام على : « لا أعلم أحداً تمتع وهو محصن إلا رجمته » والرجم لا يكون إلا للزنى ، وقد اقتنع ابن عباس بحرمته وانتهى عنه ، وقرر ذلك فى محاوره له مع عبد الله بن الزبير .

والزواج فى نظر الشرع الإسلامى عقد يبيح للزوجين استمتاع كل منهما بالآخر ، فهو عقد يحل ما كان محرماً ، ويحرص الشرع حفاظاً على سمعة الناس وصيانة لأغراضهم ، أن ينفى عنه كل ريبه ، فلا بد وأن يشهده شاهدان على الأقل ، يشهدان موافقة الزوجين أو وكلاهما على هذا الزواج ، وصيانة لكرامة المرأة وعفتها وحياتها يقدم لها الزوج صداقاً ، إيذاناً بالرغبة منه فى زواجها . وإذا استوفى العقد هذه الشروط كان عقداً تاماً صحيحاً يحل به كل من الزوجين للأخر ، سواء سجل هذا العقد فى جهة رسمية - لدى مآذون شرعى تعتمد الحكومة لإجراء هذه العقود أو لدى محكمة قضائية - أو لم يسجل رسمياً - فهو عقد مستوفى كاف . وقد طرأ على الناس لأسباب شتى - ما جعل بعض الأزواج يعاشر زوجته ثم يهجرها أو ينكرها ، لذا قررت الحكومة المصرية أنه لا عمل بالعقود العرفية ، ولا يثبت للزوجة بها حق ، ولكن إذا ترتب على هذا الزواج العرفى نسل ألحق الولد بالزوج ، ووجبت عليه نفقته وأجر أمه حاضنة ومرضعة له ، ولا تثبت لها نفقة الزوجة ، ولا متعة لها ولا مؤجل صداق .

وهنا يجدر بنا أن نقف لدى أمرين ، هما نظرة الفقهاء إلى شهود العقد وشهره وما يكفى فى ذلك وما لا يكفى ، ثم نظرة اللجنة التشريعية التى ترتب عليها عدم اعتبار العقود العرفية .

أما نظرة الفقهاء فمدارها إعلان الزواج ونفى أى ريبه حول العقد . فإن فرق ما بين الحلال والحرام هو الإعلان ، وقد جاء فى الحديث الشريف : « أعلنوا النكاح ولو بالدف » ، وجاء عن الصديق أبى بكر : « لا يجوز نكاح السر حتى يعلن ويشهد عليه » . ثم إن أعراف الناس جارية على ذلك .

ثم اختلفت آراء الفقهاء فيما يكفى لإشهار العقد ، فالإمام أبو حنيفة وهو مشهور بتسامحه ، يرى كفاية الشاهدين ، ويعتبرها وحدها إعلاناً كافياً وتابعه فقهاء آخرون ، واستأنسوا بالحديث الشريف : « لا نكاح إلا بشهود » إذ لم يشترط شهرة واستفاضة واكتفى بالشهود . وجاء عن السيدة عائشة أن النبى - ﷺ - قال : « لا نكاح إلا بولي وشاهدى عدل » - ومع هذا الاكتفاء لم يشترط أبو حنيفة عدالة الشاهدين ، بينما اشترط جمهور الفقهاء أن يشهد العقد رجلان ، أو رجل وامرأتان ، وأن يتوافر فى الشهود البلوغ والعقل والحرية وسماع كلام المتعاقدين وفهمه .

ويشترط الإمام مالك الإعلان بأى وجه ، ويتم العقد عنده بهذا الإشهار ولكن لا يحل الدخول بالزوجة إلا بالإشهاد ، ولا تترتب آثار الزوجية إلا به ، ولا يجوز توامى الشهود أو توصيتهما بكتمان هذا العقد ، والتوصية بكتمانه تفسده حتى لو أوصى الزوج أو وليه بكتمانه عن الزوجة الأولى فقط . وحجة المالكية فى هذا هى الحديث السابق : « أعلنوا النكاح ولو بالدف » .

وعدم اشتراط العدالة فى الشاهدين عند أبى حنيفة ، نظرة متسامحة ، فمتى شهد العقد شخصان فشهودهما كاف فى الإعلان ، ولذا لم يشترط أن يكونا مسلمين لأن الغرض هو الإعلان ، واشترط الآخرون العدالة مستدلين بقوله - ﷺ - : « لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدى عدل » . وإذ نص الحديث على العدالة فلا بد من مراعاتها ، ثم إن الشهادة فى النكاح تحمل كرامة المرأة ونفى أى شبهة عنها ، وهذا لا يتأدى بشهادة فساق . وقد يحدث جود بين الزوجين فلا يثبت العقد إلا بالشهود ، والفساق لا تقبل شهادتهم .

من هذه النظرة العابرة إلى ما أحاط به الشارع عقود الزواج من قداسة واحتياطه لما عسى أن يطرأ عليها من ريبه وظنون ، نرى أنه يعنى بعقود الزواج عناية مميزة عن غيره من العقود الأخرى ، فهو عقد له قداسته تترتب عليه روابط وأمور جسيمة ، وسماء الله سبحانه ميثاقاً غليظاً . وهذا نفسه ما حدا باللجنة التشريعية أن تستصدر حكماً قضائياً يختص بالعقود العرفية .

أما الزواج السرى الذى لا شهود فى عقده فهو باطل بإجماع الفقهاء ، ورأينا الخلاف فى كفاية الشهود وعدلهم . ولعل الإمام مالكا كان أشد الفقهاء احتياطاً وتشدداً إذ رأى أن التوصية بكتمان العقد ولو عن شخص معين تسلب الشهادة روحها ولا تزيل الريبه . والإعلان هو فصل

ما بين الحلال والحرام ، وقد جاء في الحديث : « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت » والصوت هو الغناء ، وما يحيط بالأعراس من بهجة وشيوع ، ثم إن صاحب العقد السرى لا يكون مطمئن النفس ، بل يظل في قلق نفسى وخوف من أن يكشف أمره ويذاع سره ، ثم ماذا عسى أن يكون من شأن أولاده ، أيقرون أم ينكرون ، وماذا يكون من شأنهم في توارثهم . وأيضاً لا تحقق به روابط المصاهرة والتآخي بين الأسرتين ، إن هذا ينافى ما ذكره الله في قوله :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ ﴾

وقوله :

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ ﴾

فأى سكن نفسى وأى تعارف يكون فى هذا الزواج السرى ؟ - أليس هو فى كل أحواله عرضة لقالة الناس وسبباً للريبة والإتهام - هذا والحديث يقول : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ، « من اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه » ، وإذن فيجب على المؤمن أن يتحاشى هذا النوع من الزواج بقطع النظر عن الأقوال الفقهية الكثيرة حوله .

والعقد العرفى - الذى لم يوثق رسمياً - قد يكون صحيحاً مستوفى من الناحية الشرعية ولكن تنشأ عنه مشاكل كثيرة ، فقد يجده الزوج وينكره نهائياً - ثم يعز على الزوجة أن تأتى بالشهود الذين شهدوا العقد ، وقد يكونون غائبين لسفر بعيد أو موت وقد يأبون الحضور إلى المحكمة للشهادة . وهكذا ، وفى مثل هذه الحالات قد تكون الزوجة حاملاً ، ولا تستطيع نفى الريبة عن نفسها ، وقد يكون لها أولاد يدعهم الزوج لها ولا ينفق عليها ولا عليهم . وهو حاضر موسر ولكنه لا يعترف بهذا الزواج .

ومن الناحية المقابلة قد يستحضر الرجل الفاجر الفاسق شهوداً من أمثاله ويدعى على أى امرأة أنه تزوجها ويشهد له رفاقه ، فإذا المرأة المسكينة قد أصبحت رغماً عن أنفها زوجاً لمن لا ترضاه ولا يلائمها .

لهذا رأى المشرع الحديث وهو على حق أن لا يثبت الزواج إلا بوثيقة رسمية ، وأن الوثيقة غير الرسمية - رغم توقيع الشهود عليها لا عبرة بها - وأحسن بذلك كل الإحسان . ومع هذا ظل بعض الناس لأسباب خاصة بهم ، يجنحون إلى العقود العرفية ، وكثير جداً فى الآونة الحاضرة أن تصادف الزوجة المسكينة المخدوعة عواقب وخيمة .



وبعض دول الخليج - وربما كلها - صادفت كساداً في زواج بناتها ، فمنعت أن يتزوج الشبان من غير بلادها ، ومنعت دخول الزوجة الأجنبية بلادهم ، وربما عاقبت الشاب الذى يتزوج من غير بلده ، ومن هنا كثر الزواج العرفى فى مصر ، ودعت أحوال الغلاء وقلة الأزواج فى مصر ، كما دعا الطمع فى أموال الأغنياء أبناء هذه البلاد - إلى قبول الزواج العرفى ، وانخدع بذلك أيضاً بعض المتعلمات ، ولم يف بما تقتضيه هذه العقود إلا قليل من الأزواج ، وتورطت الكثيرات ممن زوجن بهذه العقود فى أشنع ما يتورط فيه إنسان .

وقد يتخلى الزوج عن زوجته ، وهو حى يرزق ويتمتع بثرائه ، فيدعها معلقة لا تستطيع الزواج من غيره ، ولا تملك التطلاق منه ، ولا تستطيع شكواه فى محكمة ، ومن الصعب الشاق جداً شكوى هذا الزوج وإعلانه عن طريق سفارته ، وربما لا تكون له سفارة ... كل هذا يسوغ ما أفتى به بعض المعاصرين من أن الزواج العرفى عقد فاسد ، وحرام . وهذا حسن ومفيد ، ولكن ما الحكم فيما ترتب عليه ؟ هل هذان الزوجان زناة ؟ هل يلحق الأولاد بأبائهم أم هم أبناء أمهاتهم ؟ وطبعاً ليس الزوجان نهائة ، لأنهما عقداً عقداً صحيحاً وأشهدا شهدوا ، والأولاد أولاد أبيهم ، ولكن لا جدوى وراء ذلك كله .

وأود أن تشرع عقوبة لمن يتزوجون بعقود عرفية ، وأن تكون عقوبة رادعة كافية للقضاء على هذا الزواج .

## السؤال الخامس

هل فرض الإسلام زيا معيناً للمرأة ؟

● احتاط الإسلام كل الاحتياط للمحافظة على النساء ، وبعبارة أوسع للمحافظة على الأعراس ، والمرأة بطبيعة الحال محك صيانة العرض ، وما اجتمع رجل وأنثى فى خلوة إلا كان الشيطان ثالثهما . ولا يقف احتياط الإسلام عند ملابس المرأة وزينتها ، بل نلمس هذا الاحتياط فى جوانب أخرى أوسع من ذلك . وليس فى هذا الاحتياط مهانة للمرأة ولا حط من كرامتها ، بل على العكس هو صيانة لها ومحافظة عليها ، والشبهة التى تحوم حول المرأة قد تسقطها طوال ما تعيش ، وليس الرجل مثل ذلك .

ومن حرص الإسلام على الأنثى أنه أحاطها بسيجات تبعد عنها كل شبهة أو تجعلها قالة وحديثاً على ألسن الناس ، فقد منع الإسلام الشخص أن يدخل بيتاً غير بيته حتى يستأنس ويسلم على أهله . ولا يجوز له ولوج أى بيت حتى يؤذن له فى الدخول ، وإذا لم يؤذن له فلا غضاضة عليه أن يرجع ، فالبيوت عورات والنساء أهم هذه العورات ، وأكبر ما يؤذى الرجل ويؤذى الأسرة كلها أن ترى امرأة منها على وضع غير مناسب ، ولذا قالت الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تُدْعَرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ (١)

وأردفت الآية بطلب المؤمنين أن يفضوا أبصارهم عند رؤية ما يثير أو يوقع فى الفتنة :

( ١ ) سورة النور : الآيتان ٢٧ ، ٢٨

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُجُوبِهِنَّ﴾ (٢١).

وقد ناطت الآيات التكليف جميعه - سواء في دخول بيوت الغير أو في النظر ، بالمؤمنين والمؤمنات ، فهي نصائح تقوم على الإيمان ، كان من أخل بها قد خدش إيمانه ، والنظرة هي الخطوة الأولى نحو الزنا ، فهي تمتد فتحدث ابتسامة فكلاما فلقاء ... ولا ينبغي للمرأة أن تظهر بمظهر يستهوى نظر الرجل ويغريه بتوجيه عينيه إليها ، فإن ذلك يثير الشهوة الجنسية فيه وفيها أيضاً . . .

وجاء في سبب نزول هذه الآية أن رجلاً مرَّ بطريق من طرق المدينة على عهد رسول الله - ﷺ - فصادف امرأةً نظرت إليها ونظرت إليه ، فوسوس لهما الشيطان أن أحدهما لم ينظر للآخر إلا إعجاباً به ، وبينما الرجل يمشى إلى جنب حائط وهو ينظر إليها استقبله الحائط فشق أنفه ، وسأل دمه ، فقال : والله لا أغسله حتى آتى رسول الله - ﷺ - فأخبره أمرى ، فأتاه وقص عليه قصته ، فقال النبي - ﷺ - : هذه عقوبة ذنبك ، وأنزل الله سبحانه هذه الآية :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

وهي تعنى غض البصر عن المحرمات ، لا عن كل شيء ، ولهذا جاء الحرف « من أبصارهم » أى بعض نظراتهم ، أما النظرة العابرة المفاجئة ، والتي لا تعتمد فيها ولا شهوة ، فلا إثم فيها ، وقد جاء في الحديث : « لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة » - والحفاظ من الجانبين ، فنظرة المرأة للرجل أيضاً تثير فيها الشهوة وتبعث الميل إليه ، وأردف النهى عن النظر فى كلا الجانبين بالأمر بحفظ الفروج عما لا يحل ، من الزنا واللواط . ويحمل الأمر بالحفظ ستر الفروج عن الرؤية . وهذا بلا ريب أزكى وأطهر من دنس الريبة ، وأبعد عن وساوس الشيطان وإغراءاته . وكما يحرم نظر الرجل للمرأة يحرم نظرها إليه كما هو واضح من النص ، ولا يجوز للمرأة أن تبتدى من زينتها إلا ما جرت العادة بإظهاره والأصل فيه هو الظهور ، وذلك كالكحل والكحل ، والقرط ، ومواضع هذه الزينة الظاهرة لا يحرم النظر إليها ، إلا إذا كانت مخشبة الفتنة ، فلا يجوز تحديق النظر فيها .

( ٢ ) سورة النور : الآيتان ٣٠ ، ٣١

ويدخل في هذا المحرم الملابس الرقيقة وإن لم تكن شفافة ، والملابس الضيقة التي تبدي تفاصيل الجسم . وجاء عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن أختها أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي - ﷺ - وعليها ثياب رفاق ، فأعرض عنها وقال : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا » وأشار إلى وجهه وكفه ، وابن عباس على غير عافته في التسامح ، يرى أن جملة « إلا ما ظهر منها » تعنى رقعة الوجه وباطن الكف . وجاء عن ابن مسعود أن « ما ظهر منها » هي الثياب والجلباب .

وكانت المرأة الجاهلية تلقى خمارها على رأسها وتسدله من وراء ظهرها ، فيظل صدرها ونحرها ظاهرين ، فقال الله سبحانه :

﴿ وَلِيَضْرِبَنَّ يَحْمَرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾

وسارعت نساء المهاجرين فشقن مروطهن واختمرن تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله ، ونحن نود أن تكون المرأة المسلمة المعاصرة على هذا العمل .

والمرأة تتزين لزوجها ، وله حق معاقبتها إذا تركت زينتها ، ولأن الزَّوج هو المقصود بالزينة يباح للرجل أن يرى كل شيء منها وأن ينظر إلى جميع بدنها .

وقد تكرت الآية من يجوز للمرأة إيداء زينتها أمامهم إذ قالت :

﴿ وَلَا يُدِينُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّالِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِرِ النِّسَاءِ ﴾ (٣)

وكانت المرأة في الجاهلية إذا مرت بقوم حاولت أن تجتذب أنظارهم إليها ، فتحدث حركة تسمعهم بها وسوسة حليها ، أو تضرب برجلها الأرض لتسمع أصوات خلاخيلها ، والمرأة في كل زمان ومكان تحب أن تُظهِرَ مُغْرِيَاتِهَا ، ويغرها ثناء الناس عليها ، وهي تحب أن تسمعه ، ونهاهن القرآن عن كل ذلك بقوله :

( ٣ ) سورة النور : الآية ٣١

﴿ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (٤)

وكان الأرقاء مستثنين أيضاً لأن الرقيق ليس له جراءة وتحرش أو طمع في سيده ، ولا يلحق بهم الخدام الآن ، لأنهم ليسوا أسيرين لدى السيدات ، ويستطيع الخادم أن يغادر مخدومه في أي وقت .

وقد دخل النبي - ﷺ - على ابنته فاطمة ومعه عبد قد وهبه لها ، وكانت وقت دخولها ترتدى ثوباً قصيراً إذا قُتعت به رأسها انكشفت رجلاها ، فارتبكت فقال لها أبوها - ﷺ - « ليس عليك بأس ، إنما هو أبوك و غلامك » .

وتنظر المرأة من المرأة ما عدا ما بين سرتها وركبتها ، ويجوز أن يطلع على زينة المرأة الشيوخ الطاعنون في السن لأنهم فنييت شهواتهم ، وكذلك الذين جُبُت واستوصلت أعضاء التناسل منهم ، ومن أئمة الفقه من يرى أن المجهوب في هذا كالسليم الأعضاء لا يرى من المرأة إلا زينتها الظاهرة ، وجاء أن معاوية بن أبي سفيان دخل على ميسونه الكلابية ومعه خصي ، فتقنعت ، فقال لها : إنه خصي . فقالت : لقد مثل به والمثلة به لا تحل ما حرم الله .

وجعل الإمام الألويسي من إبداء الزينة ما يلبسه المترفات فوق الثياب من الأغطية الحريرية المزركشة بالألوان المحلاة بخيوط الذهب والفضة والنقوش التي تبهر الأعين ، وحقاً هذه الملابس من التبرج بالزينة ، وجذب أبصار الرجال . وهي لذلك محرمة ، فالمرأة تخرج لعملها وقضاء حاجاتها في زيها المؤلف المعتاد .

ويحرم على النساء أيضاً تحديق النظر إلى الرجل الأجنبي ، بل لابد وأن يفضضن من أبصارهن وحدث أن كانت السيدتان - أم سلمة وميمونة عند رسول الله - ﷺ - فجاء عبد الله بن أم مكتوم - وهو أعمى - فدخل ، فقال رسول الله - ﷺ - لهما : « احتجبا منه ، فقالت أم سلمة : هو أعمى لا يبصر ، قال : أفعمياوان أنتما ؟ أستمأ تبصرانه ؟ »

وخلاصة ما في هذا كله أن المرأة تخرج لقضاء حاجتها ، وتزاول أعمالها ، ولكن لا يجوز لها التبرج بزینتها ، والأصباغ على الوجه من الزينة المحرمة .

## السؤال السادس

ما رأى الإسلام فى الاختلاط بين الرجال والنساء ؟

● أصبحنا فى زمن وظروف يتحتم فيها اختلاط الذكور والإناث . ففى الجامعات والمستشفيات والمعامل والبنوك ، ومحلات التجارة وغيرها يحدث هذا الاختلاط تلقائياً ، فكيف يكون سلوك الأنثى وإتجاهها ، وكيف تكون معاملتها مع زملائها فى كل هذه الأماكن ؟

لا يمنع الإسلام عمل المرأة ولا مساعدتها الرجال ، وقد كانت الصحابيات يخرجن مع المحاربين المسلمين ليسقين الماء ، ويضمدن الجراح ، وأحياناً كن يحاربن ، وكان النبى - ﷺ - يصطحب معه بعض نسائه ويخرج معهن المتطوعات من النساء لخدمة المحاربين ، وقد يخرجن مع غير أمهات المؤمنين ، وأنباء خروج الصحابيات للجهاد كثيرة مستفيضة ، وفى معركة على ومعاوية خرجت نساء شهيرات لم يكن عملهن مجرد خدمة المحاربين ، بل كن يخطبن ويحرضن على القتال .

فى يوم خيبر جاءت أمية بنت أبى قيس الغفارية إلى رسول الله - ﷺ - ومعها نسوة من غفار ، فقلن له قد أردنا الخروج معك ، فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال على بركة الله ، وأحسنتم أمية القيام بعملها ، فكافأها رسول الله - ﷺ - بقلادة لم تفارق صدرها طول حياتها ، وأوصت أن تدفن معها<sup>(١)</sup> .

وفى يوم خيبر أيضاً ، جاءت إلى رسول الله ، أم سنان الأسلمية ، فقالت : يا رسول الله أخرج معك فى وجهك هذا ، أحرز السقاء ، وأداوى المرضى والجرحى ، إن كان ثم جرحى ولا يكون - وأبصر الرجل ، فقال : اخرجى على بركة الله ، فإن لك صواحب قد كلمتنى وأذنت

( ١ ) خالط الإسلام قلب أمية وهى صببية لم تعد طور الحدائة ، فهاجرت وهى فى الرابعة عشرة من عمرها ، وحاءت على بعد الثقة تباع على الإسلام ، وخرجت زعيمة النساء يوم خيبر وكان عمرها سبعة عشر عاماً . وقد دفنت والقلادة فى عنقها .

لهن ، من قومك ومن غير قومك ، فإن شئت فمع قومك وإن شئت فمعنا ، قالت : فمعك<sup>(٢)</sup> .  
فجعلها مع زوجها أم سلمة .

وكانت حمنة بنت جحش فى غزوة أحد ، تغشى الموقعة فتحمل الجريح من بين القتلى  
وتخرج به بعيداً عن ميدان المعركة ، لتصلح شأنه ، فتضمد جرحه أو تقدم له الماء والطعام  
أو ليستريح بعيداً عن ساحة القتال . وقد كان موقفها فى هذا اليوم مما تزول دونه أقدام الرجال  
لما بذلت من الجهود .

وحمنة لصيقة برسول الله - ﷺ - فهى بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وهى أخت  
السيدة زينب بنت جحش - أم المؤمنين - فانظر مدى ما كان من اختلاطها بالرجال فى هذه  
المعركة .

وكان لكعبيّة بنت سعد الأسلمية خيمة فى المسجد تداوى فيها المرضى ، وتأسو جراح  
الجرحى ، ولما ضرب سعد بن معاذ الأنصارى يوم الخندق - كان يداوى فى خيمتها ، فهى  
التي ضمدت جرحه ورفقت به حتى مات ، وكانت تطب للشاكين المرضى فى كل وقت ،  
وحضرت غزوة خيبر فأبلى بلاء حسناً ، وفرض لها النبى - ﷺ - سهم رجل من  
المجاهدين .

فالمراة المسلمة كانت تختلط بالرجال عندما يدعو الأمر إلى الاختلاط ، ولكنها فى اختلاطها  
ومزاولتها مهمتها - كانت محتشمة ترتدى ملابسها الكاسية لها .

وهذا كله - وأمثاله كثير - يوضح حكم الإسلام فى اختلاط الجنسين .

ويجدد بنا أن نحاكى هذا الخلق ، أما سفور المرأة الأوروبية الذى لا يبعد كثيراً عن العرى ،  
فما أحرانا أن نبتعد عنه ، لأنه مما ينبو عن الدين والأخلاق ومما يثير الريبة ويسهل الانزلاق  
فى مهاوى الشيطان .

وانظر ما كان من النساء أتباع على بن أبى طالب ، ونساء الخوارج .

---

( ٢ ) أم سنان خزاعية ، لأن أسلم بطن من خزاعة ، وهى التى مشطت صفية بنت حبي وألبستها حين زفت  
إلى رسول الله - ﷺ - وقد روت أحاديث كثيرة ، وابنتها ثبيته أيضاً من فضليات الصحابيات ، ومن  
الثقات المحدثات ومعنى أبصر الرجل فى كلام أم سنان : أراه وانظر حاجته ، ومعنى إن كان هناك جرحى  
ولا يكون أنها تأمل ألا يكون فى المعركة جرحى ، وهو أدب جميل منها . وهى من المبايعات ، ومن حديثها  
أنها قالت : كنا نخرج مع رسول الله - ﷺ - إلى الجمع والمعيدين ،

ففي حرب على ومعاوية برز عدد من النساء ذوات الشجاعة والجرأة ، وقد أفرد لهن صاحب كتاب العقد الفريد باباً خاصاً أبرز فيه ثمانى وافدات على معاوية بعد أن انتهت الخلافة إليه ، وكان لا يخفين ما قلن وما فعلن تشجيعاً لأنصار على ، وقد خضن المعركة أيضاً . ونذكر بعضاً منهن :

نضع في رأس القائمة الزرقاء بنت عدى - من همدان ، وهي خطيبة مشهورة ، وخطبتها يوم صفين مما حفظه العلويون والأمويون ، ومن كلامها فيها : « لا يقطع الحديد إلا الحديد .. صبراً يا معاشر المهاجرين على الغصص .. إن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده ، والصبر خير في الأمور عواقباً ، أيها في الحرب غير ناكسين ولا متشاكسين ... »

وكانت تجول بين صفوف المحاربين على جمل تحض على قتال معاوية وصحبه ، وغازت موقفها معاوية وصحبه ، وعاتبها عليه بعد ذلك<sup>(٣)</sup> .

ومنهن عكرشة بنت الأطرش ، وقد تقلدت السيف يوم صفين ، وكانت تخطب المحاربين من جند على ، وتنفر من معاوية وصحبه ، ومن كلامها : إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب ، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه فأنه الله عباد الله في دينكم ...<sup>(٤)</sup> .

ومنهن أم الخير بنت حريش ، وكان أهم ما أثارها مقتل عمار بن ياسر ، فوفقت بين صفوف المحاربين ترغيبهم في الجهاد ، وتحضهم على إضرام الحرب ، وجاء في كلامها :

---

( ٣ ) خطبة الزرقاء طويلة نكرها صاحب العقد وهي في كتب الأديب معروفة ، وقد كتب معاوية إلى عامله بالكوفة أن يوفدها عليه ، مع بعض محارمها وفرسان قوما ، وأن يوسع عليهم في النفقة ، وأن يحسن جهازها ويهيئ لها سفراً مريحاً ، ولم تكن راغبة في الوفود عليه وقالت لعامله : إن كان لي الخيار فإني لا أذهب إليه ، وإن كان حتم ذلك فالطاعة . وقد أحسن معاوية استقبالها ، وسألها عن موقفها يوم صفين فقالت : « ... مات الرأس وبتر الذنب ولن يعود ما ذهب ، والذهب ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، ... » ، وقال لها : لقد شاركت علياً في كل دم سفكه ، فقالت : أحسن الله بشارتك .. فمثلك يبشر بخير . قال : أوسرك ذلك ؟ قالت : نعم والله ، لقد سررت بالخبر ، فأنى لي بتصديق الفعل ، فضحك معاوية وقال : والله لحبكم لعلى بعد موته أعجب من حبكم له في حياته ، وسألها حاجتها فقالت : لا أسأل أميراً أعنت عليه ( ٤ ) وفدت عكرشة على معاوية تنوكة على عكاز بيدها ، فسلمت عليه بالإمارة ، فقال لها : الآن صررت أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم فقد مات على ، ولو كان حياً ما كنت خليفة ، قال لها : لكأنى أراك على عصاك هذه وقد أنكفأ عليك المسكران ، يقولون هذه عكرشة بنت الأطرش ... فإن ليدت لتغليين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قديراً مقنوراً ، وكانت وفدت عليه تطلب أن يرد على أهل العراق صدقاتهم ، ولما حاورها أعيته حجة ، فأمر يرد صدقاتهم عليهم



« ... أين تريدون يرحمكم الله ؟ - أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ... »

هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والرّضويّ التقى ، والصديق الأكبر ، إنها إحن بدرية ، وأحقّاد جاهلية ، وضغائن أهدية ، وثب بها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بنى عبد شمس ، قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ، صبراً يا معاشر المهاجرين والأنصار ... » .  
قال عنها بعض أنصار معاوية إنها كانت كالफल يهدر في شقشقتها<sup>(٥)</sup> .

وقد ذكرت هؤلاء النساء الإسلاميات ليبدو من مواقفهن أمام رسول الله - ﷺ - وصحبه ، مدى ما كان لاختلاط المرأة المسلمة بالرجال في صدر الإسلام ، واختلاط المرأة الآن بالرجال في أعمالها إذن شيء سائغ له سنده من أعمال الصحابييات وغير الصحابييات ، ولنا أن نتذكر نساء الخوارج ومواقفهن الحربية الجريئة ، ولكن ليس هناك صداقة بين رجل وامرأة ، إلا مجرد التعارف ، والمجاملة ، فهي تعرف زميلها في العمل ، وتعامله في مواقف المجاملة من التهانى والتعازى والمعاونة فيما يحتاج إلى معاونتها فيه ، ولكن لا تخرج معه لنزهة فردية أو مسرح أو دار سينما ، أو غير ذلك ، ولا تجلس معه منفردين في مكان مغلق ، وهذا حدُّ الصداقة في الإسلام ، أما ما مُنيباً به من عادات غريبة فقد جر وراءه مساوئ كثيرة ولا يفزه الإسلام .

---

( ٥ ) من ذكاه أم الخير أنها ذكرت بما كان بين بنى عبد المطلب وبنى عبد شمس من عداوات قديمة استمرت إلى ما بعد الإسلام ، وبها شبت حرب بدر ، وحرب أحد . وذكرت بأن أتباع معاوية يدعون بدعوة الكفار ، وأن الذين لا يقاتلونهم سوف يحاسبون على تخلفهم أو توانيهم عن قتال هؤلاء . وجاء في كلامها : « ... فكأنى بكم غداً ، وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة ، لا تدرى أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ... واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعماً قليل لتصبحن نادمين ... » .

استقدمها معاوية من الكوفة ، وسألها عن خطبتها هذه ، فقالت إنه كلام لم أكن زورته قبل ، ولا رويته بعد .. قال : ما أردت بها إلا قتلى ، ولو قتلتك ما خرجت في ذلك ، فقالت : والله ما يسوعنى أن يكون قتلى على يد من يسعدنى الله بشقائه

## السؤال السابع

ما هي حدود العلاقة التي يبيحها الإسلام بين الشاب وخطيبته وهل من حقه الخروج معها منفردين؟ وهل يجوز له تقبيلها؟

● يبيح الإسلام أن يرى الخاطب من خطيبته وجهها وكفيها وقدميها ، وأن يسمع حديثها أو حوارها في مسألة ما ، فبذلك يستطيع أن يقيس جوانب الجسم الخفية وأن يعرف قدرتها العقلية ، واذ أمر بالنظر إليها نهى عن الخلوة بها ، ونحن في حياتنا الشرقية نتأرجح بين جانبيين لا يقرهما الإسلام ، وذلك لأن حياتنا الاجتماعية ليست على نسق واحد . فهي في الصحراء غيرها في الريف وفي الريف غيرها في المدن ، ولعلنا لهذا من أكثر الناس مشاكل في حياتنا الأسرية ، هناك من لا يسمح للخاطب أن يرى خطيبته ، وهناك - وهذا من تقليد الغرب - من يبيح الاختلاط بين الخطيبين ، ويبيح لهما التنزه وقضاء السهرات معاً ، ثم إن حياة العمل المشترك في المكاتب والمستشفيات ومحال التجارة وغيرها قد يحدث معه اختلاط ومسارة ، والدين أيضاً هو السياج الذي يحول دون حدوث ما ينفّر أو يسيء .

وكثيراً ما يرتبط الشخصان برباط خطوبة فقط ، وبه يحدث بينهما اختلاط ونزه ومصاحبة ، ثم لا يتم الزواج فيترك ذلك للفتاة معرة وربما سوء سمعة ، والأحوط أن يراها ويحادثها أمام بعض أقربائها ، فإذا تم الزواج فهو عن بينة ، وإذا لم يتم فلا سوء سمعة . ونحن الآن نشاهد ونقرأ في الصحف مآسى كثيرة من جراء هذا الاختلاط ، وكثيراً ما يؤدي إلى مخالطة زوجية ثم لا يتم زواج !!

وإذن فذات الدين أضمن لحياة زوجية سعيدة . أضمن لها من كل الوجوه .. « اظفر بذات الدين » !

الإسلام إذن يرشد من بادىء الأمر إلى طرق التوافق بين الزوجين وبها تكون الطاعة أمراً طبيعياً بين الزوجين لا تكلف فيه ، ولا حرج في نفس أى منهما !

ومع مرور الزمن وتطور الأحداث جددت في حياة المسلمين أشياء لم تكن موجودة من قبل ،

والمسلمون وهم في الشرق المستضعف مولعون بتقليد الغربيين ومحاكاتهم في كثير من عاداتهم حتى التي لا يقبلها الإسلام . شربوا الكحوليات فشرّبنا مثلهم ، وتعرت نساؤهم فتعرت نساؤنا ، وخرجت فتياتهم مع فتياتهم في نزه وخلوات وفي الشوارع وغير الشوارع ، فأصرت فتياتنا على أن تحاكيهم في ذلك أيضاً ، وملامسة الأجساد وعناقها ، وتبادل القبل والاحتضان شيء مألوف لديهم ، وتُعانق الفتاة صديقها وتقبله ويعانقها أيضاً ويقبلها أمام والديها وأختها فلا يشعر أي منهم بغضاضة ولا يرى في هذا العمل بأساً ، وتسربت أيضاً هذه العادات إلى حياتنا ، فأخذنا منها ما أخذنا ، وبالغ بعض منا فحاكاهم أو زاد عليهم ، وأخذ آخرون من هذه الرذائل بقدر . ومن المقرر المعروف أن الضعيف يحاكي القوى ويعجب بكل شيء يعمل ، والمحاكاة في هذه التوافه سهلة ميسورة ، أما المحاكاة في العلوم والبحوث وعمق الدراسة ، فمما لا نقوى عليه ، ونحن مضطرون - دون ريب - أن نستقى علومنا منهم ، وكل ناشئ منا يحن شوقاً أن يُبعث إلى البلاد الغربية أو الأمريكية ، وكل مبعوث بدوره يستقى من عاداتهم وتقاليدهم ، وأكثر هؤلاء المبعوثين ممن لم يدرسوا دراسة دينية ، فيسهل إندفاعهم وراء ما لهؤلاء القوم من عادات . وقد شاع ذلك وكثر حتى صار المحافظون يرمون بالتأخر ويوصفون بالجمود . وربما انتحل المتسامحون المتساهلون أسباباً نافهة يستحلون بها ما حرمه الإسلام ، وما تنبو عنه تقاليدنا أو كانت تنبو عنه .

من ذلك علاقة الشاب بخطيبته التي لما يعقد عليها عقد زواج ، فهي ما تزال محرمة عليه وأجنبية عنه ، ذكرنا فيما سبق ، أنها تظهر أمامه يوم خطبتها ، ولا يظهر منها إلا وجهها وكفأها ورجلاها ، ولا تظهر أكثر من ذلك ، ولا تكون هذه الرؤية إلا ومعها بعض محارمها ، من أبويها وإخوتها ، وبعد ذلك لا يجوز له أن يراها ، ومن البدع المستوردة أن تخرج الفتاة مع خطيبها لنزهة أو لمشاهدة حفلة أو حتى سماع محاضرة ، فهي محرمة عليه ، وخرجها معه يخذل عفافها ويجر عليها كثيراً من الريبة ، وقد تفشل هذه الخطوبة ولا يتم الزواج ، فتبقى لها سوء السمعة وقالة الناس . وقد تخرج معه ومعها بعض إخوتها أو أحد أبويها ، فتكون أيضاً معه كما تكون مع أي أجنبي آخر ، لا تلتصق به ولا يمس جسدها بأى وجه .

وغنى عن الذكر بعد هذا أن نقول إن تقبيله إياها أو تقبيلها له إثم . يكفي أنه رآها ورضيها زوجة له ، فالإي أن يتم عقد قرانها عليه ، وقبله لا يخلو معها في مكان مغلق الباب ، ولا يصطحبها إلى مفهى أو فندق أو غير ذلك .

## السؤال الثامن

ما موقف الزوجة التي ينفق عليها زوجها من مصدر حرام للدخل ، كالاتجار في المخدرات أو الرشوة مثلا ؟

● الزوج هو المسئول عن نفقة الزوجة ، لأنه قيم الأسرة والمكلف شرعاً برعايتها ، وتدبير كل شئونها ، وبعض الأزواج يكتسب ماله من طرق غير شرعية ، ربما استساغ السرقة فسرق ، وربما تعامل بالربا ، وربما اتجر في أشياء محرمة من المخدرات وغير المخدرات ، فما موقف زوجته في هذه الحالة ، وماذا تعمل ؟

من الواضح البين أنه هو المسئول عن أعماله ، وأنه هو الذى سيحاسب عليها . ولكن على الزوجة وهى شريكته فى بيته وفى حياته كلها - أن تنصحه وتحذره عاقبة سلوكه وكسبه الحرام ، بل وتهده بما ترى أنه يحول بينه وبين هذا السلوك المعوج . كل هذا فى حدود ما لا يعود عليها بالضرر ، بل تستطيع بطريقة خفية أن ترشد عنه رجال الأمن ، ولا بأس عليها وعلى أولادها إذا عوقب ، لعل عقوبته تردعه عن الحرام .

وهناك فرق بين المال المكسوب من معاملة منحرفة كالإتجار فى مخدر ، وبين المال المسروق ، فالمال المسروق أخذ فى غير مقابل ، وله عقوبة مقررة منصوص عليها ولا يجوز للزوجة أن تنتفع به ، لا فى أكل ولا فى ملبس ، ومال الإتجار فى محرم حرام أيضاً ولكنه أخف خطورة من المال المسروق .

وإذا وجدت الزوجة ما تعيش منه حلالاً ، سواء من مالها هى أو من مال له غير حرام ، وجب أن تجتنب هذا المال المحرم ، وإذا كان للزوج كسب آخر حلال بجانب كسبه الحرام ، أنفقت من ماله بنية أخذها من المال الحلال ، ولا أرى لها أن تنفق شيئاً من المال المسروق إلا إذا اضطرها الجوع وخشيت الهلاك ، فهى كالمضطر الذى يأكل الميتة ، ولا بد أن تهدد زوجها حتى يكف عن السرقة .

وفى وقتنا الحاضر يشيع هذا الحرام من مختلف طرقه ، فهناك السطو على المنازل وعلى

راكبى المواصلات العامة ، وهناك المتجرون فى كل أنواع المخدرات ، وهناك مزيفو البضائع والنقود ، وهذه كلها تدخل فى باب المحاربة وقطع الطريق وللحاكم فى محاربتها عقوبات خاصة نص عليها القرآن الكريم ، ولو كانت زوجات هؤلاء المنحرفين ممن ينهاونهم ، ويهددونهم لخفت وطأة أعمالهم السيئة الكثيرة .



# الإسلام والفكر الخاطي

الشيخ عطية صقر

- رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وعضو مجلس الشورى ، كما يشرف على المركز الدولي للسيرة والسنة .
- حاصل على شهادة العالمية مع اجازة الدعوة والارشاد من كلية أصول الدين بالأزهر .
- حاصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣ ، وعلى نوط الامتياز من الطبقة الأولى عام ١٩٨٩ .
- قام بالدعوة الإسلامية في كل من : الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا وماليزيا وسنغافورة وبيروناى والسنغال ونيجيريا وبنن وبنجلاديش والعراق .
- له مؤلفات عديدة منها : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة ، الإسلام في مواجهة التحديات ، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام في ٦ مجلدات.





## السؤال الأول

بعض الشباب يعطى لنفسه حق مقاومة ما يعتبره هو منكرا بالعنف ، فى حين يدعو نفر آخر لعدم مقاومة آفات المجتمع لتستشرى وتقوضه ، لاقامة مجتمع إسلامى على أنقاضه ، فهل هذا من الدين الحنيف ؟

● من الصفات المميزة للأمة الإسلامية والمرشحة لخيريتها أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، قال تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup>

وقد أمر الله أن تكون هذه الميزة حقيقة واقعة فى حياة المسلمين فقال :

﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وجعلها من قواعد المجتمع الصالح بقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٤

(٣) سورة الحج : الآية ٤٢

ووضع مسئوليتها على عاتق كل المسلمين رجالا ونساء ، كل بقدر ما يستطيع ، فقال :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ذلك لأن الدعوة لتعليم وإرشاد وتهذيب وإصلاح ، ولا يتم لمجتمع نهوض أو استقرار إلا بالعلم الذى يكشف الطريق ويحدد الغاية ويرفع العراقيل ويزيل العقبات ، فالدعوة تخليه من الرذائل وتحليه بالفضائل ، بمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولأهمية هذا العمل الجليل رغب فيه الإسلام ترغيبا شديدا بمثل قوله ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » وفى حديث آخر رواه مسلم أيضا : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمُرِ النَّعَمِ » . وفى حديث آخر رواه ابن ماجه باسناد حسن : « يا أبا نر ، لأن تغدو فتعلم بابا من العلم ، يعمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلى ألف ركعة » . وذلك إلى جانب النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة فى فضل العلم وتكريم العلماء .

وإذا كان العلم والتعليم أو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المنزلة الرفيعة ، فضلا وكرامة للقائمين به وأثرا طيبا فى تقويم السلوك على مستوى الأفراد والجماعات - حذر الإسلام من التهاون فيه اما بتركه أصلا ، وأما بالتراخي وعدم الجدية فى أدائه ، لأن فى التهاون فيه حجباً للنور الكاشف لطريق الخير أو أضعافاً لقوته ، واعطاء الفرصة للإنحراف فى الفكر والسلوك ومن هنا ينهار الفرد وينهار المجتمع ، فالدعوة إلى الخير بطرفيها وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقاية من المرض وعلاج له فى الوقت نفسه .

ولذلك نذم الله المقصرين فى هذه المهمة ذمًا شديدا فقال سبحانه :

﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>

وذم النبى ﷺ من سئل عن علم فكتمه ، فقال فيما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى بطريق حسن : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

(٤) سورة التوبة : الآية ٧١

(٥) سورة المائدة : الآية ٧٩

والمقصرون فى مهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قوم أنانيون لا تهتمهم إلا أنفسهم فقط ، ولا يباليون بخير يقدمونه لغيرهم أو شر يدفعونه عنهم ، وفى الحديث الذى رواه الحاكم والطبرانى بسند يقبل فى مثل هذه المواضع : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » . كما أن هؤلاء المقصرين لا يدرون أن الشر إذا وقع بغيرهم ولم يقاوموه إن كان عن رضا به فهم شركاء فى ائمه وتبعته ، وإن كان عن عدم مبالاة فسيصيبهم ضرره . وقد جاء فى ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ (٦)

وقول النبى ﷺ : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً نستقى منه ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » رواه البخارى . وقوله فيما رواه أصحاب السنن الأربعة بالفاظ متقاربة وصححه الترمذى : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرن على أن يغيروا ثم لا يغيرون الا عمهم الله بعقاب من عنده » .

وإذا كان تغيير المنكر بهذه الأهمية يكون المتخاذلون عنه غير المباليين به ، والذين ينتظرون بشيوعه هلاك المجتمع لينبوا على أنقاضه مجتمعاً صالحاً - مخطئين فى فهمهم وفى موقفهم ، فهم شركاء فى الاثم الذى سكتوا عنه ، وسيصيبهم شره لا محالة ، ولماذا يبأسون من صلاح المجتمع ويتروكون الفساد يستشري فيه ؟ ، ألم يسمعوا قول الله فى قوم صالحين :

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٧)

لعل المتخاذلين عن تغيير المنكر يتذرعون بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ (٨)

انهم فهموه خطأ ، فالسكوت عن ضلال الآخرين شرطه أن يكون السالك متهدياً ، وهو

(٦) سورة الانفال : الآية ٢٥

(٧) سورة الاعراف : الآية ١٦٤

(٨) سورة المائدة : الآية ١٠٥

لا يكون مهتديا إلا إذا قام أولا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو ما قاله النبي ﷺ حين سئل عن هذه الآية : « بل ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وذنبا مؤثرا ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك نفسك ودع عنك أمر العوام ، رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .

ولكن ما هى الطريقة الصحيحة للقيام بهذا الواجب ؟ لقد قال الله لنبيه ﷺ :

﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٩)

وقد التزم في دعوته طريق الحكمة القائمة على وضع كل شيء في موضعه ، وشرح ذلك بطول ، وأمر أمته باتباع هذا المنهج ، وجاء بخصوص تغيير المنكر قوله فيما رواه مسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ، .

والذين يخالفون هذا المنهج لا يتحقق غرضهم من تغيير المنكر وقد يترتب عليه شر أكبر من الشر الذى يقاومونه ، بل ويصيب غيرهم من جراء عدم حكمتهم شرًّا ليس لهم فيه يد من قريب أو بعيد .

إن الذين يريدون تغيير المنكر بالقوة الفعلية لابد أن يراعوا هذه المحاذير ، وقد ينجحون فى ذلك إذا كان لهم سلطان على من يصلحونهم ولا تكون معه مساءلة دنيوية أو أخروية ، وذلك مثل الأب مع أولاده ، والزوج مع زوجته ، فى حدود السلطة المخولة له ، وقد قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (١٠)

والحديث الذى رواه البخارى ومسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته .... » والله سبحانه يقول :

﴿ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُسُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴾ (١١)

(٩) سورة النحل : الآية ١٢٥

(١٠) سورة التحريم : الآية ٦

(١١) سورة النساء : الآية ٣٤

فإن لم يكن هناك سلطان للإنسان على العاصي فلا يجوز له أن يقومه بالقوة خشية الضرر والفتنة ، فيترك ذلك لصاحب السلطة ، والواجب عليه في هذه الحالة أن يكون التغيير باللسان أى بالموعظة الحسنة ، فإن لم يستطع كان التغيير بالإنكار بالقلب مع هجر العاصي ومعاملته معاملة تدل على كراهيته ، فقد يفكر في تغيير سلوكه ليكسب رضا الناس .

إن الذى يغير المنكر باليد والقوة لا بد أن تكون معه قوة تحميه ، وكان المحتسب فى العهود السابقة مأذونا له من ولى الأمر أن يغير المنكر بيده ، ومن هنا كانت الفتنة مأمونة .

كما اشترط العلماء فيمن يقوم بتغيير المنكر أن يكون عالما ، لا يغير إلا ما اتفق على أنه منكر ، ولا يغير منكرا قال به أحد العلماء المجتهدين ولم يقل به آخرون ، اما أن يُترك ذلك لمن لا يفرقون بين الحرام والمكروه ، ولا بين الواجب والمندوب ، ولا بين الشخصيات التى يراد اصلاحها والأسلوب المناسب لها ، فذلك خطر لا يرجى منه إصلاح وقد يكون فيه ضرر أشد .

ولا ننسى فى هذا المقام قول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام

﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ (١٢) .

وإذا كان الحديث الذى رواه النسائى وابن ماجه باسناد صحيح يبين أن « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » ، فلا ننسى الحديث الذى رواه الحاكم : « من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخُل به ، فإن قبلها فيها ، والا كان قد أدى الذى عليه والذى له » والحديث الحسن الذى رواه الترمذى : « من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله فى الأرض » .

---

(١٢) سورة طه : الآيتان ٤٣ ، ٤٤

## السؤال الثاني

يفسر البعض قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ ۗ

على أنه دعوة لمعاداة مواطنيهم من اليهود والنصارى واستباحة أموالهم بل حياتهم ، بل يدعو البعض لأخذ الجزية منهم ، فهل هذا هو الفهم الصحيح للتعامل مع المخالفين في الدين ؟

● من المعلوم أن الناس مختلفون في الرأي والعقيدة والسلوك بحكم طبيعتهم البشرية التي تخطيء وتصيب ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُ الْمُتَحَلِّفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقْتُهُمْ ۗ ﴿١﴾

وقد أمدهم الله بهدى من عنده عرفهم فيه الخير ودعاهم إليه ، وعرفهم فيه الشر وحذرهم منه ، وقال لآدم ومن معه حين أهبطهم إلى الأرض :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۗ ﴿٢﴾ ،

وأرسل إليهم الرسل لتتري لينبوهوم إلى هذه الحقيقة ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، حتى جاء خاتمهم محمد ﷺ فأكد ما دعوا إليه من العقائد الأساسية ، وبين أنه ليس غريبا عنهم في هذه الدعوة :

(١) سورة هود : الآيتان ١١٨ ، ١١٩

(٢) سورة طه : الآية ١٢٣

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنْ أَرْسَلِ ﴾ (٣) ،

وقال تعالى لأمة محمد :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٤) .

ولما كان الرسل اخوة في الدعوة إلى الله قرر الإسلام الاعتراف بهم وبالكتب الصحيحة التي نزلت عليهم ، ولم يقبل من المؤمن إيمانه إلا بالاعتراف بذلك ، قال تعالى :

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٥) .

والدعوة التي جاء بها الإسلام موجهة لكل الناس ، سواء منهم من كان على دين سابق ومن ليس على دين ، لأن الأديان السابقة كانت مؤقتة وخاصة بمن جاءت اليهم . فالذين ليس لهم دين سماوي دعوا إلى الإيمان بالله والعقائد الأخرى ، والذين لهم دين سماوي كاليهود والنصارى دعوا إلى الإيمان بالرسول محمد ﷺ وبما جاء به إلى جانب إيمانهم برسولهم ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦)

ومما يدل على أن الدعوة الإسلامية موجهة إلى أهل الأديان الأخرى قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴾ (٧) .

(٣) سورة الأحقاف : الآية ٩

(٤) سورة الشورى : الآية ١٤

(٥) سورة البقرة : الآية ١٣٦

(٦) سورة آل عمران : الآية ٨٥

(٧) سورة آل عمران : الآية ٢٠

والمعاهد من لم يقبل الإسلام وتعهد بعدم حربنا ، وهؤلاء يحترم عهدهم ، لا يحاربون إلا إذا نكثوا العهد ، قال تعالى :

﴿ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٥) ،

وقال :

﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ لَهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (١٦) ،

وحذر النبي ﷺ من الغدر بهذا العهد وأمر المسلمين باحترامه ، وهو الذى رد أبا جندل وقد فر هاربا من أهل مكة وأسلم ، لأن العهد فى الحديبية كان يقضى برده ، وقال فى ذلك : « نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم » وقال مثل ذلك فى أبى بصير ، وقال فى احترام العهد : « من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئا منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » رواه أبو داود ، وعهد عمر لأهل ايلياء معروف ، وفيه الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وعدم اكرامهم على الدين ، وعدم الاضرار بهم .

والذمى هو من عاش بين المسلمين ، فهو مواطن معهم ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ولا بأس من التعاون مع الذميين على الخير ومن برهم ومجالمتهم فى الحدود المشروعة ، كما كان اليهود فى المدينة أيام النبي ﷺ ، والمعاهدة معهم معروفة ، وفى هؤلاء وغيرهم من المعاهدين جاء الحديث الذى رواه البغوى : « إن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذى فرض عليهم » ، وفيهم أيضا يقول الله سبحانه :

﴿ لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنْ مَّا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١٧) ،

(١٥) سورة البقرة : الآية ٧

(١٦) سورة البقرة : الآية ١٢

(١٧) سورة الممتحنة : الآيتان ٨ ، ٩



والنبي ﷺ تعامل مع اليهود واقترض منهم الطعام ولم يرض للمسلم أن يتعدى على اليهودي الذي فضل موسى عليه ، ونهى عن تفضيله على الأنبياء ، مع أنه أفضلهم ، وذلك منعا للفتنة ، وقال في حديث رواه مسلم « الأنبياء أخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه ليس بيني وبينه نبي » ورأى عمر يهوديا ضريرا يسأل فجعل له من بيت المال ما يكفيه وكتب للولاة بمعونة الذميين الفقراء .

وكل هذه المعاملة لغير المسلمين من منطلق أن الإسلام دين السلام ، لا يبدأ أحدا بحرب ما دام مسالما ،

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (١٨)

وبخصوص أهل الكتاب من اليهود والنصارى أباح التزوج من نسائهم وأكل ذبائحهم .

ولا يقال إن أخذ الجزية من أهل الذمة ظلم لهم أو جعلهم مواطنين من درجة ثانية ، فإنها تقابل الزكاة التي فرضت على المسلمين ، وكلتاهما لمصلحة المواطنين جميعا ، وهي مفروضة بنسب بسيطة على الذكور القادرين فقط .

وفي هذا المقام يذكر أن أبا عبيدة قائد جيش العرب في الشام لما علم أن هرقل حشد جيشه لمقاتلة المسلمين كتب إلى عمال المدن التي فتحوها بالشام أن يردوا ما أخذوه من الجزية إلى أهلها ، وقال : إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم ، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذناه منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم أن نصرنا الله عليهم .

إن الحوادث كثيرة في أيام النبي ﷺ والخلفاء والسلف الصالح تدل على أن الإسلام دين السلام ، لا يكره أحدا على اعتناقه ، ويحترم المعاهدات التي بينه وبين مخالفيه ، ويعامل من يستظلون بظله بالعدل والانصاف ، ويؤلف قلوبهم بالبر والرحمة ، ويتعاون معهم على الخير في مجالاته المختلفة ، وكان لهذه المعاملة الحسنة أثر كبير في اعطاء صورة طيبة عن الإسلام ، جذبت قلوب الكثيرين إلى اعتناقه عن حب واقتناع ، أما الخروج على هذه السياسة الحكيمة فهو تشويه لصورة الإسلام ، وتغيير منه ، وفي الوقت نفسه اثاره للفتن والقلق وضياح للجهود التي يجب أن تبذل للمصلحة ، واعطاء الفرصة لتدخل العدو لتحقيق مآربه التي ليس فيها خير للمسلمين .

(١٨) سورة الانفال : الآية ٦١

## السؤال الثالث

بعض الجماعات يجبر أعضائها على تطليق نساءهم إن لم يؤمن بأفكارهم ، ويدعو إلى مقاطعة الآباء وتكفيرهم للسبب نفسه ، فهل هذا من خلق الإسلام ؟

● هذا السؤال فيه أربع نقاط : الأولى في مبدأ تكفير الغير ، والثانية في حق الزوج على زوجته وحققها عليه ، والثالثة في حق الوالدين على الولد ، والرابعة فيمن يأمر غيره بخير أو شر .

١ - صح حديث عن النبي ﷺ رواه مسلم يقول في إحدى رواياته : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه » . فهناك نهى عن أن يرمى أحد غيره بالكفر بدون سبب حقيقي يوجب كفره ، والأسباب التي يحكم بها على الانسان بالكفر أهمها إنكار العقائد الدينية الثابتة ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك إنكار ما علم مجيئه من الدين بالضرورة - كإنكار فرضية الصلاة ، وحرمة القتل ، وكذلك صدور ما لا يقع إلا من كافر كرمى المصحف في القاذورات والسجود لصنم وسب الدين .

وليس كل ما يقوله بعض الجماعات عقيدة من العقائد أو أمرا مجمعا عليه حتى يكون من يخالفهم فيه كافرا ، فلا بد من التأكد من موضوع المخالفة هل يؤدي إلى الكفر أو المعصية فقط ، مع العلم بأن العقيدة أمر باطنى يتعقد عليه القلب ولا يعلمه بحق وصدق إلا الله سبحانه ، والأقوال أو الأفعال التي تصدر من الانسان هي علامات فقط للحكم عليه من جهتنا لنعامله على أساسها ، فكم من قائل لا اله إلا الله محمد رسول الله وهو عند الله من الكفار بل من المنافقين المستوجبين للخلود في الدرك الأسفل من النار ، ولكن لنا ظاهره ونعامله كمسلم بناء على نطقه ، قال تعالى عن المنافقين ،

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة : الآيتان ٨ ، ٩

وقد ينطق الإنسان بكلمة الكفر وهو عند الله من المؤمنين الصادقين ، كما ذكره الكفار على النطق بها فنطق ولكن قلبه مطمئن بالإيمان ، كما قال سبحانه :

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

ومن أجل التثبت مما يستوجب الرمي بالكفر ، وعدم المسارعة باصدار الأحكام قبل التأكد ، قال الامام مالك رضى الله عنه : « من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان » .

٢ - للزوجة حق كبير على الزوج كما أن له حقا كبيرا عليها ، والله سبحانه قد أمر أن تكون المعاشرة بينهما بالمعروف فقال :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسِيءٌ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢)

وقال :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٤)

وقال النبي ﷺ : « استوصوا بالنساء خيرا » رواه البخارى ومسلم وقال : « لا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إن كره منها خلقا رضى منها آخر » رواه مسلم .

وقد أمر الله المرأة أن تحسن عشرة زوجها فقال :

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (٥) ،

وحدث النبي ﷺ الزوجة أن تطيع زوجها وتشكره على كل معروف قدمه إليها ، فقال فيما

(٢) سورة النحل : الآية ١٠٦

(٣) سورة النساء : الآية ١٩

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٢٨

(٥) سورة النساء : الآية ٣٤

قال : « ثلاثة لا ترتفع صلواتهم فوق رؤوسهم شبرا ، رجل أم قوما وهم له كارهون ، وامرأة بانت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصارعان » رواه ابن ماجه والترمذى .

وسخط الزوج عليها لا يكون إلا عند مخالفته فى أمرين أساسيين بنيت من أجلهما الأسرة ، الأول المتعة الجنسية ، والثانى ملازمة البيت وعدم الخروج منه إلا بإذنه ، وقد قرر العلماء أن مخالفتها له فى واحد منهما يجعلها ناشزا تسقط نفقتها وتستحق التأديب حتى يستقيم أمرها .

أما طاعته فى غير هذين الأمرين فهى مستحبة وليست واجبة ، وعلى هذا لو أمرها أن تعتنق مبدأ من المبادئ ، ينظر فيه فإن كان معصية فلا تجب عليها طاعته بل لا تجوز ، لأنه « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، وإن كان غير معصية فمن المستحب أن طيعه إذا كان يحقق مصلحة مشروعة ، وليس محتما أن طيعه فيه . وذلك فى غير الأمور المفروضة على الجميع كالصلاة والصوم .

ومخالفتها له فى المعصية أو فى غير ما يجب عليها نحوه لا يصح أن يتذرع الزوج بذلك ويطلقها ، فالطلاق حتى فى النشوز لا يكون إلا بعد كل المحاولات للإصلاح ، والرسول ﷺ قال : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » ، وذلك للعمل على استقرار الأسرة لتؤدى مهمتها على الوجه المطلوب فتطليقها يعتبر ظلما لها ، والظلم حرام كما هو معروف ، ومن هنا نعلم أن طلاق الزوج لزوجته التى لا تؤمن بما يؤمن به من أمور ليست أساسية فى الدين يمقته الإسلام وينهى عنه .

وإذا كان الإسلام قد أمر الزوج الذى تزوج بيهودية أو نصرانية أن يحسن عشرتها وألا يكرهها على اعتناق الإسلام ، فإن الزوجة المسلمة ليست أقل استحقاقا لحسن المعاشرة ممن هى على غير دين الإسلام ، فلا تكره على عقيدة زوجها مهما كانت أهميتها ، ولا يغمط حقها من أجل ذلك .

٣ - إن حق الوالدين على الولد كبير ، فهو يتلو حق الله فى الأهمية كما جاء ذلك فى عدة آيات فى القرآن الكريم ، ومن أجمعها قوله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ١٧ ﴾

كما نهى الإسلام عن عقوقهما وجعله النبي ﷺ من أكبر الكبائر في قوله : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » قالوا بلى يا رسول الله ، قال « الاشرار بالله وعقوق الوالدين » رواه البخاري ومسلم .

ومن العقوق هجرهما والتقصير في الواجب لهما ، والهجر معروف أنه من المحرمات بين الشخصين العاديين ، فكيف بالولد مع أبيه ؟ قال ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال » رواه البخاري ومسلم ، وقد سبق حديث من لم ترفع صلاتهم فوق رؤسهم شيئا وفيه « وأخوان متصارعان » .

وإذا كان الإسلام يحرم على الولد أن يقول لوالديه « أف » أو ينهرهما ، فكيف بمن يحكم عليهما بالكفر ويعاملهما معاملة الكفار ؟ وهل فات هؤلاء أن الوالد حتى لو كان كافرا يجب أن يعامله ولده بالمعروف كما قال سبحانه :

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ ﴾ (٧)

إن النبي ﷺ على الرغم من أن عمه أبا طالب لم يؤمن به ، لم ينس له معروفه الذي صنعه معه وهو كفالته بعد موت جده عبد المطلب ، وكان يعرض عليه الإسلام برفق حتى في آخر لحظة من حياته ، وعندما توفي صعب عليه ما يؤول إليه أمره في الآخرة فاستغفر له ربه ليغفر له ، لولا أن الله سبحانه ذكر له أن استغفاره لا يجديه شيئا ، فقال

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَبُ الْكَافِرِينَ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَنْ موعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ ۗ ﴾ (٨)

وقد كان إبراهيم عليه السلام رحيفا بأبيه أزر على الرغم من عدم إيمانه به ، فكان ينصحه برفق ويلين له في القول من غير نهر ولا خروج على أدب اللياقة ، فكان يستعمل عبارة « يا أبت » مثل :

(٧) سورة لقمان : الآية ١٥

(٨) سورة التوبة : الآيات ١١٣ ، ١١٤

﴿يَنَابِتٍ لِّمَن تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (٩)

ولما لم يستجب له بل هدده بقوله :

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ لِمَن تَدِينُ آيَةً وَارْحَمْنَاكَ وَأَنْجَيْنَاكَ مِنَ الْيَتِيمِ﴾

رد عليه إبراهيم بقوله :

﴿سَلِّمْ عَلَيَّ سَلَامًا وَسَلِّمْ عَلَىٰ آبَائِي وَإِنِّي أَخافُكَ وَإِنِّي أَنَا الْيَتِيمُ﴾ (١٠)

ومن هنا نرى أن مقاطعة الوالد الذي لم يعتنق مبادئ ولده يحرمها الإسلام ، فقد ارتكب هؤلاء جرمين كبيرين ، أولهما الحكم على الوالد بالكفر والثاني العقوق والهجران .

٤ - ثم ان الذين يأمرون هؤلاء بتطليق زوجاتهم ومقاطعة آباءهم ضالعون معهم في الاثم والمسئولية أمام الله ، فمن ساعد انسانا على خير كان له مثل أجره ، ومن ساعده على شر كان عليه من الوزر مثله ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود والطبراني بإسناد جيد والحاكم وصححه « من أعان على خصومة بغير حق كان في سخط الله حتى ينزع » .

(٩) سورة مريم : الآيات ٤٢ - ٤٥

(١٠) سورة مريم : الآية ٤٧

## السؤال الرابع

يحرم البعض تعلم القراءة والكتابة وتلقى التعليم عموماً بتفسير خاطيء لقوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ نَبِيًّا رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾

ويدعو لرفض التعلم لينطبق وصف الأمية على هذه الأمة ، في حين يقصر البعض تلقى التعليم على العلوم الدينية وحدها ، فما رأى في ذلك ؟

● معروف أن العلم نور ، يكشف الطريق ويحدد الغاية ويراقب التنفيذ ، وهو لا يطلب لذاته وإنما للعمل به وتطبيقه ، وكل العقول السليمة مؤمنة بذلك ، وكل الأديان مؤكدة له ، والدين الإسلامى بالذات له الباع الطويل فى الأشادة بالعلم وتكريم العلماء ، لأن له أهمية كبرى فى تحقيق عالميته التى يصلح بها لكل زمان ومكان ، وكان العلماء المسلمون هم رواد الحضارة والتقدم فى كل بلد يقبس من علمهم ، وفى كل عصر يبنى على ما وصلوا إليه من معارف متنوعة .

ويكفى بياناً لأهمية العلم فى الإسلام أن أول مادة فى دستور الرسالة الإسلامية كانت عن العلم ، وكان لغرابتها وقع شديد على النبى ﷺ عندما تلقاها ، لأنها غير معهودة له ولقومه :

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) .

والنصوص كثيرة فى بيان فضل العلم والحث على التعلم والتعليم ، يكفى منها قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

(١) سورة العلق : الآيات ١ - ٥

(٢) سورة الزمر : الآية ٩

وقوله :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣)

وقوله :

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٤)

وقول النبي ﷺ فيما رواه أبو داود والترمذى : « من سلك طريقا يبتيخى فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر . »

والأمية التى كان عليها النبي ﷺ ليست رفضا للعلم أو تقليلا من شأنه ، فهو نفسه الذى حث على العلم ، واهتم بأدواته التى تسجله وتحفظه ، فكان له كتاب يكتبون الوحي الذى ينزل عليه ، وجعل فداء الأسرى فى غزوة بدر تعليم عدد من المسلمين القراءة والكتابة .

إنما كانت أميته من لوازم التصديق برسالته ، حيث أتى من عند الله بقرآن عجز البلغاء عن الاتيان بمثل أصغر سورة منه ، واتهمه المشركون بأنه أخذه عن غيره من الناس ونسبه إلى نفسه ، بل رفع نسبته إلى الله تعالى ، وقد رد عليهم افتراءهم فقال :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٥)

وذلك الذى اتهموه بالتعلم منه مختلف فى اسمه كثيرا ولا داعى للحديث عنه ويطلب من كتب التفسير . وقال سبحانه :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا

(٣) سورة فاطر : الآية ٢٨

(٤) سورة المجادلة : الآية ١١

(٥) سورة النحل : الآية ١٠٣



ظَلَمًا وَزُورًا ، وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ  
 أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾ .

وقد بين الله سبحانه حكمة أمية النبي ﷺ بقوله :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحِطُ بِهِ يَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾<sup>(٧)</sup>

فالذين يحجمون عن تعلم القراءة والكتابة وسائر العلوم ليتحقق للأمة الإسلامية أميتها كما قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾

مخطئون كل الخطأ ، حيث أنكروا قيمة العلم ، وجهلوا الآيات التي تحت عليه ، وواقع المسلمين الذين أقبلوا عليه وأبدعوا فيه أيما ابداع .

ثم إذا كان الإسلام يحث على العلم ويرفع شأن العلماء ، فهل المراد به العلم الديني الذي يتعلق بالقرآن والسنة ومعرفة ما فيهما من عقائد وأحكام وأخلاق وقصص ، ولا يدخل فيه علم آخر كالفلك والرياضة والطب وغيرها ؟ لا ، إن المراد بالعلم في نظر الإسلام كل معرفة تفيد في أى قطاع من القطاعات المشروعة ، ولم ينه عن أى نوع منه إلا عند استعماله في الشر ، أو عند اللهو به عن الواجب والأمور الهامة ، ففي الحديث الذي رواه ابن عبد البر باسناد حسن : « نعوذ بك من علم لا ينفع » . وهذا التشجيع المطلق للعلم دليل على مراعاة الإسلام للفطرة الإنسانية النزاعة إلى معرفة كل شيء ، ولو حجر على الناس المعرفة لكان ديننا خيالاً ينفرون منه .

ومن أجمع الآيات الدالة على سعة ميدان العلم قوله سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نُجُومًا مُمَرَّتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنْ أَجْبَالٍ جُدُدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۗ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ

(٦) سورة الفرقان : الآيات ٤ - ٦

(٧) سورة العنكبوت : الآية ٤٨

وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٨﴾ .

فالذين يخشون الله هم العلماء بما في هاتين الآيتين ، علماء الفلك والطبيعة والكيمياء وطبقات الأرض وعلماء النبات والحيوان والإنسان وعلماء الطب والنفس والاجتماع ، والعلماء بكل ما يصل بالانسانية إلى كمالها المادى والأبى ، فكل العلوم التى تدرس فى معاهد التعليم داخلة فى نطاق العلم الذى شجعه الإسلام ، لأنها إذا درست دراسة منهجية واعية منصفة عمقت الإيمان بالله ، فيخشى عقابه ويُرهب سلطانه .

وهناك آيات كثيرة تتحدث عن سعة ميدان العلم ، والعلم المتنوع هو الذى يساعد على الاستفادة من نعم الله التى سخرها للإنسان ، بل هو الذى يساعد على عبادة الله فى الجانب الروحي بما يكشفه من امكانيات وقوى تقام بها المساجد ودور العلم وتسجل المعلومات وتذل السبل إلى الحج ، وتخترع المعدات للجهاد فى سبيل الله ، وتعالج الأمراض ....

لقد كانت الأسئلة توجه إلى النبي ﷺ فيرد عليها بما يناسبها ، ولم يمنع أحدا أن يسأل ولم يكتم علما عن طالبه ، لقد سأله عن سرّ الشبه بين المولود وأحد أبويه كما رواه مسلم ، وعن الرعد والبرق كما رواه الترمذى وحسنه ، وسئل عن الأهله والروح وذى القرنين ، وسأله أين كان الله قبل خلق السموات والأرض . لقد قال عليه الصلاة والسلام : « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أجدر بها » رواه الترمذى . ومعروف أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود ليعرف ما فى الكتب التى يرسلونها إليه ، بل انه أثر عن بعض السلف قوله :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وعلى ضوء النصوص المشجعة على العلم بمعناه الواسع ، وجد فى الإسلام علماء متبحرون فى كل العلوم ، منهم الكندى والفارابى والطوسى وابن سينا والغزالى وغيرهم ، وفى احياء علوم الدين للامام الغزالى كلام عن العلوم التى يجب تحصيلها لخدمة الإسلام ، كالعلوم العربية لفهم القرآن وكالحساب لمعرفة توزيع التركات والأنصبه المختلفة ، وقرر العلماء أنه لا بد من تعلم كل العلوم ليكون فى المجتمع الإسلامى علماء يفيدون المسلمين فى كل ما يحتاجون إليه .

إن الذى يقصر نفسه على تعلم العلوم الدينية - بالمفهوم المتعارف عليه - يحتاج إلى من يتعلم العلوم الأخرى كالطب والهندسة مثلا ، فهو إذا مرض فمن الذى يعالجه ؟ وإذا أراد بناء عمارة مثلا فمن الذى يرسمها ويشرف على بنائها ؟

(٨) سورة فاطر : الآيتان ٢٧ ، ٢٨

ان العلم يفسر لنا آيات الله في الكون ، وسر التشريع في أحكامه ،

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٩)

﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ (١٠)

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ (١١)

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ (١٢)

بالعلم عرفت كل هذه الأسرار ، وبالعلم استخرجنا الكنوز من الأرض ، وبالعلم قربت المسافات وانتشرت المعارف ، وبالعلم تقدم المسلمون في عصورهم الزاهية ، وبالعلم تحكم الاستعمار في المتخلفين عن ركب العلم ، ولن تعود للمسلمين قوتهم إلا بالعلم الواسع والعمل الجاد والتطبيق الصحيح ، وعلى من عندهم غيره دينية أن يفهموا الإسلام حق الفهم يأخذوا العلم على أعلامه حتى لا يضلوا .

---

(٩) سورة الذاريات : الآيتان ٢٠ ، ٢١

(١٠) سورة البقرة : الآية ٢٢٢

(١١) سورة الأنعام : الآية ١٤٥

(١٢) سورة الحجر : الآية ٢٢

## السؤال الخامس

يرفض بعض الجماعات الالتحاق بالجيش بزعم أنه جيش الطاغوت بل يدعو للفرار إن هاجم عدو البلاد بدعوى النجاة لدينهم ، فهل هذا من الإسلام ؟

● قال علماء الاجتماع قديما وحديثا ان الأمن من أهم أركان المجتمع السليم ، وأن من واجب الحاكم حراسة الأمة من عدو أو باغ على نفس أو مال أو عرض ، وهذا يقتضى تكوين جيش قوى لهذه المهمة .

والإسلام يدعو إلى ذلك من أجل اقرار الأمن والدفاع عن الحرمات ، وجاء التعبير عنه فى القرآن والسنة باسم الجهاد . والجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض من القادرين عليه سقط الطلب عن الباقين ، ويكون فرض عين على كل انسان عند الهجوم علينا أو أمر ولى الأمر بالنفّر والخروج له ، والنصوص فى ذلك كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ <sup>ط</sup>﴾ (١)

وقوله :

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ <sup>ج</sup>﴾ (٢)

ورغب فيه بمرغبات كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ إِنْ أَلَّ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَخِرَّةٌ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ <sup>ح</sup>

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٦

(٢) سورة التوبة : الآية ٤١

أَوْ فِي يَعْهَدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بِنُبَأِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾

وقول النبي ﷺ فيما رواه البخارى : « إن فى الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » .

وحذر من التقاعد والتقاعد عنه فقال سبحانه :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالِكًا إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا ﴿٤﴾ .

ولأهمية القوة العسكرية كان الاسهام فيها بأى نوع من الاسهام له ثوابه العظيم ، ففى الحديث : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » رواه أبو داود بسند صحيح ، وفيه أيضا : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » رواه البخارى ومسلم .

ومن هنا جاء الأمر بالاستعداد القوى له فقال سبحانه :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ءَعَدَّ اللَّهُ وَعْدًا وَكَرَّ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿٥﴾ .

وحدث على التدريب على كل الأسلحة ، وكان منها أيام الرسول ﷺ ركوب الخيل والرمى فقال : « من ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها » رواه أبو داود . وأمر بأن يعيش كل انسان فى جو الاستعداد للطوراىء فقال : « من لم يفر ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » رواه مسلم ، وقال « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » رواه مسلم .

(٣) سورة التوبة : الآية ١١١

(٤) سورة التوبة : الآية ٣٨

(٥) سورة الانفال : الآية ٦٠

والخدمة العسكرية تدريب واستعداد وأخذ بالحنز واحتياط للمفاجآت ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ۖ ﴾<sup>(٦)</sup>

وقال :

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ۗ ﴾<sup>(٧)</sup>

والمؤدى للخدمة العسكرية مرابط ، وفى الحديث : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، رواه مسلم . وهو أمر تنظيمى إلى جانب أنه أمرا الهى دينى ، فلا بد من طاعة ولى الأمر فيه لأنه للمصلحة ولا معصية فيه .

إن المتهرب من الخدمة العسكرية واحد من اثنين ، فهو إما جبان يخاف على نفسه أو ماله أو أهله ، وإما جاسوس متواطىء على الأمة مع العدو المتربص ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وهو سلبى والسلبية من أكبر عوامل الانهزام فى المعارك أيا كان ميدانها و « من لم يهمه أمر المسلمين فليس منهم ، كما فى الحديث المقبول ، فالفرار من المعركة من كبائر الذنوب ، والتحايل على عدم المشاركة فى الجهاد من صفات المنافقين الجبناء والمتواطئين على الإسلام ، فقد استأنن جماعة منهم عند خروج الرسول إلى الغزو متعللين بأسباب واهية كخوف الفتنة بنساء العدو كما قال سبحانه :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۗ إِنَّ تُصَبِّكَ حَسَنَةً نَّسُوهُمْ وَإِنَّ تُصَبِّكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَبِتَوْلَاؤِهِمْ فَرِحُونَ ۗ ﴾<sup>(٨)</sup>

وفى ذلك بيان لسوء نيتهم وكرهية الخير للمسلمين ، وذنم الله تخلفهم بدون عذر فقال :

﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ۗ ﴾<sup>(٩)</sup>

والخوالف هم المتخلفون الذين لم يحظوا بشرف الجهاد ، من النساء والصبيان والمرضى وذوى العاهات . كما نهم بقوله :

(٦) سورة النساء : الآية ٧١

(٧) سورة النساء : الآية ١٠٢

(٨) سورة التوبة : الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

(٩) سورة التوبة : الآية ٨٧

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ (١٠)

لعل بعض المتهربين من شرف الخدمة العسكرية يقول : إن الجيوش الآن لا تقوم بالجهاد الحقيقي لنسب دين الإسلام ، ونقول : إن الجهاد ليس هجوما على الأمنين وإنما هو دفاع أو تأمين لطريق الدعوة ، والبدء به ممنوع كما دلت على ذلك النصوص ، فهو لدفع عدوان واقع أو مرتقب دلت عليه القرائن .

ونقول لهؤلاء المتخلفين : من الذى يدافع عنكم إذا أغار عليكم العدو ؟ هل تنتظرون من غيركم - وأنتم ترمونهم بالكفر أو الفجور - أن يدافعوا عنكم ؟ وهل تستسلمون للعدو وأنتم لا تحسنون الدفاع عن أنفسكم ؟ كيف غاب عنكم ما رواه مسلم : أن رجلا سأل النبي ﷺ : أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ فقال له : فلا تعطه مالك ، قال : أرأيت إن قاتلني ؟ قال : « قاتله » قال : أرأيت إن قاتلني ؟ قال : « فأنت شهيد » قال : أرأيت إن قاتلته ؟ قال : « هو فى النار » . والحديث يقول أيضا : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح . إن الخدمة العسكرية تعلمك كيف تدافع العدو وتحمي نفسك ومالك ، وعرضك ودينك وكل المقدسات . وتنال بذلك شرف الشهادة .

ولعل بعض المتخلفين عن الخدمة بدون عذر يقول : إن الجهاد لا يجب تحت قيادة كافرة ، ونقول له : أين أنت من قول النبي ﷺ : « والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل » رواه أبو داود . وهو يدل على صحة الجهاد تحت قيادة الفاجر ، ولكل واحد جزاء عمله ، وعلى الجندي طاعة قائده فى الأوامر العسكرية منعا للفرق :

﴿لَا تَنَازَعُوا فِيهَا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (١١)

والنبي ﷺ كان يولى قيادة الجيش من هو خبير بفنون القتال ، أما عمله الخاص فهو له ، وفى حديث البخارى ومسلم : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وذلك بمناسبة انتحار رجل يظهر الإسلام وقد أبلى بلاء حسنا فى المعركة ، وأخبر عنه الرسول بأنه فى النار .

(١٠) سورة النساء : الآية ٩٥

(١١) سورة الانفال : الآية ٤٦

يقول ابن تيمية في كتابه « السياسة الشرعية » : « يَنقُمُ في ولاية الحروب القوي الشجاع وإن كان فيه فجور ، يقدم على الضعيف العاجز وإن كان أميناً . كما سئل أحمد بن حنبل عن رجلين في الغزو أحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف ، فقال : « أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه ، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين ، فَيُغزَى مع القوي الفاجر » . والنبي ﷺ وأبي خالد بن الوليد الذي قال عنه « أنه سيف سنّه الله على المشركين » مع أنه أحياناً كان يعمل ما ينكره عليه ، ورفع مرة يديه إلى السماء وقال : « اللهم انى أبرأ إليك مما فعل خالد ، وذلك حين أرسله إلى « جُنَيْمَةَ » فقتلهم وأخذ أموالهم بنوع شبيهة ، فتحمل النبي ﷺ دياتهم .

إن الجهاد شرف عظيم لا يفر منه إلا الجبناء أو المنافقون . ولشرفه كان الصحابة يتسابقون إليه ، ومن لم يفر بهذا الشرف لعذر ، كان يحزن ويبكى ويحاول تقديم خدمة لأمته ولو بالعفو عن الحقوق التي له عندهم كما فعل عُلبَة بن زيد في غزوة تبوك ، وكان صغار الصحابة يتنافسون أمام الرسول لآظهار قوتهم حتى يقبلهم ضمن المقاتلين ، وكان الرجل من السلف الصالح إذا خرج للغزو طلب من أهله أن يدعوا الله ألا يرجع إليهم ، وذلك شوقاً إلى الشهادة في سبيل الله .

وإذا صح أن الامام مالكا قال : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » ، فإن مما صلح به الأولون حب الجهاد وخدمة الإسلامى بما يمكن من قوة ومال وجهد في أى ميدان من ميادين الخير .



## السؤال السادس

هل يحق للبعض أن يحرم الصلاة في مساجد البلاد العربية بحجة أن حكامها لا يحكمون بما أنزل الله ، مع اباحتهم الصلاة في المسجد الأقصى وهو تحت سيطرة اليهود ؟ وهل يجوز اسقاط فريضة الجمعة بحجة أن المسلمين مستضعفون والحاكم كافر ؟

● الحديث في هذا الموضوع هو في ثلاث مسائل ، احداها أساسية والثانيتان فرعيتان . فالأولى هي تكفير من لم يحكم بما أنزل الله ، والثانية في الصلاة في مساجد من لم يحكم بما أنزل الله ، والثالثة في سقوط فرضية صلاة الجمعة لكفر الحاكم وضعف المسلمين .

١ - أما تكفير الحكومة والحكام لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله فهو مبني على قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

وهذه الآية جاءت بصدد الحديث عن اليهود الذين حكم الله عليهم بالكفر لأنهم رفضوا حكم الله في التوراة فقال سبحانه :

﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال بعض العلماء أن هذا الحكم خاص باليهود لأنها نزلت فيهم ولا تتعداهم إلى غيرهم ، وذلك على رأى من قال : « أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ » ، وعليه فإن المسلمين الذين لا يحكمون بما أنزل الله لا ينطبق عليهم حكم الكفر ، ويبحث عن دليل آخر بشأنهم .

(١) سورة المائدة : الآية ٤٤

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٣

وجمهور العلماء على أن هذا الحكم يدخل فيه اليهود وغيرهم لأن لفظ ( من ) من صيغ العموم يصدق على اليهود وغيرهم ، فالعبرة عندهم « بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » . وعندما حكموا على المسلمين الذين لا يحكمون بما أنزل الله بأنهم كافرون قالوا : إن الكفر لا يتحقق بمجرد عدم الحكم بما أنزل الله ، بل يتحقق عند جحود نزوله ورفض تصديقه أو الاستهزاء به ، فهذا الجحود أو الرفض أو الاستهزاء هو مناط الحكم بالكفر ، أخذاً من موقف اليهود الذين رفضوا حكم الله في التوراة وطلبوا حكماً من عند محمد ﷺ ، وقد قال الله فيهم :

﴿ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

أما الإيمان بأن هذا الحكم من عند الله وهو حق مقبول لكن لم يخرج هذا الإيمان والقبول إلى حيز التنفيذ لتسلط هوى أو لظرف قاهر أو لغير ذلك ، فلا يحكم بسبب ذلك التقصير على الإنسان بالكفر ، فهو معصية أو فسق كسائر المعاصي التي يتعرض لها الإنسان كإنسان ، في طبيعته الخطأ كما نص الحديث : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » ، رواه الترمذي وابن ماجه ، ذلك خلاصة ما جاء في التقارير القديمة والحديثة وما ارتضاه العلماء المحققون ، ووضحه الأزهر الشريف في الكتاب الذي أصدره بعنوان « بيان للناس من الأزهر الشريف » .

والذين يحكمون بغير ما أنزل الله ليسوا هم الحكام فقط فيدخل فيهم كل إنسان يصدر حكماً مغايراً لحكم الله كحكمه على الخمر أو السرقة أو القتل بالحل ، مع ملاحظة أن الحكم بشيء غير الحكم على شيء ، فالحكم على الشيء اعطاء وصف له كالحل والحرمة ، والحكم بالشيء قبوله وتنفيذه ، فالحكم بما أنزل الله يصدق باعطاء وصف لشيء يكون هذا الوصف مماثلاً لوصف الله للشيء ، كما يصدق بقبول الحكم الذي أنزله الله وعدم رفضه ، وأيضاً بتنفيذه ، فهذه أمور ثلاثة يكون الكفر بأحد اثنين منها وهما اعطاء وصف لشيء بالحل أو الحرمة غير وصف الله ، ورفض الوصف وعدم قبوله إما إنكاراً وجحوداً وإما استهزاءً ، أما عدم التنفيذ مع مطابقة الوصف وقبوله فلا يخرج الإنسان عن الإيمان ، وقد يوصف بأنه ظالم أو فاسق .

والبلاد العربية التي لا تحكّم الدين في كل شيء بل تحكّمه في البعض دون البعض الآخر لم يصرح مسئول فيها بأنه ينكر ما جاء من عند الله أو يستهزئ به ، وإنما يتعللون بأمر قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة ، فلا يجوز أن نحكم بالكفر عليهم في هذه الحالة ، وبخاصة أنهم يعبدون الله بالصلاة والصيام وسائر العبادات ، روى البخارى ومسلم ما يفيد أن النبي ﷺ قَسَمَ شيئاً فلم تعجب القسمة بعض الحاضرين وقال للرسول : « اتق الله ، فطلب خالد بن الوليد أن يضرب عنقه ، « فمنعه قائلاً « لعله أن يكون يصلى » فقال خالد : وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، فقال له « انى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم » .

٢ - إن المساجد بيوت الله ، والصلاة فيها لله لا لأحد غيره ، يستوى فيها أن تكون الحكومة هي البانية لها أو المشرفة عليها ، أو غير بانية ولا مشرفة ، حتى لو كان الذي بنى المساجد كافرا فإن الصلاة فيها صحيحة وغير ممنوعة ، حيث لم يرد دليل بالمنع أو البطلان ، لا من نص ولا قياس ولا أجماع ، والمسجد الأقصى تعرض في تاريخه إلى سيطرة غير المسلمين عليه ، ولم يقل أحد بمنع الصلاة فيه . فهل الصلاة في هذه المساجد جعلت الظهر خمس ركعات أو ثلاثة ركعات مثلا ؟ وهل الأذان فيها دخله تغيير لصالح من بنوها ؟ وهل الخطب والدروس تحيد عن الصراط الذي رسمه الله للدعوة الإسلامية ؟ وهل رواتب العاملين بها أو تأنيثها من أموال محرمة لأنها من خزانة الدولة تمنع الصلاة فيها ؟

ان ما يتمتع به هؤلاء من أكل ولباس ومسكن ومواصلات وغيرها فيه جزء كبير من أموال الحكومات التي ترمى بالكفر زورا وبهتانا ، فلماذا لا يحجمون عن الانتفاع بها ؟ ، يغلب على الظن أنهم يحرمون الصلاة فيها حتى لا يتأثر اتباعهم بالعلم الصحيح الذي يبين بطلان ما يتمسكون به من أفكار ، وحاولو تبرير منع الصلاة فيها بأن في بعضها قبورا ، وأحمد بن حنبل وحده قرر حرمة الصلاة في مسجد فيه قبر ، وجمهور الأئمة على خلافه ، يصححون الصلاة فيها ولا يحرمونها ، وذلك منذ مئات السنين . لقد اتخذ بعض هؤلاء مساجد خاصة لاتباعهم يلتقونهم فيها مبادئهم التي تجرهم إلى تصرفات غير مشروعة . كمسجد الضرار الذي اتخذهُ المنافقون لأغراض ضد الإسلام ، فأحرقه الرسول ﷺ ابقاء على وحدة المسلمين ، ومنعا لهم من الانحراف في الفكر أو السلوك إذا أخذوا دينهم بعيدا عن الرسول وقهاء المسلمين .

٣ - أما صلاة الجمعة فهي مفروضة على المسلمين كبقية الصلوات الأخرى ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

وقد حذر النبي ﷺ من تركها أو التهاون فيها . فقال كما رواه مسلم بخصوص من يتخلفون عن الجمعة : « لقد هممت أن أمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم » ، وقال فيما رواه مسلم وغيره : « لينتهين أقوام عن ودعهم - تركهم - الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » ، وقال فيما رواه أحمد وأصحاب السنن : « من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه » .

ان الجمعة فرصة لاجتماع المسلمين وتعارفهم واستماع التوجيهات التي يستقيم بها فكرهم

(٣) سورة الجمعة : الآية ٩

وسلوكلهم ، وفيها اعلان قوى عن الإسلام وتمسك المسلمين به ، وتدريب لهم على احترام القيادة وتنظيم الصفوف فى صلاة الجماعة التى لا تصح بدونها ، ولا تغنى عنها صلاة مفردة فى أماكن متعددة يفتقد فيها التوجيه الموحد بالخطبة والروح الاجتماعية بتلاقى المسلمين وتعارفهم .

إن صلاة الجمعة فريضة محكمة لم تنسخ ولا يجوز التعلل لتركها بعلل واهية تخدم اتجاهات معينة ، أو تنبعث من آراء وعقائد فاسدة ، ان هناك بعض المذاهب الدينية لا تقيم صلاة الجمعة بحجة غيبة الامام العدل الذى يصلى بهم جماعة ، وانعكس تهاونهم فى صلاة الجمعة على صلاة الجماعة فى الفرائض الأخرى ، فأكثر صلاتهم فرادى وتؤدى فى البيوت دون حاجة إلى المساجد التى تعيش شبه مغلقة أو خالية من الرواد .

ما معنى أن المسلمين إذا كانوا ضعفاء لا يصلون الجمعة ؟ ، هل توجد قوة تمنعهم من صلاتها أو يخشون ضررا من الذهاب إلى المساجد ؟ ثم ما معنى أن صلاة الجمعة لا تصح إذا كان الحاكم كافرا ؟ هل لأنهم يشترطون أن يكون الإمام والخطيب هو الحاكم كما كان فى عهد الرسول وخلفائه فى المدينة ، والحاكم فى نظرهم كافر ؟

إن صلاة الجمعة تقيمها الجاليات الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية حاكما وقانونا ، ولم يحكم عالم صادق الإيمان والعلم بأن صلاتهم غير صحيحة ، ولم يقل بأنها تسقط عنهم . إن تعطيل صلاة الجمعة فى البلاد الإسلامية وغيرها تعطيل لشعيرة تشهر الإسلام وتدعو إليه ، كما يضعف الروح الاجتماعية بين المسلمين ، وإذا كان العلماء قالوا : إن صلاة الجماعة فى الفرائض الأخرى واجبة أو سنة مؤكدة ترميرا لبيوت الله ورفعاً لشعار الإسلام ، فإن صلاة الجمعة فى كل أقاليم أجدد بالوجوب لا يعفى منها إلا نوء الأعدار الضاغطة .

ومهما ادعى المعطلون للجمعة أن ذلك لضعف المسلمين ، فإن الأولى بالضعفاء أن يجتمعوا ويتفاهموا فى سبب ضعفهم وذلك بالأسلوب الحكيم الخالى من الاثارة والتكتلات ، وبالتلاقى مع أرباب الفكر ورواد الإصلاح ليفيدوا من آرائهم وتجاربهم . والنية الصحيحة والتجرد من المصالح الشخصية ، والإخلاص لله خير ما يساعد على تحقيق الآمال .

## السؤال السابع

هل حدد الإسلام زيا معيناً للرجل وهل حتم أن يكون ملتحياً ؟

● لقد أكرم الله الإنسان وجعل من أكرامه ستر عورته بساتر يسره الله له وأرشده إليه كما قال سبحانه :

﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَ أَخْبَارِكُمْ وَسَاءَ وَرِثَاةٌ لِّبَاسِ اتَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۗ ﴾ (١)

وجعل الملابس زينة له ينبغي الحرص عليها وبخاصة عند الاجتماعات وارتياح الأماكن التي تمارس فيها العبادات فقال :

﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٢)

حيث كان بعض العرب في الجاهلية يطوفون حول البيت وهم عراة .

واتخاذ الملابس جزء من التزين والتجمل الذي يحب الله أن يرى عباده فيه كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم « إن الله جميل يحب الجمال » .

وليس هناك نموذج معين للزى بالنسبة للرجال ما دام في الحدود التي أشار إليها النبي ﷺ كتحرير الحرير والذهب ، وتحرير الأسبال والتفاخر بالملابس . وترك للناس حريرتهم في ذلك تبعاً لظروف البيئة والزمان ، مرشداً لهم أن يكونوا في منظر حسن غير منفر ، سواء أكان ذلك في الملابس أو في جسم الإنسان نفسه ، مثل تطهير الملابس من النجاسات وغسلها لإزالة العرق ، والتطيب بالروائح الجميلة وتسوية الشعر وتنظيمه ، والرسول ﷺ نفسه كان نموذجاً

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٦

(٢) سورة الأعراف : الآية ٣١

طيبا وأسوة حسنة في حسن الهندام والحرص على الزينة التي تساعد على قرب الناس منه وحبهم له .

ومن أجمع النصوص المتصلة بنظافة الجسم حديث رواه مسلم يقول : « عشر من الفطرة ، قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء والمضمضة » فهذه الأمور من أجل خلقة الإنسان وفطرته ، وقد حرص عليها الأنبياء ودعوا أقوامهم إليها . والمراد بالبراجم عقد المفاصل ، والمراد بانتقاص الماء الاستنجاء ، يضاف إلى ذلك العناية بالشعر ، فقد دخل على النبي ﷺ رجل تآثر الشعر أشعث اللحية فقال : « أما كان لهذا دهن يُسكّن به شعره ؟ » رواه ابن حبان وأبو داود والترمذي بأسناد جيد ، وفي رواية لمالك أن الرجل بعد أن أصلح شعره قال له الرسول : « أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم تآثر الرأس كأنه شيطان » .

ان شرح الأمور التي جاءت في حديث الفطرة يطول ، ويكفيها منها ما يتصل باللحية حيث أن كثيرا من الناس يحرصون على إعفائها مؤكدين أن ذلك من الواجبات التي يعصى الإنسان ربه بتركها ، ولبيان الحق في ذلك أقول :

إن القدر المتفق عليه بين الفقهاء أن إعفاء اللحية مأثور عن النبي ﷺ ، فقد كانت له لحية يعنى بتنظيفها وتخليها وتمشيطها ، وتهذيبها لتكون متناسبة مع تقاسيم الوجه والهيئة العامة ، وتابعه في ذلك الصحابة ، ووردت عنه أحاديث ترغب في الإبقاء عليها ، وقد اتفق الفقهاء على أن إعفاءها مطلوب ، لكن اختلفوا في نقطتين ، الأولى في درجة هذا الطلب ، هل هي الوجوب أو الندب ، والثانية في حد الإعفاء بالطول والقصر .

### النقطة الأولى في درجة طلب الإعفاء

هناك رأيان في هذه النقطة ، رأى يقول بالوجوب ، وعليه مالك وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وكثير من الشافعية ، ورأى يقول بالندب ، وعليه بعض علماء الشافعية كما نقله عياض ، والفرق بين الواجب والمندوب أن الواجب يثاب المرء على فعله ويعاقب على تركه ، والمندوب يثاب المرء على فعله ولا يعاقب على تركه .

وحجة القائلين بالوجوب حديث رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ : « خالفوا المشركين ، ووفروا للحي وأحفوا الشوارب » قالوا : إن إعفاءها مأمور به ، والأصل في الأمر الوجوب ولا صارف بصرفه عن ذلك ، فيكون حلقها حراما لأمور :

١ - أن فيه مخالفة لأمر النبي ﷺ بتوفير للحي .

٢ - ان فيه تشبها بالمشركين كما نص عليه الحديث .

٣ - ان فيه تشبها بالنساء والحديث نَعْن المتشبهين من الرجال بالنساء .

وحجة القائلين بالندب حديث مسلم « عشر من الفطرة ، قص الشارب وإعفاء اللحية ... » ووجهة نظرهم أن إعفاء اللحية شأنه شأن سنن الفطرة المذكورة في الحديث « وقد تقدم » وليست كلها واجبة فلماذا لا يكون إعفاء اللحية من بين المنديات ؟

ورد عليهم أصحاب الرأي الأول بأن إعفاء اللحية جاء فيه نص خاص يخرجها من الندب إلى الوجوب ، وهو مخالفة المشركين ، فدل على الوجوب ، لكن رد عليهم القائلون بالندب بأنه لو كانت كل مخالفة للمشركين محتمة لتحتم صبغ الشعر الذى ورد فيه حديث رواه الجماعة « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم » مع إجماع السلف على عدم وجوب صبغ الشعر ، فقد صبغ بعض الصحابة ، ولم يصبغ البعض الآخر ، وقال ابن حجر فى « فتح البارى » « لم ينكر بعضهم على بعض فقد صبغ أبو بكر وعمر ، ولم يصبغ على وأبى بن كعب وأنس ، ومن هنا يبقى الأمر بإعفاء اللحية على الندب لا الوجوب ، وعززوا رأيهم بما جاء فى كتاب « نهج البلاغة » وهو كتاب له منزلته عند الشيعة - سئل على رضى الله عنه عن قول النبى ﷺ « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » قال : إنما قال النبى ذلك والدين قل ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فأمروء وما يختار . والجران مقدم عنق البعير الذى يتمكن من الأرض عند بروكه ، والمراد انتشار الدين وقوته - أما التشبه بالكفار أو النساء فلا يحرم إلا إذا كان مقصودا .

من أجل هذا الخلاف فى درجة الطلب لإعفاء اللحية قال بعض العلماء : لو قيل فى اللحية ما قيل فى الصبغ من عدم الخروج على عرف أهل البلد لكان أولى ، بل لو تركت هذه المسألة وما أشبهها لظروف الشخص وتقديره لما كان فى ذلك بأس . جاء فى كتاب « الفتاوى » للشيخ محمود شلتوت ما نصه : « الذى نعرفه فى كثير مما ورد عن الرسول فى مثل هذه الخصال أن الأمر كما يكون للوجوب يكون لمجرد الإرشاد إلى ما هو الأفضل ، وأن مشابهة المخالفين فى الدين إنما تحرم فيما يقصد به الشبه من خصائصهم الدينية ، أما مجرد المشابهة فيما تجرى به العادات والأعراف العامة فإنه لا بأس بها ولا كراهة منها ولا حرمة ... ونحن لو تمسنا مع التحريم لمجرد المشابهة فى كل ما عرف عنهم من العادات والمظاهر الزمنية لوجب علينا الآن تحريم إعفاء اللحية لأنه شأن الرهبان فى سائر الأمم التى تخالفنا فى الدين ، وتوجب الحكم بالحرمة على لبس القبعة . والحق أن أمر اللباس والهيئات الشخصية ، ومنها حلق اللحية ، من العادات التى ينبغى أن ينزل المرء فيها على استحسان البيئة ، فمن درجت بيئته على استحسان شىء منها كان عليه أن يساير بيئته . وكان خروجه عما ألف الناس منها شذوذا عن البيئة » ، انتهى كلامه .

هذه هي آراء العلماء في إعفاء اللحية ، والذي اختاره أن أدلة الوجوب أقوى ، ومع ذلك فإن من اعفاهما فقد فعل خيرا بؤجر عليه لاقتدائه بالنبي ﷺ ، ومن حلقها لم يرتكب معصية يستحق بها دخول النار ، وأرجو أن تخف حدة الخلاف في شأنها ، فلا يرمى طرفا آخر بما لا يستحق ، وليست هي كل ما تتحقق به شخصية المسلم المتدين ، وهناك أمور متفق عليها يجب أن نقف حيالها صفا واحدا لتحقيق الخير للأمة الإسلامية .

### النقطة الثانية في حد الإعفاء

حد الإعفاء للحية مختلف فيه ، فقيل يجب أو يُسنُّ أن تترك مهما طاللت ، وقيل ان التطويل المفرط يشوه الخلقة ويطلق أسنة المغتابين ، فيندب الأخذ منها . جاء في كتاب « طرح التثريب في شرح التقريب » في حديث خمس من الفطرة : استدل به الجمهور على أن الأولى ترك اللحية على حالها ولا يقطع منها شيء ، وهو قول الشافعي وأصحابه ، وقال عياض : يكره حلقها وقصها وتحريفها ، وقال القرطبي في « المفهم في شرح صحيح مسلم » لا يجوز حلقها ولا نتفها ولا قص الكثير منها ، قال عياض : وأما الأخذ من طولها فحسن ، قال : وتكره الشبهة في تعظيمها كما تكره في قصها وجزها .



## السؤال الثامن

يفسر البعض القول بأن « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ، بأن الإسلام ضد التجديد والتكلم ، فما هو وجه الضلال في هذا التفسير ؟

● هناك نصوص يوهم ظاهرها وجوب التمسك بالقديم الذي جاء به الإسلام في الكتاب والسنة ، وتحذر من ابتداع شيء لم يكن فيهما ، منها حديث رواه البخاري ومسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وحديث رواه مسلم « وإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » ، وحديث رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح : « وإنه من بعث منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » .

والفهم الخطأ لهذه النصوص يؤدي إلى اتهام الإسلام بالقصور عن مواكبة التطور ، وأنه دين قديم لا يصلح إلا للزمن الذي نزل فيه ، مع أن الإسلام دين عام خالد ، يصلح للتطبيق في كل بيئة وفي كل عصر ، وليس بعده دين آخر إلى يوم القيامة ، وقد جاء ديننا كاملا يصلح لهذه المهمة كما قال سبحانه :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(١)</sup>

وقال :

﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) سورة المائدة : الآية ٣

(٢) سورة النحل : الآية ٨٩

إن البدعة لها معنى لغوي ، ومعنى شرعي أو اصطلاحى ، فهى فى اللغة اختراع شىء على غير مثال سابق ، ومنه ما أحدث بعد النبى ﷺ وبعد القرون المشهود لها بالخير ، وهو يشمل ما كان خيرا وما كان شرا . وما كان عبادة وما كان غير عبادة . قال الشافعى : « المحدثات من الأمور ضربان ، أحدهما ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو اجماعا ، فهذه البدعة الضلالة ، والثانى ما أحدث من الخير ، وهذه محدثة غير مذمومة » . ولما رأى عمر ابن الخطاب الناس يصلون التراويح جماعة خلف أبى بن كعب قال : نعمت البدعة هذه . ومن أجل شمول معنى البدعة لما هو خير وشر فسم عز الدين بن عبد السلام البدعة إلى واجبة كوضع العلوم العربية وتعليمها وإلى مندوبة كإقامة المدارس ، وإلى محرمة كتلحين القرآن بما يغير ألفاظه عن الوضع العربى ، وإلى مكروهة كتزويق المساجد وإلى مباحة كوضع الأطعمة ألوانا على المائدة .

أما البدعة فى الشرع واصطلاح الفقهاء والتى جاء نهما فى النصوص فهى الطريقة المخترعة على أنها من الدين وليست من الدين فى شىء ، وربما عرفوها بأنها طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الطريقة الشرعية ، ويقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية . ويدخل فيها العبادات وغيرها كالمعاملات ، وقصرها بعضهم على العبادات . وهى بهذا التعريف تكون دائما مذمومة كحديث : « كل بدعة ضلالة » ، وعليه يحمل قول الامام مالك : « من ابتدع من الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمد ﷺ خان الرسالة ، لأن الله يقول :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

والحق أن البدعة المذمومة لا تكون إلا فى الدين وهو ما يدل عليه حديث : « من أحدث فى أمرنا أى أمر النبى وجماعة المسلمين معه ، وحديث : « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » أى طريقتهم فى التدين ، فالسنة بمعنى الطريقة وليس معناها ما يثاب المرء على فعله ولا يعاقب على تركه ، أما الأمور الدنيوية فليس فيها بدعة إلا إذا خالفت النصوص الثابتة والأصول الدينية المقررة ، والرسول ﷺ حين مر على قوم يأبرون النخل - أى يلقحونه - أشار إلى أنه لا داعى له فلما سمعوا كلامه ولم يثمر النخل كالمعتاد نكر لهم أنه لا داعى لاتباع كلامه إلا فيما أمرهم به من الدين وقال « أنتم أعلم بأمر دنياكم » كما رواه مسلم .

صحيح أنه يصعب الفصل بين أمور الدين وأمور الدنيا لأن دين الإسلام نظام شامل ، لم يترك شيئا من أمور هذه الحياة إلا بينه نصا أو إشارة أو تصريحاً أو تلويحاً ، لكن على كل حال مالم يكن موجودا فى أيام الرسول والعهد الراشد ولم يرد نص يمنعه وترتب عليه خير

ومصلحة ، فهو فى نطاق الحلال المشروع ، حتى لو كان ذلك يتصل بالأمور الدينية ، فيما عدا العقائد الثابتة والعبادات التى اختارها الله طريقا للتقرب بها إليه ، وعليه يحمل حديث « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » رواه مسلم .

نشرت مجلة الأزهر « مجلد ١١ ص ١٦٥ » أن لجنة الفتوى بالأزهر الشريف برياسة الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام رأت أن الإبتداع يدخل فيما يتعبد به من إحداث عبادة مستقلة أو زيادة فى عبادة أو تغيير فى كيفية عبادة على أن يقصد التعبد بالمستحدث كما يتعبد بأصل المشروع ، كما يدل عليه حديث : « من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد » . أما وسائل العبادات فإن استحداثها لا يقال له أحداث فى « الدين » فلا يدخل فى حد الإبتداع أصلا ، وذلك كقفل الآذان من باب المسجد إلى سطحه ثم إلى المنارة ، ومنه مدفع الإفطار والامساك فى رمضان ، واتخاذ منبر للخطابة من درج مرتفع لغرض اسماع الناس فى المساجد الكبيرة وإن كان مخالفا لعنبر الرسول ﷺ .

نرى من هذا أن البدعة المذمومة لا تكون إلا فى الدين عقيدة وعبادة وخالقا ومعاملات منصوصا عليها ، بل إن الدين نفسه قد يستفيد من الأشياء التى لم تكن فى أيام الرسول والسلف الصالح كمكبرات الصوت والتسجيلات ووسائل الاتصال السلكى واللاسلكى ، ووسائل النقل من طائرات وغيرها ومعدات للجهاد وحماية الأوطان وغير ذلك مما يقوى به المجتمع الإسلامى ويواكب التطور الذى هو سنة الله فى خلقه .

إن التطور نزعة فطرية فى الإنسان تدفعه إلى الحركة والنشاط لتحسين وضعه ، وهو ظاهرة اجتماعية لا يمكن انكارها ، والأديان كلها تقره لأنه أمر حتمى لا يمكن التمرد عليه والوقوف فى طريقه ، ومهمتها حياله هى ارشاده إلى الطريق الأقوم لتحقيق السعادة للفرد والمجتمع ، بل إن الأديان نفسها ظاهرة من ظواهر التطور ، حيث كانت كل رسالة تنسخ ما قبلها لأنها لم تعد صالحة للزمن الذى جاءت فيه فى بعض التشريعات التى تتغير بتغير الزمان والمكان . ثم كملت برسالة الإسلام التى يمكن تطبيقها فى كل زمان ومكان ، وقد جاءت فى الإسلام نصوص تدعو إلى التطور الذى ينقل الإنسان أو المجتمع من السبىء إلى الحسن ، ومن الحسن إلى الأحسن ، منها حديث : « إن المؤمن لا يشبع من خير حتى يكون منتهاه الجنة » رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، ونصوص تدعو إلى القوة والكمال فى الماديات والمعنويات مادامت فى نطاق المشروع ، منها حديث : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » رواه مسلم ، ولا شك أن الحرص على النافع دعوة صريحة إلى التطور .

بل إن الإسلام حذر من الجمود والتمسك بالقديم الذى لا خير فيه ، فكرا وسلوكا ، فنعى

على الذين يتمسكون بعقائد آبائهم على الرغم من بطلانها ، والنصوص فى ذلك كثيرة ، وقد قال الرسول ﷺ : « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه الحاكم وصححه ، والتجديد سمة التطور ، مادام ذلك لا يعارض نصا قاطعا ولا أصلا مقررا ويحقق المصلحة .

وإذا كان التطور يقوم على العلم والعمل إلى حد كبير ، فالإسلام حث على العلم ورفع قدر العلماء ، ونكر القرآن أن كل علم يؤدي إلى حسن استخدام نعم الله فى الكون وإلى الإيمان بالله هو علم دينى كما جاء فى الآيتين رقم ٢٧ ، ٢٨ من سورة فاطر :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

أى بأسرار الكون علوية وسفلية . وفى مجال العمل جاءت النصوص بالحث عليه فى مجالات الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من المجالات .

وبالفهم الصحيح للنصوص الدينية قامت دولة الإسلام قوية عظيمة بحضارة مادية وأدبية لفتت أنظار العالم من حولها ، وخطبت ودها الدول وأفادت من المبادئ والنظم التى جاء بها الإسلام .

والخلاصة أن كل جديد فى الإسلام لا يعتبر بدعة ضلالة إلا إذا خالف الأصول المقررة من الدين ، أما ما كان من أمور الدنيا ، أو ما كان من الفروع الدينية التى اختلفت فيها آراء المجتهدين ، فلا يكون فيه ابتداع مذموم ، والدين يدعوا إلى التطور والأخذ بالأحسن من كل شىء فى نطاق القيم والأصول المقررة ، وهذا دليل صلاحيته لكل زمان ومكان .

## السؤال التاسع

ينكر البعض صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان مدعياً أنه جاء لعلاج شرور المجتمع الجاهلي في شبه الجزيرة العربية وأنه لا يصلح لغيرها ، فما هو مبعث الخطأ في هذا القول ؟

● الدين هو الوضع الإلهي الذي اختاره الله لعباده ليصلحهم في الحياتين ؛ وقد أرسل الله بهذا الدين رسلاً لأقوامهم في فترات معينة من التاريخ ، تؤكد عقيدة التوحيد والبعث وتصلح من فكرهم وسلوكهم بما يتناسب مع مقتضيات العصر ، وكان كل رسول يرسل إلى قوم مخصوصين تنتهي رسالته بارسال رسول آخر ، وقد يكون هناك رسولان في وقت واحد لجماعتين مختلفتين ، كإبراهيم عليه السلام الذي زامنه لوط عليه السلام في مكان آخر ، كما كان شعيب عليه السلام في مدين وأصحاب الأيكة وموسى عليه السلام في مصر .

إما الإسلام فكان ديناً عاماً لكل الأقوام والأجناس والبيئات وخالداً لا ينسخه دين آخر ، فكان خاتم الأديان ، أي هو دين عالمي صالح لكل زمان ومكان ، وهو شريعة الإنسان من حيث هو إنسان ، لا تميزه فصيلة الدم أو سمة اللون أو ظاهرة اللغة ، ولا تحده حدود جغرافية أو اعتبارات اقليمية ، ولا يعنيزه عقم ولا جمود ولا عجز عن هداية البشرية في عصورها المتلاحقة .

ويشهد لعالمية الدين الإسلامي أدلة نقلية وأخرى ذاتية وثالثة واقعية ، والأدلة النقلية واردة في الكتاب والسنة يقتنع بها المؤمنون بهذا الدين ، والذاتية هي المقومات الأساسية التي اشتمل عليها ، ومبادئه الملائمة للسلوك الإنساني في جميع أطواره ، والواقعية هي نجاحه في التطبيق في كل زمان ومكان .

فمن الأدلة النقلية قوله تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١)

(١) سورة الفرقان : الآية ١

وقوله :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

وقوله ﷺ : « كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود » رواه البخارى ومسلم بروايات مختلفة مثل : « وبعثت إلى الناس عامة ، ، وقوله لأهل مكة : « انى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة » رواه البخارى ، وقوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٣)

وقوله ﷺ : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأكمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين » رواه البخارى ومسلم .

ومن الأدلة الذاتية على عالمية الإسلام أنه دين الفطرة قائم على العقل والبرهان ، وفيه أصول أولية يتألف منها دستور علمي يوجه إلى ينباع الحكمة ، وهى تنحصر فى كليات أجمعت عليها كل الفلسفات وهى دوام النظر والتفكير فى الوجود اجمالا وفى الكائنات التى فيه تفصيلا ، ودرس أحوال الأمم والاعتبار بها وتثور نواميس الاجتماع من خلالها ، والاستهداء بالأعلام الالهية المنصوبة فى الوجود لهداية السالكين إلى الحق الخالص من الشوائب ، والتجرد من جميع الصبغ الوضعية ومن الهوى فى الحكم على الأشياء ، والاجتهاد فى تحصيل العلم حيث كان ، وعند أية أمة يكون ، والأخذ بالأحسن من كل شىء والعمل بمبدأ حرية البحث وعدم التقيد بالتقاليد ، والجرى على سنة التجديد ، واعتبار الفضائل وسائل لبلوغ الكمال الذى قدره الخالق للإنسان فى هذا العالم ، واعتبار وحدة الإنسانية وأن الناس ما انقسموا إلى شعوب وقبائل ليتخالفوا ويتناكروا ، بل ليتعارفوا ويتعاونوا ، وأن باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة لا تختص به طائفة ولا تستأثر به أسرة .

هذه هى الأصول الأساسية فى الإسلام ، وكلها حاصلة على اجماع أهل العلم والفلسفة فى العصر الحديث ، ومع ذلك هى أصول خالدة قابلة للتطبيق فى كل زمان ومكان . وقد عنى ببيان هذه الأصول كثير من المفكرين الإسلاميين مستدلين عليها بالنصوص الصحيحة ومنهم الاستاذ محمد فريد وجدى ، وقد جمعت مقالاته فى كتاب خاص . وقارن بين ما استنتجه من الأدلة على هذه المبادئ وبين ما نادى به فلاسفة الغرب الذين يريدون للعالم دينا عالميا .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٤٠

ولا يمكن في هذه العجالة أن نأتى بالأدلة على هذه المبادئ ، وقد بسطتها في كتابي « الدعوة الإسلامية دعوة عالمية » وأتيت بنماذج منها في كتابي « الدين العالمي » .

والأدلة الواقعية على عالمية هذا الدين تظهر من تبليغ الرسول له إلى كل أطراف الجزيرة العربية وإلى كبار المسؤولين في الدول من حوله ، وتكليف المسلمين أن يبلغوه بكل وسيلة إلى الناس كافة ، ووصلت الدعوة بعده إلى كثير من الدول والشعوب في أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا ، وأمكن تطبيق مبادئه في كل هذه البيئات ، والواقع يشهد بأن الإسلام له فضل كبير على أوروبا وعبءها ، والمنصفون من المؤرخين شهدوا بهذه الحقيقة ، ولهم في ذلك مؤلفات معروفة .

ولم ينتشر الإسلام في العالم بقوة السيف كما يقول الأعداء ، فنصوصه الكثيرة تمنع القهر والاكراه ، وانتشر في أماكن كانت فيها القوة العسكرية للخلافة ضعيفة ، وذلك عن طريق الدعوة السلمية وهجرة المسلمين إلى العالم وحسن معاملتهم التي رغبت الناس في الدين ، كما حدث في شرق أفريقيا والجنوب الشرقي لآسيا . حيث كان المسلم يعد نفسه داعياً إلى الله بالحكمة ويعيش مواطناً في كل بلد يسافر إليه .

لقد قامت جبهات تقاوم عالمية الإسلام بأساليب مختلفة وتولى كبرها اليهود من قديم الزمان زاعمين أن النبي المنتظر ليخلصهم من الاضطهاد لابد أن يكون من جنسهم وليس من العرب . قاوموا الدعوة بالسلاح وبالمؤامرات وبإثارة الشبه على الرسول والقرآن والشريعة ، كما قاومها غيرهم بالحروب الصليبية وغيرها ثم بالاستعمار أخيراً وتمزيق شمل الأمة الإسلامية ، ومحاولة القضاء على كل حركة تدعو إلى العودة إلى الإسلام من جديد .

إن الحركة المعادية للإسلام والتي تحاول تقليص ظله ، تدعى أنه دين عربي لا يصلح إلا للعرب لأن كتابه عربي ، وذلك ادعاء باطل ، فكل نبي جاء بلسان قومه كما قال سبحانه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٤)

ونشر العرب الإسلام في العالم كله بلغته التي يعرفها .

وتخشى هذه الحركة العدائية أن يكره الإسلام الناس على اعتناقه دون اقتناع ، وقد تبين أن الإسلام يقول :

(٤) سورة إبراهيم : الآية :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٥)

ويقول :

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ (٦)

وتخشى هذه الحركة أن يفرق الإسلام بين العرب وغيرهم ، وقد تبين أنه دين المساواة والعدالة :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا  
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (٧)

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شُرَٰعُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٨)

وتخشى هذه الحركة أن يتحكم الإسلام في مصائر الناس ويشيع فيهم الرعب ويقلق الأمن ، وقد تبين أنه دين السلام والأمان ، يكره الحرب ويجعلها لرد العدوان لا للعدوان وفي نصوصه :

﴿وإن جَاحُوا لِلسَّلَامِ فَأَجْعَ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (٩)

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٠)

﴿لَا يَنْهَىٰ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجْرِمُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١١)

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٦

(٦) سورة الكهف : الآية ٢٩

(٧) سورة الحجرات : الآية ١٣

(٨) سورة المائدة : الآية ٨

(٩) سورة الأنفال : الآية ٦١

(١٠) سورة البقرة : الآية ١٩٠

(١١) سورة الممتحنة : الآية ٨



إن الذين يقاومون حركة المد الإسلامي اما جاهلون بنصوصه واما متجاهلون ، واما مدفوعون بعوامل شخصية أو سياسية أو غيرها ، وللمبشرين والمستشرقين دور كبير في ذلك ، والاستعمار يعاونهم بكل قوة .

إن الواجب علينا أن نتنبه لهذه الحركات ، وأن نقوم بأمرين أساسيين لتأكيد عالمية الدين الإسلامي ، أولهما تبليغه للناس بصورة نقية مشرفة وبالوسائل الحديثة وابرازه لهم على أنه دين السلام والتعاون على الخير ، ودين التقدم والازدهار ، وثانيهما ممارسة المسلمين لمبادئ دينهم ممارسة صحيحة ليكون واقعا حيا في حياتهم يدل على صدقه وأصالته . فلن التقصير في الممارسة أو الانحراف بها يعطى صورة سيئة عن الدين الإسلامي ، تنفر الناس منه وتحملهم على مقاومته بكل ما أوتوا من قوة ، وهذا الواجب جماعى لا تختص به دولة معينة ، فالكل مطالبون بتوحيد الجهود فى هذا السبيل :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١٢)

« والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » حديث صحيح رواه البخارى ومسلم .

## السؤال العاشر

يزعم بعض الجماعات أن العمل في الحكومة حرام لأنها كافرة ، فما رأى الدين في ذلك ؟

● معلوم أن أية جماعة تعيش عيشة منظمة لا بد أن تكون لها حكومة تتولى قيادتها ويرجع إليها عند الاختلاف ، ولا تنعم الجماعة إلا بالتعاون التام مع هذه الحكومة ، فالحكومة تخطط وتصدر الأوامر والشعب أو الجماعة تنفذ الأوامر وتراعى التخطيط . وخير نظام يحدد العلاقة بين الشعب والحكومة هو نظام الشورى القائم على التناصح وحماية الحريات والعمل للصالح العام .

والحكومة هي مجموعة أفراد من الشعب اختيروا بمواصفات معينة تتناسب مع مهمتها ، وذلك في مقابل أجور تدفع لهم ليتفرغوا لعملهم ، وليس من المعقول أن يكون كل أفراد الشعب عاملين في الحكومة بنظام الأجور المدفوعة منها ، فإن هذه الأجور ليست مائدة من السماء شهية لمن يريد أن يأكل ، وإنما هي نتاج الكفاح الدائب من أفراد الشعب في ميادين الزراعة والتجارة والصناعة وسائر الميادين .

ولو احتاجت الحكومة لبعض أفراد الشعب ئيساعدها في مهمتها القيادية والتنظيمية كان على هؤلاء الأفراد أن يستجيبوا ، وذلك لأمرين ، أولهما طاعة ولى الأمر فيما فيه مصلحة ، والله سبحانه قد أمرنا بذلك فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١)

وثانيهما خدمة المجتمع ، فالواجب على كل فرد في جماعة أن يقدم خدمة لها ، وهذه الخدمة تعود عليه بالتالى لأن الفرد لا يمكنه أن يحصل على كل كفايته بدون تعاون غيره معه ، فالمنافع متبادلة .

وليكن معلوما أن العمل في الحكومة ليس خدمة لها بقدر ما هو خدمة للشعب ، وبهذا الفهم لا يجوز لأحد أن يتحرج من قبول أى عمل حكومى مادام مشروعا ، فإن عائدته هو للعامل

(١) سورة النساء : الآية ٥٩

وللشعب معا . كما لا يجوز لكل الأفراد أن يعملوا رسميا فى الحكومة لقاء أجور ، وإن كانوا جميعا عاملين فى الدولة ، وأجورهم هى نتاج كفاحهم كما قدمنا .

بعد هذا نقول :

إن الذين يحرمون العمل فى الحكومة بنوا حكمهم هذا على أن الحكومة كافرة ، فإذا امتنع كل المسلمين - بناء على رأيهم هذا - عن العمل مع الحكومة فمن الذى يعمل معها ، وعملها هو لصالح الشعب كله بما فيه هؤلاء الممتنعون ؟ هل يفسحون المجال لغيرهم ويجعلون لهم سبيلا عليهم ، أو يهاجرون إلى بلد آخر يزعمون أنه مسلم ، ولن يجدوا فيه أحسن مما هم فيه ؟ لابد أن نفكر بهدوء وروية وبعد نظر قبل اصدار أى حكم ، وقبل اتخاذ أى إجراء .

وموضوع كفر الحكومة قد وفيناه حقه فى غير هذا المكان ، وتمسكهم به انعكس على مقاطعتهم للعلماء وانصرافهم عن سماع توجيهاتهم ، لأنهم عاملون فى الحكومة الكافرة يدعون لها ويتواطئون معها على حرب الإسلام ويتفاضون منها أجورهم المجموعة من حرام . ويلجأون إلى مصادر أخرى للمعرفة تنقصها الدقة والفهم الواعى لكل من يتصدى للفتوى والتوجيه .

ولعل تحريمهم للعمل مع الحكومة يفوم على أن فى العمل معها مساعدة لها ، ومساعدة الكافر ممنوعة ، وعلى أن الأجور التى تُنقضى فى مقابل هذا العمل هى من خزينة دولة كافرة لا تتحرى الحلال ، والكسب الحرام ممنوع .

ونقول لهم : ان مساعدة الكافر ليست محرمة على إطلاقها ، فذلك لا يكون إلا فى عمل محرر ، وكون الكافر استفاد من المسلم لا يحتم على المسلم أن يقاطعه ويمنع عنه الفائدة ، فالرسول ﷺ عاش فى مكة والمدينة مع غير المسلمين ولم يقطع التعامل معهم فى نطاق الخير ، والآية الشريفة واضحة فى جواز ذلك ، قال تعالى :

﴿ لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُحْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبْرَهُوهُمْ وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٢)

والبر اعطاء منفعة للغير سواء كانت بمقابل أو بغير مقابل ، والنبى ﷺ هو وأصحابه لهم حوادث فى ذلك كثيرة ، فقد ثبت كما رواه أحمد والنسائى وغيرهما أن الرسول اشترى من يهودية سلعة إلى ميسرة ، وأنه اشترى من يهودى طعاما إلى أجل ورهنه درعه كما رواه البخارى ، وأنه تعامل مع اليهود بالمزارعة والمساقاة كما رواه البخارى أيضا ، وفى هذه المعاملات مساعدة لغير المسلمين برواج تجارتهم وتنشيط اقتصادهم . والمأثور أن عمر بن

(٢) سورة الممتحنة : الآية ٨

الخطاب رضى الله عنه رأى يهوديا يتسول فرثى له وفرض له من بيت المال ما يكفيه ، وكتب إلى عماله بمراعاة أمثاله ، وهذه مساعدة إنسانية تكريما للإنسان من حيث أنه إنسان وليست من أجل مقابل من هؤلاء ، وكان الواحد من الصحابة لا يمنع عطاءه غير المسلم إذا كان له حق عليه كحق الجوار ، فبدأ باعطائه قبل غيره من المسلمين . وفى جواز التزوج من الكتابية مساعدة لها لا يمكن انكار قدرها .

ثم نقول لمن يحرمون أخذ الأجر من مال غير حلال جمعته الحكومة التي رموها بالكفر : إن النبي ﷺ كان يأخذ الجزية من اليهود وهو يعلم أن مالهم ليس نقيا خالصا خاليا من الحرام ، فهم يتعاملون بالربا ويتاجرون فى الخمر والخنازير . ونكر ابن القيم فى كتابه « إغاثة اللهفان » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعار ثوبا من نصرانى وتوضأ من جرة نصرانية . وليس الرسول ﷺ ثيابا صنعها غير المسلمين . وأجاز الفقهاء الوصية والوقف على عمارة بيت المقدس وإنارته من غير المسلمين . وإذا أوصى بعضهم أو بنى مسجدا لقوم معينين من المسلمين جاز ذلك ، ونص الشافعى صراحة على جوازه كما فى نهاية المحتاج وغيره من كتب الشافعية . ونقل عن الامام الغزالى فى كتابه « احياء علوم الدين » إن الحرام إذا اختلط بالحلال فى بلد ولم يمكن تمييزه جاز أخذه . ونص ابن حزم فى كتابه « المحلى » على جواز مشاركة المسلم للذمى - وهو كافر - مستدلا بما رواه من أن الرسول ﷺ عامل أهل خيبر - وهم يهود - بنصف ما يخرج من الأرض ، على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم ، فهذه شركة فى الثمن والزرع والغرس . وأفتى الشيخ جاد الحق بجواز تأجير جمعية إسلامية دارا للبنك للإئفاق على مسجد بنته أقلية مسلمة فى (سرى لانكا ) مع أن حصيلة البنك شاملة لما هو حلال وحرام ، وذلك لعدم إمكان الفصل بينهما وقد يستند فى ذلك إلى أخذ بعض الصحابة أعطياتهم من بيت المال فى أيام الدولة الأموية مع اتهامها بعدم تحرى الحلال فى حصيلة بيت المال ، والموضوع واضح فى احياء علوم الدين للغزالى .

يؤخذ من هذا كله بطلان ادعاء بعض الجماعات حرمة العمل فى الحكومة بحجة أنها كافرة ، - وهى بحمد الله بعد التحقيق ليست كافرة - وفى بلد كمصر بلد الأزهر الشريف والعلماء الذين علموا الدنيا كلها أحكام الدين زهاء ألف سنة أو تزيد ، لم يحكم أحد عليها بالكفر حكومة أو شعبا ، فدينها الرسمى هو الإسلام ، والمساجد منتشرة فى كل مكان ، وشعائر الدين تقام بحرية وأمان ، بل بتشجيع وتكريم يحفز على الإقبال على الدين .

وأقول لهؤلاء الذين انحرفت أفكارهم : إذا كانت أموال الحكومة حراما فلماذا لا يمتنعون عن الإفادة منها ، وهم يتقبلون فى النعم من غذاء وكساء ومسكن ومواصلات ومصحات ومعاهد ومرافق تنفق عليها الدولة ؟ لا يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، ولا أن نقول : هذا حلال لنا وحرام على غيرنا ، ان الأفكار الخيالية البعيدة عن الواقع لا يجوز أن نغيرها

اهتماما ، فحياة أى مجتمع أو أية دولة ليست خالية مائة فى المائة من الشوائب أو السلبيات ،  
والله يقول :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٣)

إن بعض الذين يكفرون الحكومة ويحرّمون العمل معها يعيشون فى بلاد أجنبية غير إسلامية  
ويتمتعون بما فيها من خيرات ، وهى نتاج أعمال لا تلتزم بأحكام الشريعة الإسلامية ، ويقدمون  
هناك خدمات فى مقابل أجور مجزية لا يهتمون بمعرفة مصادرها ، فلماذا يستمرّون العمل  
هناك ، ويحرّمون العمل هنا فى جو إسلامى أو على الأقل ليس جوا كفرة صراح .

إن أكثر البلاد الإسلامية يقع ضمن الدول النامية . وذلك لا يليق بأمة جعلها الله خير أمة  
أخرجت للناس ، نحن فى حاجة إلى فهم صحيح لديننا ، وتطبيق خالص لوجه الله لهذا الدين  
الذى جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن العار أن نظل عائشين على خير غيرنا ،  
والحل بين أدينا ، وصدق القائل فى قوله :

قرب الشفاء وما إليه وصول  
والماء فوق ظهورها محمول

ومن العجائب والعجائب جمة  
كالعيش فى البيداء يقتلها الظمأ

---

(٣) سورة التغابن : الآية ١٦



# الإسلام والحياة المعاصرة

الركتور  
عبدالله عبدالشكور

- مدير المركز الإسلامي في فيينا بالنمسا
- عمل أستاذا للدراسات العليا بكليتي أصول الدين واللغة العربية وأستاذا بجامعة الرياض ، وأستاذا زائرا بجامعة أم درمان الإسلامية .
- شغل منصب مدير المركز الإسلامي في كل من : البرتغال وابطاليا والبرازيل ، ثم أصبح مشرفا عاما للنشاط الإسلامي في أمريكا اللاتينية .
- عين وكيلا لوزارة الأوقاف لشئون الدعوة ، ثم وكيلا أول للوزارة ، كما انتخب نائبا للأمين العام للمجلس القارى لمساجد أوروبا .
- حاصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي ( الدينى ) وعلى الدبلوم من معهد اللغات الشرقية من جامعة ساو باولو في البرازيل ، وعلى الليسانس من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة .
- زار حوالي ٩٠ دولة في جميع القارات للمشاركة في المؤتمرات الإسلامية ودراسة شئون الأقليات الإسلامية .
- من مؤلفاته : رؤية في مجال الدعوة الإسلامية الداخلية والخارجية ، الأقليات الإسلامية : مشاكل وحلول .





## السؤال الأول

ما هو موقف الاسلام من الرسم والفنون التشكيلية والتصوير الفوتوغرافي ؟

● دار حديث كثير حول موضوع الرسم والتصوير والنحت نظرا لمتطلبات حياتنا المعاصرة ، وما أفرزته من صلات بيننا وبين الغرب .

ولذلك كان عرضنا لبعض الأحاديث الصحيحة ورأى العلماء في دلالتها ، وما انتهوا اليه من حكم شرعى ، قد يقربنا إلى الرؤية الاسلامية فى موضوعنا هذا . يقول رسول الله ﷺ « أن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورين » متفق عليه ، كما يقول : « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذى يضاهى بخلق الله »<sup>(١)</sup> .

وظاهر الحديثين كما يقول فريق من علمائنا يحكم بأغلظ العذاب وأشدّه على المصور ، وذلك هو جزاء من جحد الاسلام وفارقه ، ولكن أصول الشريعة تقضى بأن عقوبة فعل المحرم لا تبلغ أشد العذاب<sup>(٢)</sup> ، ولهذا فان فريقا آخر من العلماء ذهب إلى أن العذاب الشديد انما هو لمن يصور ما يعبد من دون الله تعالى ، وذلك فى الحديث الأول ، أما ثانى الحديثين فيقصد به من يضاهى خلق الله جل وعلا .

يقول فضيلة الامام الأكبر المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين : « ومن يصنع الصور قاصدا أن تعبد من دون الله ، أو يصنعها قاصدا التشبيه فى فعله بخلق الله ، فقد جاء بما لم يفعله الا جاحد ، فيستحق أن يكون من أشد الناس عذابا يوم القيامة » .

وبمقتضى فهم الحديثين على هذا الوجه يخرج من وعيدهما من يصور ما لا يعبد ومن يصور غير قاصد المضاهاة بخلق الله<sup>(٣)</sup> . هذا فيما يتصل بالرسم لكل ذى روح .

( ١ ) صحيح الامام البخارى

( ٢ ) الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٥٨ مختارات من فتاوى ومقالات فضيلة الشيخ محمد

الخضر حسين دمشق ١٩٧١

( ٣ ) المرجع السابق ص ١٥٨

أما ما جاء بشأن التصوير الضوئي ، فالفتوى على جوازه بشروط وهنا يحسن أن ننقل رأى إمامين جليلين فى هذا الموضوع ، الأول رأى فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى الذى يقول بعد أن يبين الفرق بين الرسم باليد والتصوير الفوتوغرافى من ناحية إخراج الصورة باليد ، والذى يميل إلى جوازه فيقول : « فليس بعيدا أن يكون لهذا الفرق أثر فى أن يكون الجواز فى التصوير الشمسى أظهر منه فى رسم أشكال الحيوان باليد مباشرة ، وهذا ما أفتى به حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية الأسبق »<sup>(٤)</sup> . ولفضيلته كذلك رأى فى موضوع النحت إذ يقول : « وأما ما له ظل قائم ( أى النحت ) وكان تام الأعضاء مصنوعا ومما يبقى زمنا طويلا ، ولم تدع إليه مصلحة .. فيحرم اتخاذه بلا خلاف .. فان كان ناقصا بعض الأعضاء الظاهرة فذلك ما يفتى المتأخرون من المالكيين باباحته »<sup>(٥)</sup> .

على أن هناك فتوى أخرى جاءت فى موضوع التصوير صدرت من دار الافتاء المصرية بتاريخ ١١ من مايو سنة ١٩٨٠ تقول بإجازة بعد مقدمة مهدت للموضوع ولما تعرض له علماءنا فى بحثه : « الذى تدل عليه الأحاديث النبوية الشريفة التى رواها البخارى وغيره من أصحاب السنن ، وتردد فى كتب الفقهاء ، أن التصوير الضوئى للانسان والحيوان المعروف الآن ، والرسم كذلك ، لا بأس به متى كان لأغراض علمية مفيدة للانسان إذا خلقت الصور والرسوم من مظاهر التعظيم ، ومظنة التكريم والعبادة وخلت كذلك من دوافع تحريك غريزة الجنس أو اشاعة الفحشاء أو التحريض على ارتكاب المحرمات ، وجاء فى نفس الفتوى عن حكم النحت والحفر : « أما النحت والحفر الذى يتكون منه تمثال كامل أو حيوان فحكمه الحرمة »<sup>(٦)</sup> . وللإمانة العلمية فى نقلى واقتباسى أود أن أنكر ما قاله فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين فى شأن التصوير ناقلا هو الآخر عن بعض أهل العلم ، يقول رحمه الله تعالى : « ومن أهل العلم من يرى أن النهى عن اتخاذ الصور قد جاء فى أول الاسلام عاما ليقطع الوسيلة إلى عبادة الأصنام » ، وبعد أن تقرر هذا الحكم وعرف الناس شدة مقت الشارع للتعالى فى تعظيم غير الله إلى حد العبادة « أذن فى اتخاذ ما كان رقما فى ثوب ، فيكون حديث ( الا رقما فى ثوب ) مرخصا فى بعض ما حرم فى أول الأمر من التصوير » .

وإذا تأملنا العبارات السابقة ، ثم حللنا مدلولها وإشاراتنا ، فان ذلك يقتضى منا وقفة .. لنبدأ مرحلة جديدة من كلام مفيد .. هذا الكلام المفيد يهيب بنا أن ندرك أن الانسان ، والعقل ،

( ٤ ) المرجع السابق ص ١٦١

( ٥ ) الاسلام صالح لكل زمان ومكان ص ١٦٦

( ٦ ) نشرت فى الفتاوى الاسلامية ج ١٠ ص ٣٤٥٣ ونقلت فى كتاب بيان للناس ج ٢ ص ١٦٦ ، ١٦٧

( ٧ ) المرجع السابق ص ١٦٧

والعصر ، والتطور ، أركان أربعة ، يستوحىها الباحث في فكره ، وعلى قواعدها يقوم رأيه ،  
ومرجعنا كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ، - وما أوسع وأعمق ما فيهما - تقودان وتبصران ..

فهل ندرك .. ويدركون ؟ وذلك حتى نوفر وقتنا وجهداً وفكراً نتحقق به نهضةً ننتظرها  
وتنتظرنا ، فيشير إلينا الناس قائلين : هذا هو الإسلام .. وهؤلاء هم المسلمون .

## السؤال الثانى

ما هو موقف الاسلام من المسرح والسينما ؟

● من القضايا التى جددت فى حياتنا ، ولها تأثيرها فى الأفراد والمجتمعات قضية المسرح والسينما باعتبارها رافدا من الروافد الثقافية والتربوية والترفيهية ، التى تصوغ وجدان الانسان فى أحيان كثيرة ، ولها أثرها فى تشكيل جوانب كثيرة من اتجاهنا الفكرى والعاطفى .

والاسلام يفتح الطريق أمام كل رافد ، يرحب ولا يضيق به ، بل ولا يضيق عليه ، شريطة أن يكون قد أدى ما يعرضه بصدق من موضوعات ومواقف واستهدف به الصالح الذى ترقى به حياتنا وأفكارنا ، مع تقديم ما سيؤدى بوسيلة مشروعة - موضوعا ومعنى ، صوتا ونظرة ، لباسا وحركة - والا فان الاسلام يرفضه لأن العمل أصبح صورة أو رواية جنحت إلى الكذب ، ومالت إلى الاضلال والضلال ، والاسلام يبرأ من ذلك ، لأن العمل حينذاك لم يخرج عن كونه خبرا كاذبا ، وان قدم فى ثوب فنى جديد ، وأسلوب حديث ، بينما الاسلام دعوة إلى الصلاح والاصلاح - تنقيفا وتربية ، خلقا وسلوكا ، بل واستمتاعا بالحياة - كل ذلك فى اطار من أدب الاسلام وتوجيهه .

وقد يتناول التمثيل شخصية ما مسرحيا أو سينمائيا - وهنا تنبغى التفرقة فان كان الموضوع يتصل بشخصية عادية فما سبق يوضح الرأى فيه ، أما ان كانت الشخصية لها مكانتها الدينية الكبرى كالأنبياء عليهم السلام ، والخلفاء الراشدين ، ومثلهم صحابة رسول الله ﷺ ، فان الوضع يقتضى توضيحا ، فالأنبياء هم الأسوة العظمى ، ولقد بعثهم الله تعالى ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، والخلفاء الراشدون علمنا نبينا ﷺ أن نستن بسنتهم حيث قال فيما رواه الترمذى : « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » .

أما الشخصيات التى عرفنا من صحيح تاريخها ، ووزنها الدينى والعلمى وسلوكها الخلقى الراشد ، حتى أصبحت هى الأخرى تشكل فى حياتنا أمثلة ونماذج لأنها فى وزنها قمة ، قولا وعملا ، عادة وعبادة أقول - ان كل هؤلاء إذا قدموا - تمثيلا مسرحيا أو سينمائيا - فلن يبلغ

تقديمهم الحقيقة مطلقا - قولا كان ما يؤدي أو تمثيلا - ( كما شهد بذلك خبراء التمثيل الذين أخرجوا أفلاما عن بعض الأنبياء<sup>(١)</sup> ) .

ان المناخ الروحي الرائع الذي تعيشه تلك الشخصيات مع ربها ، والذي ينعكس - قطعا - على اختيارها لما تنطق به من عبارات ، وما يصدر عنها من تصرفات أو سلوك حركي ، وما يحتويه داخلها من انفعالات كريمة حميدة ، فكرية وقلبية .. الخ مما أتاها من فضل ربها وحيا كالأنبياء ، أو تأييدا والهاما كالصحابة والعابدين من العلماء والعارفين رضى الله عنهم .

- هذا المناخ الروحي - وحصاده ، أيمن لممثل مهما بلغ اتقانه للأداء ، أن يشعر باحاسيس تلك الشخصية وما تعيش به وفيه من مناخ روحي ملهم ذي صلة وثيقة بالله جل وعلا ؟ أيمن للوهج الروحي وومضات النفس المطمئنة أن تؤدي تمثيلا ؟ ان الأمر سينتهي بالممثل إلى تقديم خبرا أو صورة قصرت عن ايراد الحقيقة حول شخصيات لا تحتل مكانتها كذبا أو تكذيبا ، لأن الصورة التمثيلية لن تحمل من الصدق الذي لا شائبة فيه من كذب والحق الذي لا يعرف الباطل اليه سبيلا وحينئذ سنقع في محذور الكذب والاسلام لا يقر ذلك . يقول رسول الله ﷺ : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخاري ومسلم .

كما يقول المصطفى صلوات الله عليه وسلامه : « الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه » رواه الترمذي في صحيحه وابن حبان .

هذا وقد أخرجت دار الافتاء المصرية فتواها بشأن تمثيل شخصية نبي من الأنبياء أو زوجه أو ولده أو والده أو والدته فأجاب المفتي حينذاك فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق بتاريخ ١٧ أغسطس سنة ١٩٨٠ بهذه العبارة « عصمة الله لأنبيائه ورسله من أن يتمثل بهم شيطان ، مانعه من أن يمثل شخصياتهم انسان ، ويمتد ذلك إلى أولادهم وفروعهم وزوجاتهم وصحابة رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> .

كما جاء في فتوى لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله تعالى بتاريخ ٧ من مايو سنة ١٩٥٠ أنه « اجاز إخراج فيلم عن الاسلام بشرط عدم التعرض لأي موقف للرسول ﷺ ولا لأي أحد من آله وخلفائه بحيث لا تظهر فيه صورة أو يسمع صوت لأي واحد من هؤلاء<sup>(٣)</sup> .

(١) بيان للناس أخرجه الأزهر الشريف ح ٢ ص ٣٤٠ مطبعة الأزهر - القاهرة .

(٢) الفتاوى الاسلامية المجلد العاشر ص ٣٥٣٤ اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية من عهد الاستاذ الدكتور/ زكريا البري رحمه الله تعالى حينما تولى وزارة الأوقاف ورئاسة المجلس

(٣) المرجع السابق ص ١٢٩٧

وفى شهر ذى القعدة سنة ١٣٩٧ هـ - أكتوبر سنة ١٩٧٧ م أقر المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية ما أقره المجمع من قبل « من عدم انتاج فيلم يتناول بالتمثيل صاحب الرسالة أو أحد أصحابه الكرام ، ولا يجوز السماح بعرضه ، صيانة لشخصية الرسول الكريم وأصحابه الأجلاء من التعرض لما لا يليق بمنزلتهم المصونة . »

ومما تجدر الإشارة اليه أن التصوير السينمائي ينطبق عليه ما ينطبق على ما سبق أن قيل بشأن التصوير الضوئي - الفوتوغرافي - حلا وحرمة عندما تعرضنا لموقف الاسلام بالنسبة إلى الرسم والتصوير .

اننى أتصور أنى سأسمع هممة تقول : فلننتقل نصور ما نشاء لمن نشاء ، أليس الغرب وهو عقل حضارة اليوم صنع ذلك ؟ وأقول : إذا كانت مبتكرات الغرب تشكل تحديا كبيرا لنا ، فان الواجب علينا الا نتهم ديننا ، ونعتبره مسئولا عن وضع نحن فيه ، ولنسأل نحن أنفسنا ، ولماذا لا نجتهد لكي نصعد إلى المستوى العالمى ولا نتخلف فى انتاجنا - أخذنا وعطاء دون انطواء أو تعقيد يصرفنا عن الاستفادة ودون شعور بالنقص يدفعنا إلى قبول كل شيء قبولاً تتلاشى به شخصيتنا ( وأريد مقومات عقيدتنا ) ونذوب فى بحر الحياة المتلاطم ، ومن قبل يحدثنا التاريخ عن أجيال لم تستطع أن تقابل تحديات الحياة ، فجرفتها ، الحياة . وربنا يحدثنا فيقول :

﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْاْ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (٤) ، (٥) .

وحتى لا تكون حياتنا أمام كل جديد جدلا هادرا يصم ولا يهدى ، وكى لا تصدق علينا مقالة سيدنا عمر - رضى الله عنه - ... « إذا أراد الله بقوم سوءا رزقهم الجدل ، ومنعهم العمل » (٦) . فان علينا أن نوازن فلا نفتن بالشاطيء الغربى فهناك أيضا اليابان وما حولها بالشاطيء الشرقى ... ! ولماذا نبدأ دائما رحلتنا بمعارك كلامية ، ومباريات جدلية .

ان ساعات العمل يجب أن تمتد حتى لا نمد الأيدي ... ذلك هو الأبقى ، والله تعالى يقول :

﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ ﴾

( ٤ ) سورة محمد : الآية ٣٨

( ٥ ) مواقف اسلامية أ . د/ عبد العزيز كامل رحمه الله تعالى ص ٥٥

( ٦ ) رواه زيد بن مسلم من المغنى ج ٢ ص ٤٩٨ ط جامعة محمد بن سعود ( الرياض )

وينبغي أن نجود ما نؤديه كذلك ، فرسولنا ﷺ يقول - فى حديث يحث على العمل - ...  
ولكن الله يحب إذا عمل العمل أن يحكم .

لا تظلموا تاريخا مجيدا ، وحضارة عظيمة ونماذج هادية ، لا تقطعوا مسيرة الأيام الماجدة  
ودعوها تعبر الطريق إلى حاضركم ، لا تقولوا الغرب أو الشرق ، بل قولوا الوعى والوعى ،  
فهو آلة اليقظة ، ونداء الصحوة الحقة ، حذار أن تأخذكم من ذاتكم قصيدة حالمة ، أو جدل  
خادع ، ومرحبا بالجديد الآتى إذا اتصل بنسبنا الحضارى ، ونعم للماضى عبرة لنا ... ويا أولى  
الألباب ان عملا واحدا خيرا فى الميزان من ألف كلمة ... أفيقوا واسمعوا .

## السؤال الثالث

ما موقف الاسلام من الموسيقى والغناء ( أداء واستماعا ) ؟

● قضية الموسيقى والغناء من القضايا الحيوية التي شغلت بها الحياة قديما وحديثا ولا بد وأن تكون كذلك . وإذا ما عرفنا أن موضوعها : يتصل من نواح كثيرة بالغرائز الانسانية - اثاره وتحكما - أدركنا حينئذ أنها لا تنفك عن حياتنا تأثيرا وأثرا ، ورضى الله تعالى عن الامام ابي حامد الغزالي حيث قال في مقدمة « باب السماع » من كتاب احياء علوم الدين : « ... فإن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ومعادن الجواهر فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها أو مساوئها »<sup>(١)</sup> . ثم يقول كذلك : « ومن أحاط بعلم علاج القلوب ، ووجوب التلطف بها ، لسياقتها إلى علم الحق ، علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه »<sup>(٢)</sup> . ومن هنا نعلم كيف أصبح الغناء والموسيقى - وهو ما يطلق عليه الامام الغزالي « السماع » له أهميته في الصحة النفسية ، وأنه وسيلة من وسائل التربية ، وحينئذ تكتمل للانسان تربية صحية ونفسية وفكرية . ولقد نبه فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى إلى أن « تعليم الموسيقى وسماعها يتصل بالغرائز التي تستهدى ما يلذها ويشبع رغبتها .. »<sup>(٣)</sup> . وهنا ينبغي أن أذكر بأن آداب الشريعة وقواعدها رسمت حدود تلك الرغبة ، وجعلت لآفاقها اطارا ، فلم تتجاهل الغريزة ومتطلباتها ، ولم تطلق لها العنان جامحة ، بل حكمتها وقادتها إلى شاطئ السلامة ، فلا ضرر ولا ضرار ولا لغو ولا تأثيم ، ولا عدوان على ما شرعه الله تعالى - حلا وحرمة - فلنا أن نستمتع وفي آذاننا وعقلنا هذه المقولة : « أحرار داخل اطار » .

وقد يصيح قوم من الذين يظلمون الحرية يقولون : كيف نعيش وراء أسوار ذلك الاطار ؟ وليتهم يعرفون أنه اطار يحمى ولا يحجر ، اطار حنان لا سجان ، صنعة قرآنية نبوية ،

( ١ ) احياء علوم الدين - الامام الغزالي ج ٢ ص ٢٣٧ طبعة دمشق

( ٢ ) المرجع السابق ص ٣٥٣

( ٣ ) الفتاوى ص ٣٧٥ - ٣٨٥



والقرآن شفاء ورحمة ، والنبي بالمؤمنين رؤوف رحيم ولعلمهم علموا الآن طبيعة ذلك الاطار ،  
 لن نحرم أنفسنا من متاع الدنيا . يقول ربنا - عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا  
 يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٤) .

ان من يحل حراما هو به كمن يحرم حلالا ، فلنحذر أن نحل ما حرم الله ، حيث نعى على  
 قوم هذا الاتجاه فقال :

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا  
 لِيُؤْطَعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الْكَافِرِينَ ﴾ (٥) .

اننا حين نستمع إلى حديث سيدنا رسول الله - ﷺ وهو يصف لنا ما فى جنة الله تعالى ،  
 التى هياها بفضلها للمتقين ، ومن ارتضاهم ، فيقول : « ... فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن  
 سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » متفق عليه ، نعلم أن فى الآخرة ما يطيب للأذن أن تسمعه ،  
 لأنها فى دنياها كانت تستطيب ما تسمع ، فالسماح اذن حاجة للإنسان ومطلب دنيا وآخرة .

ولكن ماذا نسمع ؟ وكيف نسمع ؟ ومن نسمع ؟ تلك هى القضية . وحقيقة فان تصانيف  
 كثيرة ، ذكرت كلاما طويلا ، وبسطت نقاشا محتدما ، وخلافا عريضا بين علمائنا وفقهائنا فى  
 الرأى والحكم حول قضيتنا هذه ، وقد تولى القاضى أبو بكر الطبرى رواية أقوال فى هذا عن  
 أبى حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وسفيان الثورى ، وحماد ، والشعبى ، أما أبو طالب المكى  
 فقد نقل هو الآخر أقوالا ومواقف لبعض الصحابة - رضى الله عنهم - والسلف الصالح<sup>(١)</sup> .  
 وحتى لا ندخل فى غابات كثيفة من الأقوال حول تلك القضية ، فاننا نطمئن إلى الفتوى التى  
 حررها فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - حفظه الله تعالى - حينما كان  
 يتولى منصب الافتاء فى مصر سنة ١٩٨٠ ، والتى صدرت بالمجلد العاشر ص ٣٤٥٩ من  
 الفتاوى الاسلامية التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، تلك الفتوى التى قدم لها  
 بما نقله عن الأئمة من علمائنا وفقهائنا قديما وحديثا ومنهم : ( ابن الفيسرانى ، والنابلسى ، وابن

( ٤ ) سورة المائدة : الآية ٨٧

( ٥ ) سورة التوبة : الآية ٣٦

( ٦ ) احياء علوم الدين - الغزالي ج ٢ ، ص ٢٣٧ ، طبعة دمشق

حزم ، والغزالي ، والشوكاني ، والقشيري ، والقرطبي ، والبخاري ، وابن عبد السلام ،  
 ومحمود شلتوت ( ، شارحا لأقوالهم ومعلقا على آرائهم ، ومن قبل ذلك وقف الامام الغزالي  
 أمام أقوال أئمة وعلماء ثم قال : « ... ومن طلب الحق في التقليد - أى تقليد العلماء فيما قالوا -  
 فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل ، فيبقى متحيرا أو مائلا .. بل ينبغي أن يطلب  
 الحق بطريقه ، وذلك بالبحث ... » (٧) .

ثم نعود إلى الفتوى التي يقول فيها فضيلته موجزا : « ... وعليه فالقول بالتحريم على وجه  
 الاطلاق خال من السند الصحيح ، قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَرُّوا عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ ۗ ﴾ (٨)

وكذلك القول بأن التحريم من باب سد الذرائع ، أو من باب أن نردء المفساد مقدم على جلب  
 المصالح ليس مقبولا ، فالموسيقى ليس الشأن فيها دائما أن يصحبها الخمر وغيره من  
 المنكرات ...

ووقوفا عند حد الوسط من الأقوال ، يخيل إلى أن سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها  
 أيا كانت آلتها من المباحات ، ما لم تكن محرمة للغرائز ، باعثة على الهوى والغواية ، والغزل  
 والمجون ، مقترنة بالخمر والرقص والفسوق والفجور أو أية وسيلة للمحرمات ، أو أوقعت  
 فى المنكرات أو ألهمت عن الواجبات ،

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ ﴾ (٩) ، (١٠) .

ولقد وقف الامام الغزالي الذى طبقت شهرته آفاق الفكر الاسلامى - علما وخلقا وسلوكا -  
 ليرد على مواقف للبعض ممن ذهبوا إلى تحريم السماع مطلقا ، وكان أمينا فى منهجه ، فقد  
 ذكر أقوال هؤلاء ، وما استندوا اليه ، ثم أعلن رؤيته ، وما اطمأن اليه من حكم ، وهو التقى

( ٧ ) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٢٣٨

( ٨ ) سورة النحل : الآية ١١٦

( ٩ ) سورة الأعراف ، الآية ٣٢

( ١٠ ) راجع بيان للناس : ج ٢ ص ٣٢٤

الورع ، والعاقد الزاهد العارف . لقد ثبت لديه أن بعض ما استندوا اليه من أحاديث غير صحيح .

ثم كشف البعض أن أحاديث أخرى استند اليها هؤلاء اما منكراً أو سندها ضعيف ، أو ليس لها أصل ، أو فيها اضطراب .

ثم أخذ الغزالي يناقش ما قالوا ، ثم يعطى تفسيراً للآية أو الحديث يتسع به العقل وتستقر اليه النفس ، ويستبين به الحلال والطيب من الرأى ، وتأمل نمونجا يكشف لنا عن عقلية ذلك الامام الجليل ، مما رد به على الذين حرموا السماع مطلقاً مستندين إلى قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ (١١)

مفسرين « اللهو » بالغناء . وأجاب على ما قالوه بأن شراء لهو الحديث بالدين استبدالاً به ليضل عن سبيل الله ، حرام مذموم وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين ومشتري به ومضلا عن سبيل الله ، فلو قرىء القرآن ليضل عن سبيل الله لكان حراما ، كما روى أن عمر - رضى الله عنه - هم بقتل منافق كان يؤم الناس فى الصلاة ، ويحرص على قراءة سورة « عبس » لما فيها من عتاب الرسول ﷺ لو نتأمل ما يصف به الغزالي من لا يحس أثر الغناء فى قلبه يقول : « البليد الجامد القاسى القلب هو المحروم من لذة السماع » (١٢) كما ينكر - رضى الله عنه - « أن اللهو - الذى خلا من محرم - دواء للقلب من داء الاعياء والملال فينبغى أن يكون مباحا » . وعلى هذا فان « السماع » كما يقول : « من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت طيب موزون مفهوم ، وانما تحريمه لعارض - أى لأمر تجاوز به ما حددته الشريعة خارج عن حقيقة ذاته » (١٣) . وبعد فهل يمكن لمسلم فى العالم الاسلامى أن تهتز ثقته فى شخصية الامام أبى حامد الغزالي ، عقيدة ، وعبادة ، وعلماء .. أرايتم كيف كان حرصه على ألا يحرم حلال الله ؟ وأن يبسر على الناس - بعلمه - شئون حياتهم ويخفف من همومهم ، لا تجعلوا الناس يفرون من دين الله .. وافقهوا سيرة رسول الله ونهج حياته .

لقد كانت سنته الاعتدال ورعاية ضعف الانسان وحاجاته الحياتية ، ما لم تكن اثما ، واسمعوا تحذير النبى ، فماذا قال : « ... فمن رغب عن سنتى فليس منى » . متفق عليه .

( ١١ ) سورة لقمان : الآية ٦

( ١٢ ) احياء علوم الدين - الغزالي ج ٢ ص ٢٥١ طبعة دمشق

( ١٣ ) المرجع السابق : ص ٢٤٧

دعوة للناس بصدق وتحذير برفق ، يا أيها الناس هذه هي السنة فهل نعي هدى رسول  
كريم؟! واسمعوا وصف ربه له :

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ  
رَّحِيمٌ﴾ (١٤) .

## السؤال الرابع

ما هو موقف الاسلام من : الرياضة ومسابقاتها ؟

● ديننا مع الحياة فهما وسماحة ، لا يضيق واسعا ، ولا يمنع خيرا للفرد أو المجتمع ما دأب قد روعى فيما نستمتع به من الحياة ألا يكون فى شريعتنا شرا ، أو يؤدى إلى ضرر ، ومن هنا كانت القاعدة الفقهية : ( لا ضرر ولا ضرار ) .

فالرياضة إذا ما أريد بها أن يعتاد المسلم خلق الصبر ، وفضيلة التحمل والمقاومة أو يقوى وسائل أدائه ، وقيامه بما تتطلبه الحياة منه صحة بدنية ونفسية - فلا بأس بها ، يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعْتَجَرَ الْقَوِيَّ الْآمِنُ ﴾ (١) .

كما يحدثنا رسول الله ﷺ فيقول أمرا الطائفين حول الكعبة بالاسراع فى الأشواط الثلاثة الأولى : « أرملوا » ليرى المشركون قوتهم - رواه البخارى .

كما يقول : « المؤمن القوى خير وأحبُّ عند الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » أخرجه أحمد ومسلم . والاعداد والقوة يقتضيان رعاية الجسم ، والعناية به تدريبا وتمرينا ورياضة . والأمر الذى لا ريب فيه أن كل ذلك يمكن أن يتحقق حلالا نطمئن اليه ، إذا ما راعى المسلم ألا يكون هناك تجاهل لما توجبه عليه آداب عقيدته أو تعرض الآخرين للأذى أيا كان مصدره . فالرياضة والمسابقة بهذه الصورة مباحة لا ترفضها شريعتنا ، مثل المشى والجرى سواء كانت بين شخصين أو حيوانين ، وكذلك المسابقة بما يرمى به من أسلحة سهما أو رمحا أو غيرها ، أو يقذف به من ثقل ، أو سباحة أو المبارزة غير الدامية شريطة ألا نوجه سلاحنا إلى كل ذى روح بقصد التعذيب أو القتل . يقول ابن عمر - رضى الله عنهما - ان رسول الله ﷺ قال : « لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » متفق عليه . وعن ابن عمر - رضى الله

( ١ ) سورة القصص : الآية ٢٦

عنهـما - قال : قال رسول الله - ﷺ : « ما من انسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها الا سألته الله - عز وجل - عنها ، قيل : يا رسول الله وما حقها ؟ قال : تدبـحها فتأكلها ... » رواه النسائي وصححه الحاكم . وعلى أن يراعى فى السباحة وغيرها من المسابقات الرياضية الأخرى ألا تشمل أو تؤدى إلى منكر محرم - كل هذا جاءت اباحتـه صريحة لا خفاء فيها . فقد تسابق رسول الله - ﷺ - مع السيدة عائشة - رضى الله عنها ، كما سابق بالخيل وكذلك فعل صحابته رضى الله عنهم ، وكان عبد الله بن عمر من هؤلاء ، وبهذا انعقد الاجماع على حل المسابقة . تقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها : « سابقت النبى - ﷺ - فسبقته ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقنى ، قلت : هذه بتلك » . رواه البخارى . كما يقول ﷺ : « عليكم بالرملى فانه خير لهوكم » رواه البزار والطبرانى . وتقول السيدة عائشة : « لقد رأيت رسول الله - ﷺ - يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم - وهو نوع من الرياضة - فى مسجد رسول الله - ﷺ - وهو يسترنى بثوبه أو بردائه لكى أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذى أنصرف » رواه مسلم وفى رواية أخرى زيادة : فزجرهم عمر ، وفى رواية : دعهم . ياعمر ، وفى أخرى : دونكم يابنى أرفده - أى العبوا يابنى الحبشة ... » (٢) .

ويكفيـنا مئونة تحليل ما ورد فى ذلك الحديث بشأن اللعب - ومنه الرياضة - ما قاله الغزالي رضى الله عـه : « الأول : اللعب - أى جوازه - ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب .

**والثانى :** فى فعل ذلك فى المسجد - واليوم أعددتنا أمكنة للألعاب الرياضية .

**والثالث :** قوله : « دونكم يابنى أرفده » التماس اللعب وأمر به ، فكيف يكون حراما ؟

**والرابع :** منع رسول الله - ﷺ - عمر من الانكار والتغيير .

**والخامس :** وقوفه طويلا فى مشاهدة ذلك وسماحه لموافقة عائشة - أى حينما طلبت أن تشاهد وقتا أكثر - وفيه دليل على أن حسن الخلق فى تطيبب قلوب النساء بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتشغف فى الامتناع والمنع منه » (٣) .

وقد يكون هناك رهان فى المسابقة ، ولهذا النوع من المسابقة شروطه التى تتلخص فى أن يكون المال أو الجائزة من الدولة أو إدارة المؤسسة التى أقامت المباراة أو نظمتها أو يتبرع بالمال أو الجائزة أحد المتسابقين للفائز منهما ( اثنين أو جماعة ) على أن يأخذها من فاز ،

( ٢ ) راجع بيان للناس جـ ٢ ص ٥٠٦ - ٥٠٧ مطبعة الأزهر - القاهرة

( ٣ ) احياء علوم الدين - الغزالي جـ ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ طبعة دمشق

ولا يغرم من لم يفز في المسابقة ، ولقد أجاب أنس رضى الله عنه : حينما سئل أكان رسول الله - ﷺ - يراهن ؟ قال : « نعم والله لقد راهن على فرس يقال لها سبحانه فسبق الناس ، فهش لذلك وأعجبه » رواه أحمد<sup>(٤)</sup> . وعلى ذلك فإن المباريات الرياضية التي تكون بين طلاب الجامعات والمدارس أو لاعبي النوادي جائزة بل مستحبة ما دامت قد روعي فيها أنها تحقق غرضا نبيلًا ، وهدفًا ساميًا ولا تتعارض مع ما أوصت به شريعتنا ( موضوعًا ووسيلةً وغايةً ) فلا تتحول إلى عرى أو قمار أو اضرار بالنفس أو الغير أو تعذيب للطائر أو الحيوان ...

ان علينا أن ندير حوارًا مع أنفسنا لنعلم بعد هذا التوضيح ما يجوز وما لا يجوز ثم نحدد بعد ذلك ما سيكون عليه سلوكنا في قضية الرياضة ومسابقاتها ، ذلك أن حلالنا وحرامنا من كتاب الله تعالى - كما يقول الامام جعفر الصادق - رضى الله عنه - ومعه سنة رسولنا - ﷺ - شرحًا وتوضيحًا ، والجهد الفكرى الرائع لعلمائنا وأئمتنا . وعلينا ألا نسارع بتحليل أو تحريم قبل أن نقرأ ونحلل ذلك . ان تحريم الحلال هو فى الاثم كتخليل الحرام ، فلا خلط ولا ابهام أو ابهام .

وبعد ..

فلقد كان مما رواه أبو داود عن ابي سعيد الخدرى من دعاء سيدنا رسول الله - ﷺ - « اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، « ذلك أن الحياة اليوم لا تتحمل أن ننظر اليها بعين واحدة ، ثم تعمى الأخرى عن الحياة وما فى الحياة .. وحتى ننطلق لابد من أن تكتمل الصورة أمامنا ، فأعراف الامس ليست هى عادات وأعراف اليوم .. فلتكن لنا عينان .. كما أن عالم اليوم لا مكان فيه للقاعدين ، ذلك أن من حولنا يتسابقون فيسبقون ، والخيار تكون أو لا تكون ، وقد حكم الله أن لا يستوى القاعدون والعاملون ، يقول جل وعلا :

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۗ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۗ ﴾<sup>(٥)</sup>

وصراع الوجود أصبح يفرض علينا أن نكد ونعرق ، والعزة التي كتبها الله تعالى لنا فى قوله :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> .

( ٤ ) المرجع السابق

( ٥ ) سورة النساء : الآية رقم ٩٥

( ٦ ) سورة المنافقون : الآية رقم ٨

توجب علينا أن نأخذ بأسبابها ، والعافية وصحة البدن آلة ذلك ، وبهذا تصبح الرياضة وسيلة من وسائل عزة بلدك وأمتك ، والانسان في قضية العرة هو القلب إذا صلح صلح به كيان الأمة ، ويأبى الله لك إلا أن تكون صالحا قويا لأنك من الأمة الخيرة .

فهل نسمع ويسمعون ... دعاء ونداء .



## السؤال الخامس

لماذا لا يقر الاسلام نظام التبني رغم أنه ينقذ الطفل المتبنى من الضياع ويلبى حاجات الآباء المتبنين ؟

● اسلامنا رحمة ورأفة ، اختاره الله جل وعلا ليكون دين العالمين ، كما اصطفى رسوله محمد - ﷺ - ليكون خاتم النبيين ، يقول الله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١)

كما يقول جل شأنه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وبهذا الفهم يظل عطاء الاسلام الانسانى موصولا ، فهو مع الانسان ، وفى كل المواقف ، هداية ونورا ، برًا ورعاية .

ولقد وُجِّه رسولنا ﷺ إلى الرحمة خلقا وسلوكا ، فكانت أحاديثه ومواقف حياته ، شاهد صدق على أن ما أنزل عليه من ربه ، وما أتى به هو الرحمة المهداه ، وكان الاسلام فى اختياراته وتوجيهاته متوازن الموقف فلا يغلب عاطفة كما أنه لا ينساها ، ولا يهمل عقلا ومنطقا وله أن يبصره بالخير ، ويعرفه حدود الحقيقة . من أجل ذلك فقضية « التبني » جاءت بموازين الاسلام ومقاييسه فلم يمنع رحمة ولم يرفض اتباع عاطفة نبيلة ، ليحقق رغبة الأبوة لدى انسان نبيل ورحيم ، فى اطار من احترام العقل والحقيقة . فما يجوز أن ينسب ولد لغير أبيه .

( ١ ) سورة المائدة : الآية ٣

( ٢ ) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧

يقول الله تعالى :

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ  
مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ  
وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۚ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ ۚ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ  
فَمَا خُونَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ  
قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ (٣) .

ولنتأمل الآية كيف مهدت عقليا لحكم يحترم الحقيقة . ان الآيتين هنا تبيينان أولا الاستحالة العقلية في أن يكون للانسان قلبان ، أو أن تكون الزوجة أما لزوجها حين يظهر منها ويحرمها على نفسه ، وكان هذا البيان مقدمة لاستحالة أخرى هي التبنى بالشكل الذي كان عليه الحال في التقاليد والشعائر فيما قبل الاسلام ، وفي الاسلام حتى السنة الرابعة أو الخامسة من الهجرة ولهذا جاء التطبيق العملي للتوجيه القرآني .

فأصبح زيد الذي تبناه رسول الله ﷺ قبل النبوة وكان يدعى بـ « زيد بن محمد » ينادى بعد نزول الآية باسم أبيه الحقيقي « زيد بن حارثة » ، وهكذا تغير الموقف في رؤية الاسلام وبعد نزول الآية إلى موقف أفسط أى أعدل حكما . تقول الآية الكريمة :

﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ ﴿

ان الرحمة ما ينبغي أن تحصر ، أو أن يحدد عطاؤها أو لا تكون الا لابنك الحقيقي فحسب ، ذلك أن الرسول - ﷺ - حينما يقول : « انما أنا رحمة مهداه » رواه ابن عساكر ، وحين يبحث على اتخاذ الرحمة اتجاها ومنطلقا قائلا : « للراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » رواه أبو داود والترمذي - و « لا تنزع الرحمة الا من شقى » ، رواه أبو داود - انما يريد منا أن تكون رحمتنا وبرنا بالانسان باعتبار انسانيته انتسب اليها أم كان بعيدا عنا .

( ٣ ) سورة الأحزاب : الآيتان ٤ - ٥

فالإسلام رحمة للعالمين جميعا . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - .  
 كافل اليتيم له أو لغيره ( أى قريبا له أو غير قريب ) أنا وهو كهاتين فى الجنة ، وأشار  
 الراوى وهو أنس بن مالك بالسبابة والوسطى ، رواه مسلم . ألسنا أبناء أب واحد ، وحواء أمنا ،  
 وحين جاء الإسلام أضاف أخوة العقيدة إلى أخوة الدم .

وهنا يجب أن نوضح مسميين فقهييين حتى لا يختلط علينا الفهم وهما ( التبنى واللقيط ) .

فالتبنى حقيقة هو استلحاق رجل لولد - ذكر أو أنثى - معروف الأب أو مجهوله مع التصريح  
 بأن هذا ولده والحقيقة أنه ليس ولده ، وهذا يحرم قطعا لقوله تعالى :

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَ الْوَالِدِ اللَّيْتِمِ تَطْلُهُنَّ  
 مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ  
 وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾

أما إن كان بمعنى ضم طفل اليه ( رحمة وتربية وتأهيدا كريما واعيا للحياة ) دون أن يلحق  
 نسبه به فذلك هو الإسلام والخير والانسانية .

أما اللقيط فهو من لا ينسب إلى آخر وليس هناك من يتكفل به لصغره أو لمرضه ولهذا ترعاه  
 الدولة ، ذلك أن تضييعه دون وزر اقتترفه ظلم حرمه الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾

ومن يدرى فقد ينفع الله به عبادته ، ويفتح به أبوابا للخير لأمته ، ولهذا عنى الإسلام باللقيط  
 وأوجب له حقوقا تكفل له الرحمة و التربية حتى لا يضل الطريق .

من هنا فان لنا أن نتخذ من نشاء من ولد - أنثى أو ذكر معروف النسب ( يرضى بذلك أهله )  
 أو ولد مجهول تسمح الدولة باتخاذة تبنيًا وتجعله بمنزلة الابن حنوا وعاطفة ورعاية ( لا نسبا )  
 فنلك مثوبة ومكرمة وانسانية ومرحمة .

لقد دعا الإسلام إلى التواد والتراحم والتضامن ورغب فى ذلك إلى حد أن جعل الكلمة الطيبة  
 صدقة ، وتبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأن تعلم صنعة لمن لا يعلمها حتى تعينه على أن  
 يجد رغبته صدقة ، فما بالك بمن ضم اليه طفلا ، فأواه وأشعره حب الاسرة ورعايتها ، وأنفذه  
 من برائن الحاجة والجهل والصياغ ، ورباه فأحسن تربيته حتى جعل منه المسلم الصالح

والمواطن الفاضل ، ولذا فلا بأس أن نتبناه ( تربية وعاطفة فحسب ) إذ جاء في فتوى فضيلة المفتي الصادرة من دار الافتاء المصرية في ٢٧ مارس ١٩٧٩ « .. إن الاسلام حريص في تشريعه على أن يكون الطفل الانساني نتيجة صلة مشروعة هي عقد الزواج بين الرجل والمرأة واللقيط المتبنى هنا ليس كذلك وأذن فلا بأس بالتبني بهذا المفهوم الذي يحبه الله والذي يشبع عاطفة الأبوة ولا يحول بين الرجل وبين أن يمنح من يختار حبه ووده لا اسمه ونسبه . بل ان المسلم مطالب بأن تمتد آفاق رحمته وبره إلى الحيوان حتى لا يهلك وإلى النبات حتى يستوى على عوده وينتج بل وإلى الجماد حين تميط الأذى عن الطريق فيجمل الطريق ولا يقبح ويتسع ولا يضيق . وكان بعض العابدين يضع شيئاً من الخبز قرب بيت للنمل وحين سئل أجاب « انهن جارات لنا » . فالرحمة ثوق أنها جمال في العادات هي في جوهرها مقصد العبادات . ولكن أن يلحق الولد بغير أبيه وننزع عنه اسم الأب الحقيقي ليصبح له اسم أب آخر ، مثبتين له كافة الحقوق الشرعية التي للابن الحقيقي فذلك هو ما نسخته الآية الكريمة ، وما حرمة الاسلام بنص قاطع في القرآن الكريم وهو المصدر الأول للأحكام الشرعية .

وقد جاء في فتوى لدار الافتاء المصرية بتاريخ ٢٠ من ديسمبر ١٩٧٩ ما خلاصته : « ان التبني بمعنى استلحاق شخص معروف النسب ونسبته إلى ملحقه مع التصريح من هذا الأخير بأنه يتخذه ولدا له حال أنه ليس بولده حقيقة ، ان التبني بهذا المعنى أمر محرم في الاسلام وقد يكون مسمى التبني كذلك - عطا ورعاية وتربية فقط - من باب « اطلاق العبارة لا اثبات الحكم » كما يقول الفقهاء مما يمكن أن نطلق عليه ( التبني العاطفي ) أو ( التبني الانساني ) فلا بأس به بل تلك عاطفة ودودة ، ورحمة جديرة بأن يأتيها المسلم الخير الكريم .

بهذا الموقف يحسم الاسلام قضية التبني ويضع الأمور في نصابها برعاية حكيمة لا نفقد بها احترام الأنساب حتى لا نفتح باب فتنة عائلية ، ولا يغلق الباب أمام عاطفة نرغب في أن تغدق من رحمتها وحنانها على رضيع ، أو تحسن إلى ضعيف فتأخذه لترعى حياته ، وتؤمله ليكون بمثابة الابن البار ، وقديما قالوا : « رب أخ لك لم تلده أمك » ... ونقول رب ابن لك أو ولد لم يثمر فيه عطفك وحنوك وبرك .

## السؤال السادس

ما هو الأكثر ثوابا عند الله : تكرار الحج أم الاكتفاء بمرة واحدة منه ، وانفاق ما زاد على ذلك على ما يفيد فقراء المسلمين ؟

● الحج فريضة وركن من أركان الاسلام ، يؤديها المسلم بشرطها مرة واحدة في حياته ، وبأدائها تسقط الفريضة عنه ، وما أداه من حج بعد ذلك يصبح تطوعا ، الا ان كان قد نذر ، فإنه يجب الوفاء بالنذر ، ولقد حج سيدنا رسول الله ﷺ مرة واحدة ، ولكن عديدا من الصحابة والتابعين حجوا بعد أداء الفريضة تطوعا ، ذلك أن النصوص التي وردت في ثواب تتابع الحج ومحو الذنوب والآثام ، جعلت هؤلاء يرجون مثوبة ، ويتطلعون إلى عفو ومغفرة ، يتطهر بها المرء من خطاياهم ، وتزداد بها حسناته ، وتكون له عند الله في ميزانه . ومن رحمة الله بعباده أن فرض الحج مرة في العمر ، ولعل من سر ذلك - والله أعلم - علم جل شأنه أن من عباده من سيأتون من كل فج عميق ، ومن أنحاء بعيدة وشتى ، كان يعرف العالم بعضها حين جاء الاسلام ، كما كان يجهل الكثير ، ومنها قارات كاملة لم تكن قد اكتشفت كاستراليا وأمريكا الجنوبية وغيرها مثلا ، فخفف الله تعالى عن عباده ، حتى يبسر لهم أداء تلك الفريضة فجعلها مرة واحدة في عمر المسلم ، وليست كالصلاة في كل يوم خمس مرات ، أو كالصيام تؤدي فريضته شهرا في كل سنة ، أو الزكاة تؤدي عندما يحول على النصاب من المال حول ، مع ما في الحج من كثرة النفقات - اعدادا وسفرا وترحالا - يجتاز بها المسلم أقطارا ، ويعبر محيطات . ونجد الاشارة إلى كل ذلك فيما يرويه ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج - أي فرض - فحجوا فقام الأفرع بن حابس فقال : أفي كل عام يارسول الله فقال : لو قلتها لوجب ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » رواه أحمد وأبو داود والنسائي . وهنا سؤال يطرح نفسه أمام ما يعانيه البعض في وقتنا الحاضر من مصاعب العيش ، وضيق ذات اليد ومطالب الحياة الأسرية ، مما يمكن إيجازه في الآتي : ما هو الأكثر ثوابا عند الله تعالى ، تكرار الحج ؟ أم الاكتفاء بأدائه مرة في العمر فريضة ، وانفاق تكاليف ما زاد على ذلك على ما يفيد فقراء المسلمين ؟

والسؤال هنا يجيء في وقته ، وكثير من الناس يعانون همومهم المعيشية والعائلية ، وينعكس ذلك على سلوكهم . ثم تكون حصيلة ذلك حاجتنا إلى الاستفرار والأمن والطمأنينة للأسرة والشباب ... ذلك واقع يدعونا إلى أن يكون لنا موقف ، نعين به هؤلاء الذين أضربهم شظف العشب ، وأرهقتهم أعباء مرضية وأسرية . ان الاسلام حينما جاء بأخوة العقيدة :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١)

أرادها أخوة خير ورحمة ، تبذل راضية ، وتعطي محسنة وبهذا تصدق مشاعرنا ، وترسخ أحوتنا . وعلى هذا فان المسلم حين يسمع رسول الله ﷺ يقول : فيما رواه أحمد « لا يشعب الرجل دون جاره » ويقول « ليس منا من بات وجاره جائع » فانه ينبغي له أن ينظر إلى الناس ليشعر بما حوله من واقع ، ويحس بما هناك حتى يؤدي واجبه الذي نبه اليه ، هذا ان رغب في أن يكون من جماعة المسلمين ، وهو ما تشير اليه كلمة « منا » في الحديث السابق ، ذلك أن الاهتمام بامراض المسلمين ، أو التعرف على ما يصلح شأنهم ، وما يعاون في تحسين واقعهم ، وتنمية قدراتهم وتلبية حاجاتهم ، هو معيار يعرف به كل منا نفسه وموقعه من أمته . ودعنا لا نغفل كذلك عن كلمة ( الجار ) في الحديث النبوي السابق ، انه لم يقل جاراً مسلماً ، بل أطلقها لتمثل المسلم وغير المسلم ، مادام يعيش معنا ، وجاراً لنا ، ويجمعنا وايه أرض ووطن ، وبهذا تتسع مسئولية المسلم ، بل تتسع عاطفته وعطاؤه الانساني . وبالنظرة البعيدة ، والوعى المدرك بوحدة المصير المشترك وبحسم بالغ الدلالة واضح العبارة يأتي قول النبي - ﷺ - في الحديث الصحيح : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، وهو ما تصبح به القضية « نداء » لكل مسلم ليعرف به من هو ؟ وإلى من ينتمي ؟ وإلى أى طريق يسير ؟ وان كان اهتمام كل فرد يتلون حسب قدرته ، فان ما سيكون منه لدينا من عطاء الأفراد سيلبي كثيراً من حاجات الأمة ، فهناك اهتمام اقتصادي وثقافي واجتماعي وانساني ، وكل تلك الطاقات تتجه لتسد حاجة ، وتطفئ ظمأ ، وتشبع بطناً وتفرج كربة أو عسراً ، وبهذا يصلح المجتمع ، وتنهض الأمة ، ويتحقق التقدم انذى نصل به إلى أن نكون صناع حضارة ، لأمة كرمها ربها حين قال :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢)

(١) سورة الحجرات : الآية ١٠  
(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠

ورضى الله عن عمر بن الخطاب - حين قال : « من أراد أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها » .

وشرط الله أن نأمر أنفسنا أولا - وقبل الآخرين - بالاحسان والبر بالضعفاء .

ان الحديث النبوى الذى أوردناه سابقا ، يريد أن يقول للمسلمين : ان الاسلام ليس فقط تعبيراً ، وانما أيضا تذكيرا ، تذكيرا بـ « العضوية » التى تجعلك جزءا من الجسد فرسولنا ﷺ يقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه ، وتذكيرا كذلك بـ ( اللبنة ) التى تتوحد مع لبنات أخرى فتشدد من بنيان الأمة ، وتدعم من احتمالها وقوتها : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » متفق عليه .

ان هويتنا الاسلامية حين أصبحت « كلمة » لم يعد لها ثقل فى ميزان الأحداث وغاب دورنا فوق المسرح العالمى ، ذلك أن الأمة انما بينها العطاء والتكافل والتعاقد . أرأيت كيف يوجهنا الاسلام إلى رعاية من حولنا من أهلينا ومواطنينا ، برًا وعطاء واهتماما بشأنهم ، وعناية بحالهم ، حتى بنى الأمة الكريمة القوية ، ذلك أن الأمة انما تكون بأفرادها فان هان الفرد وأذلته الحاجة هانت الأمة وهنت ، وحين يتكون هذا الفهم لدينا بعمق ووعى فستتغير فى حياتنا جوانب كثيرة ، فينتشر به حب وتعاطف يوثق ما بين أبناء الأمة ، فلا حقد يجعل حياتنا غيظا وقلقا وان تنفتحت وحدة تجمع بين كل الأخوة ، أليس كل فرد قد وجد لدى أخيه ما يسد حاجته ، أو يسهم فى حل مشكلته أو يعينه على مواجهة ظروفه الحرجة !؟

وقديما قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمو  
فطالما استعبد الانسان احساناً

أخى :

لك أن تحج مرآت ومرات ، فتلك مثوبة - لك وحدك - وزيادة فى حسناتك ، وكفارة لذنوبك ، كما ان لك أن ترحم ذا حاجة ، وتغيث ملهوفاً محروماً ، وتعين مريضاً ، وتبر طفلاً ، وتستر عجوزاً ، وتعف كهلاً ، وتصل رحماً ، ترأف بكل هؤلاء فلا يمدون يداً ، ولا يجرحون كرامة ، ولا يهونون على الناس ، وعلى أنفسهم ، وكل ذلك لك وللناس ، فالى أى سبيل أنت ذاهب ؟ أتعيش لنفسك فحسب ؟ أم تعيش ومعك الآخرون ؟

يذكرون فى تاريخ الصالحين من سلفنا الطيب ، أن عبد الله بن المبارك كان يحج ضمن قافلة ، وفى الطريق وجد امرأة تشبع جوعها من بقايا طعام قذف به أهل تلك القافلة ، فأصبح

ما رأيك من حال يلح عليه بسؤال : أيجب أم يُحیی نفسا عضها الجوع وأذلها الفقر ؟ ان حجة تطوع إن لم تكن هذا العام ، فلتكن في أعوام قادمة ، ولكن من أمامه تفقد كرامتها ، وتحارب - وهي ضعيفة - عسرها وفاقتها .. فأين السبيل ؟ وما لبث ابن المبارك أن اختار سبيله الذي فرضته عليه تقواه ، وألزمه إياه فهم راشد مستنير لروح عقيدته ، لقد نادى عامله الذي كان يرعى له شأن رحلته ، وأمره أن يعطى ما تحمله إبله والتي قاربت العشرين إلى فقراء ذلك المكان ، على أن يستبقى من المال ما يستطيع به أن يعود إلى بلده ، ومن حيث أتى رجع .. وعاد ابن المبارك العالم العابد ... لأنه عرف الطريق المستقيم ، وفهم جيدا رموز الحج ، ليست الأضحية في الحج رمزا للعتاء والابثار والبذل ، فلماذا اذن لا نفهم الدرس ؟

ويحكون عن عمر بن الخطاب أنه حج .

وحيثما حج عمر بن الخطاب مع والده عبد الله رضي الله عنهما ، نظر إلى الحجيج .. وراعه ما رأى فقال : الركب كثير ، ولكن الحج قليل ؟؟ انه يبحث عن أولى الألباب .. الذين فهموا الدرب .

وبعد .. فماذا سيكون اختيارك ؟



## السؤال السابع

هل تجوز قراءة القرآن الكريم باستخدام ميكروفونات عالية الصوت تصم الآذان وتزعج المريض والمحتاج للهدوء والراحة لأسباب قاهرة ؟

● قراءة القرآن الكريم تذكر ، والذكرى تنفع المؤمنين ، عقيدة ، وعبادة ، وخلقاً ، وسلوكاً ، إذ أنه بالقرآن الكريم أدب الله جل وعلا نبيه ورباه ، وحين سئلت السيدة عائشة رضی الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ أجابت : « كان خلقه القرآن » . وقضية القرآن الكريم تتناول أمرين :

الأول : أحكام التلاوة وقواعدها ، وشروطها ، وكيفيةها وآدابها ومن الأولى أن يرجع في ذلك إلى كتب التجويد والقراءات وعلوم القرآن .

أما عن بركة التلاوة والقراءة فقد يشير إليها ما رواه الترمذی من حديث أبي سعيد الخدری عن النبي - ﷺ - : « يقول الرب سبحانه وتعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » . وعن أبي موسى الأشعري رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان من اجلال الله اكرام ذى الشيبة ، وحامل القرآن غير الغالى فيه ، ولا الجافى عنه ... » رواه أبو داود .

ان من السنة أن نستمع إلى قراءة القرآن وألا نشغل أنفسنا بما يصرفنا عن حسن الاستماع وتدبر ما نسمع ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)

والأمر هنا للوجوب وقد قال بذلك بعض سلفنا ، ولكن الجمهور على أن ذلك سنة وليس بواجب الا فى الصلاة ، وفى كتب الفقه تفصيل ذلك .

( ١ ) سورة الأعراف : الآية ٢٠٤

**الثانى : كيفية الأداء صوتا ، والحديث عنه يدور حول درجة الصوت الذى تؤدى به قراءة القرآن الكريم ، وما هو الرأى بالنسبة إلى استعمال مكبرات الصوت بصورة تصم الآذان ، وتؤذى المريض والمحتاج للهدوء والراحة لأسباب قاهرة ؟**

اننا جميعا نريد أن نسمع كلام الله تعالى ، رقة فى قلوبنا ، وطمأنة لنفوسنا ، وتأديبا لسلوكنا ، نتدبره ونعقل هديه ونوره ، ومن هنا فإنه ينبغى لنا أن نتخير الوسيلة التى تشجع الناس على أن يستمعوا راضين ، وأن ينصتوا إلى هدى الله تعالى راغبين ، لا ازعاج ولا تعذيب ، والآية الكريمة حينما تقول :

﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾

انما تريد أن توفر الهدوء الذى يعين السامع على أن يفهم ويتدبر ويتأثر ويتأدىب ، فيصوغ حياته وسلوكه صياغة تتفق مع ما سمعه من آيات كتاب ربه . واذن فان على القارىء أن يعاون فى تحقيق ذلك ، لا يمنعه من استعمال مكبرات للصوت ، فقد يكون صوته ضعيفا واهنا لأسباب تتصل بحالته الصحية أو كبر سنه ، ولكننا نريده إذا ما استعان بـ « الميكروفون » أن يكون له تقدير يبعده عن الأذى أو الاضرار بآخرين قد لا يتحملون صوتا صائحا ، أو نبرة عالية ، لوضع صحى أو حاجة قاهرة . ومن قواعد الاسلام انه : « لا ضرر ولا ضرار » ، وحين لا يحسن القارىء ذلك التقدير انما يذهب - من حيث لا يشعر - إلى مخالفة دينية ، حيث أضر بالآخرين حين صرفهم عن الاستماع إلى القرآن كتاب ربهم ، وكأننا لا نريد أن نيسر لهم ما يرغبون ، وأن نقرب اليهم ما يحبون ، وأن نعينهم على ما يعانون .

نحن نعرف أن التيسير قاعدة فقهية ، استند فقهاؤنا فى اعتبارها إلى قول الله جل وعلا :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٢)

ولنتأمل مظاهر تيسير الله لعباده أن يعبدوه ولا يعصوه ، وإذا كان ذلك فى العبادات التى هى أركان الاسلام ودعائمه أفلا نيسر على الناس فى قراءة القرآن ، فيكون لنا معهم منهج الرفق فى الأداء ، استجابة لتوجيه رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها حيث يقول : « ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانة ، ولا ينزع من شىء الا شاناه » . وفيما رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله - ﷺ يقول فى بيتى هذا : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فأشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به » .

( ٢ ) سورة البقرة : الآية ١٨٥

ولنتأمل هذا التعبير النبوي الرائع في عمومته وشموله : اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً ...  
انه يقصد شيئاً أى شيء : عادة أو عبادة أو مصلحة ... الخ .

وفيما اتفق عليه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قوله ﷺ : « إن الله يحب الرفق فى الأمر كله » . فلنقدر حاجة الناس ، ولتكن لنا رعاية تقدر حالهم واحتمالهم ، وتحترم حاجتهم وضعفهم ..

وإذا كان رفع الأذى عن الطريق حتى لا يتضرر الناس شعبة من شعب الإيمان ، عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأنها امانة الأذى عن الطريق » ، رواه مسلم ، فإنه يعتبر فى الوقت نفسه صدقة ، إذ يقول النبى ﷺ : « بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له » ، رواه مسلم .. ألا يعتبر ذلك توجيهها نبويا انسانيا ينمى احساس المسلم بمسئوليته الأخلاقية تجاه ما يؤذى كل عابر للطريق أو منتهف به ؟ ولهذا « كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتجنبون كل فعل فيه مظنة الأذى فى الطريق ولو كان مما يعتبر حقا شرعيا لهم<sup>(٣)</sup> .

وإذا كان هذا هو موقف الاسلام من دفع ومنع كل ما يسبب أذى أو ضررا ولو كان غصن شوك ، فان الموقف لا يختلف فى حال الصوت الزاعق ، فكلاهما يؤذى ويضر ويؤلم وسيكون من يخالف ذلك التوجيه النبوى ضارا للمجتمع وأبنائه .

ان الاسلام يريدنا أن نأخذ ديننا بسعة صدر ، وراحة نفس ، رحمة بأنفسنا ، واحتراما لطاقتنا ، يشير إلى ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ ﴾<sup>ح</sup> (٤) .

وأحسب أن هذا هو ما وجه الله اليه سيدنا رسول الله ﷺ ، حين علم بصلاة قد أم فيها معاذ رضى الله عنه المصلين فأطال حتى جاء على وقت صحابى أراد أن يسقى فيه نخله ويؤدى فيه عمله ، فلما رأى معاذاً طوّل نوى مفارقتة ، وتجاوز فى صلاته وأداها وحده ، وانصرف إلى عمله ، فلما بلغ الأمر رسول الله ﷺ - لام معاذاً قائلاً له : « أفтан أنت يامعاذ .. أفتان أنت يامعاذ .. أفتان أنت يامعاذ ؟؟؟ »

( ٣ ) مجلة البحوث الفقهية العدد ١١ أكتوبر ١٩٩١  
راجع بحث : الطرق العامة وأحكامها والمسئولية عنها ص ١٠٩ د . عبد الرحمن بن حسن النفيسة

( ٤ ) سورة الحج : الآية ٧٨

وقد نبه النبي ﷺ إلى الرفق بالمجتمع ورعاية ظروف أفراده في مثل هذا . ففيما اتفق عليه الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف ، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير وذا الحاجة » ..

وكان ﷺ - كقدوة - أرفق الناس بأمته - وأحرصهم على دفع الضرر عنها وأحناهم على نوى الظروف الخاصة ، فقد روى البخارى عن أبي قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « انى لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه ، التي قد تكون خلفه مؤتمة به في هذه الصلاة الجامعة .

وإن فلا ينبغي أن تكون قراءتنا ازعاجا للمريض أو اقلاقا لمتعبد قد استكان إلى فراشه راحة من عناء صحى أو عمل شاق . ان علينا أن نرشد الصوت ، فما أدى من غرض ، وما حقق من هدف ، وما روعيت فيه أوضاع الناس صحية وبدنية ونفسية .. أتينا به مطمئنين حيث راعينا فيه حال السامعين ، والقضية قبل ذلك وبعده ، يدخل فيها الذوق والتعقل والموازنة بين الوسيلة والغرض في الأداء . وذلك أنه قد ورد في الأثر « المؤمن كئيس فطن » . وهنا أفق لأسمع واياك ولنتأمل معا ما يحكيه ابن مسعود رضى الله عنه عن المنهج النبوى فى رعاية احتمال الانسان ، وتقدير طاقته ، والرفق بنفسيته وحالته ، يقول ابن مسعود : « كان رسول الله ﷺ يتحولنا بالموعظة فى الأيام مخافة السامة علينا » متفق عليه .

أرأيت كيف يصنع النبي ﷺ ؟ وكيف يسلك فى دعوته ، وكيف كان يتعامل مع أصحابه رضى الله عنهم ؟ أرأيت احساسه الذكى بما تطيقه ولا تطيقه النفس البشرية ؟ نحن مطالبون بأن نتأسى به :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٥) .

فهل لنا إلى مرد من سبيل ؟ ليتنا نعيش مع هدى الرسالة ، وسلوك النبوة ، ونكاء البصيرة ، وإشارة العبارة ، فنرحم أنفسنا ونرحم الناس .

ان ابن مسعود يقول ( مخافة السامة ) فما بالك بمن يعانون حقيقة الألم والضيق والتعذيب ، ثم اشتداد المرض حين لا ينامون أو الضعف فى أداء واجبهم فلا ينتجون .

وبعد ... فقد تكررت عبارة : ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ فى القرآن الكريم قرابة أربعين مرة ...  
فهل نعقل ويعقلون ؟

## السؤال الثامن

ما موقف الاسلام من قراءة القرآن الكريم بأجر ؟

● القرآن الكريم كتاب الله جل وعلا ، أنزله على نبيه محمد ﷺ ، أصدق الحديث وأكمله .  
روى الامام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ  
فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : ه أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وان أفضل  
الهدى هدى محمد ﷺ ، .

ومن هنا كان اهتمام المسلمين بالقرآن حفظا وتجويدا وسماعا ، ودراسة وتفسيرا وبحثا  
وتأملا ، فعنه يصدرن واليه يرجعون ، فهو الجامعة التي تلتقى حولها أجيال الانسانية ، تفيض  
ولا تغيض قيادة وزيادة لا يجف ثراؤه وعطاؤه ، وصدق الله العظيم .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَانَفَدَتْ  
كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ (١)

من أجل هذا كله كان الحديث عن قراءة القرآن بأجر موضع اهتمام كثير من فقهاءنا  
وعلمائنا . من هؤلاء : عطاء ، والضحاك بن قيس ، وأبو قلابه ، وأبو ثور ، وابن المنذر  
والزهري ، والحسن بن سيرين ، وطاووس ، والشعبي ، والنخعي ، وأبو حنيفة ، ومالك ،  
والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم . ففريق أجاز أخذ الأجر عن تعليم القرآن وتحفيظه  
وفريق منع ذلك وكرهه .

ويمكن القول - بعد استعراضنا لأقوال كثير من علمائنا في هذا الموضوع - أن قراءة القرآن  
يمكن أن تكون تحفيظا وتعلما ولهذا حديثه ، وإما أن تكون لأمر نحذر منه ، وننبه اليه ،  
أو ننصح به ونوجهه . وعلى كل فان من أجاز أخذ الأجر على تحفيظ القرآن ، أو منع ذلك

( ١ ) سورة لقمان : الآية ٢٧

وكرهه ، فانه - للحقيقة - قد صدر كل منهما عن صدق نيه ورؤية اجتهد فيها ، وكل قد استند إلى أدلة شكلت رؤيته التي انتهت به إلى رأيه وحكمه ، ... تلك الرؤية التي حكمتها ( عقلية وعصر ) .

والعقلية لها روافدها المتنوعة والكثيرة .

والعصر يتنوع وله سماته ، وكل منهما له تفسيره وتحليله ولونه الذى يميزه ، والعصور تختلف ولكل عصر طبيعته ومعطياته ، ويختلف التحليل والتفسير تبعا لكل ذلك ، فما كان قرابة خالصة لله تعالى لا يؤخذ عنه أجر مادي ، أصبح الآن عملا لا يؤدى الا بأجر ، ذلك لأن عرفا جد ، وتقاليد تجددت ، وآليات الحياة اليوم تلد مالم يكن من قبل - حكمة الله فى دنيا الناس - وصدق الله تعالى :

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (٢) .

وكل هذا ينبغى أن يكون تحت نظر الباحث ومن يفتى - ان كان من أهلها - إذ أن هناك أعرافا وعادات فرضت نفسها بالأمس ، ثم أصبحت اليوم تاريخا يحكى ، ولكنه لا يؤتى ، ولهذا فما ينبغى أن نقف آراء بعض الباحثين عند زمن كانت له ظروفه الخاصة به ، إذ أن تلك الآراء أصبحت لباسا وأزياء لا يرتديها أحد ، وللفقهاء تعبير ذكى حين يبحثون عن سبب اختلاف الحكم الشرعى فيقولون : انه اختلاف عصر وأوان ، لا اختلاف حجة وبرهان .

وما لم نتفق على ذلك فان مصالح حيوية للمجتمع ستضار وتتوقف ، وسيتهم البعض الشريعة الاسلامية - رهي بريئة - لأن صلاحية ديننا هي لكل زمان ومكان ، والزمين يدور والأيام لها متغيراتها ، وكما أن للزمين حكمه على الانسان ، فان له تأثيره أيضا على المكان . ان معطيات كتاب الله جل وعلا ، وسنة رسوله ﷺ ، وما قدمه سلفنا الطيب ، وجاء به من اجتهاد ما يسع مشاكل حياتنا ، وقضايا الجماهير المتطلعة إلى تقدير مصالحها وظروفها المعيشية - أقول ذلك - دعوة إلى الاستبصار بما كان ماضيا ، وبما هو واقع الآن حاضرا ، ولنتفهم طول الرحلة بين الماضى والمعاصر ، حتى لا يخفى الطريق علينا .

ان هؤلاء وأولئك ممن ذهبوا إلى حل أو منع أخذ الأجر على تعليم القرآن وتحفيظه ، قد رجعوا إلى صالح المجتمع - من وجهة نظرهم - يحترمونه ويستفتونه ، ولكن التعبير يختلف ، فابن قدامه فى كتاب المغنى يعبر عن الفريق الذى ذهب إلى حل الأجر بقوله : « ... ولأنه

( ٢ ) سورة الرحمن : الآية ٢٩

يجوز أخذ الرزق عليه من بيت المال ، فجاز أخذ الأجر عليه كبناء المساجد والقناطر ، ولأن الحاجة تدعو إلى ذلك ،<sup>(٣)</sup> .

كما تكشف العبارات الآتية وفي نفس المرجع عن وجهة نظر الفريق الآخر ممن منع أخذ الأجر ( ... فأما الرزق من بيت المال فيجوز على ما يتعدى نفعه من هذه الأمور ، لأن بيت المال لصالح المسلمين ، فإذا كان بذله لمن يتعدى نفعه إلى المسلمين محتاجا إليه كان من المصالح ، وكان للأخذ له أخذه لأنه أهله ... )<sup>(٤)</sup> .

واذن فجواز الحصول على نفع مادي ( أجرا أو رزقا ) هو مع حاجة المسلمين وجودا وعملا . واذن فمادامت الحاجة قائمة فلن يعلم القرآن ويقرأه أن يأخذ من الدولة ما تفرضه له . يقول الدكتور محمد أبو شهبه استاذ علوم القرآن رحمه الله تعالى : « أما أخذ الأجر على تحفيظ القرآن وتعليمه للناس أو بيان ما فيه من عقاب وأحكام فحكم هذا لا شيء فيه ، بل فاعله مأجور ، وذو منزلة عند الله تعالى ، وان كان من لا يأخذ عليه أجرا أعظم أجرا ، وأعلى منزلة عند الله تعالى . وقد روى البخارى فى صحيحه عن عثمان رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه أيضا أصحاب السنن الأربعة .

اننى لم أزد أن أسوق اليك المناقشة الطويلة ، التى دارت بين علمائنا القدامى والمحدثين حول ذلك الموضوع ، ولمن أراد التفصيل والافاضة ، فليرجع إلى الموضوع فى كتب الفقه ، حسبي أن أوضحت اجماعهم على تقدير الصالح العام ، وحاجة الأمة ، مع كل الاجلال لما استندوا اليه ومع التقدير المنصف لما بذلوه من جهد علمي ، أرادوا أن يكون - حسب رؤيتهم - قربة إلى الله تعالى .

ثم اسأل بعد كل هذا ، هل عصرنا الآن يحتمل مناقشة ممتدة طويلة حول هذا الموضوع وحاجة الأمة إليه الآن ؟ وهل يمكن أن نجد محفظا للقرآن الكريم دونما أجر واحتسابا ؟ وكم عدد هؤلاء ؟ ومن الذى سيعول أسرهم ؟

أحسب أن صالح الأمة اليوم يفرض علينا أن نعاونها فى أن تصحح عبادتها التى توجب على كل مسلم ومسلمة أن يحفظ ويعى قدرا من القرآن الكريم يمكنه من أداء صلواته ، والوفاء بشعائره عقيدته ، واذن فان من الأهمية البالغة أن يكون القرآن بيننا ، يحفظه أبناؤنا ، ونطمئن اليه فى صدورنا وعقول شبابنا - أحسب - أن ذلك كله يجعلنا لا نتردد فى الاعتراف بأن قضية أجر المعلم للقرآن الكريم قد تجاوزها العصر الذى نعيشه ، فاليوم غير الأمس والمجتمع قد تجددت

( ٣ ) المغنى لابن قدامة ج ٣ ص ٢٣١ طبعة الرياض جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية الشريعة بالرياض

( ٤ ) المرجع السابق ص ٢٣١

وظائفه وحاجاته والخطورة ماثلة ، والضرورة قائمة . اننا فى حاجة إلى أن نفهم حاجة العصر ، ثم نترجمها إلى لغة العصر ، إذ أن لكل عصر لغته ، حتى يستريح أهل ذلك العصر ، وكى يجد الناس راحة للاطمئنان العقلى والنفسى والروحى فى رحاب شريعة الله تعالى .. وذلك هو ديننا .

أما عن قراءة القرآن الكريم فى الطرق والمواصلات والمدافن بقصد التسول والابتزاز ، فقد يكفيننا أن نستعرض ما هدت اليه السنة النبوية فى شأن من يسأل الناس ويتخذ ذلك مهنة له ، وهو غير محتاج ، يقول رسول الله - ﷺ - لأبى بشر قبيصة بن المخارق عن المسألة : « يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا »<sup>(٥)</sup> . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « وان أحدكم ليخرج بالصدقة من عندى متأبطها - أى حاملها - وانما هى من نار » قلت يارسول الله : « كيف تعطيه وقد علمت أنها نار ؟ » فقال : « فما أصنع بأبون مسألتي - أى يلحون فى الطلب ، ويأبى الله لى البخل »<sup>(٦)</sup> . كما يروى سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان المسألة كذ يكذبها الرجل وجهه ( أى يخدشه ويجرح كرامته ) .. »<sup>(٧)</sup> وقد أخرج أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه قال : « سيجيء زمان يسأل فيه بالقرآن فان سألوكم فلا تعطوهم »<sup>(٨)</sup> . وفى تعبير تصدق به الموازنة والمقارنة يقول ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى » متفق عليه<sup>(٩)</sup> . وذلك هو حال المتسول والمتوسل إلى ذلك بقراءة القرآن الكريم .. ورحمتنا له أن نمسك به حتى لا يتمادى فى عدوانه على كرامة ذاته ، ثم نحول بينه وبين أذى الآخرين من المسلمين ، لما يسببه لهم من حرج دينى وأذى نفسى .

أما فيما يتصل بقراءة القرآن الكريم فى المناسبات الاجتماعية - احتفالاً أو عزاء - فهل نعتبر أن ذلك أصبح عادة لنا فى حياتنا وعرفاً شائعاً ؟ ان ذلك يقتضى أن نفهم ما هو العرف الصحيح لدى فقهاءنا ( انه هو ما تعارفه الناس ، وليست فيه مخالفة لنص شرعى أو اجماع ولا تفويت لمصلحة ولا جلب لمفسدة )<sup>(١٠)</sup> . وعلى ضوء ذلك التعريف أيمكن أن نقول ان موضوعنا هذا يدخل فى دائرة الاعراف والعادات فى زماننا ؟ ان الامام السيوطى رحمه الله تعالى يقول : « اعلم أن اعتبار العرف والعادة راجع اليه فى الفقه ، مسائل لا تعد كثرة » وعلى فرض أننا

( ٥ ) مختصر الترغيب والترهيب ص ٦٢

( ٦ ) رواه مسلم والنسائى - مختصر الترغيب والترهيب ص ٦٦ ، طبعة الهند

( ٧ ) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح - رياض الصالحين النووى ص ٢٥٥ طبعة دمشق

( ٨ ) فتح البارى ج ١٠ ص ٤٧٨

( ٩ ) رواه ابن عمر وأبو امامه وضدى بن عجلان ( حكيم بن حزام )

( ١٠ ) نظرية العرف د . عبد العزيز الخياط ص ٣٧ الأردن ١٩٧٧



لو منعنا تلك القراءة ألا يؤدي ذلك إلى تنفير الناس ، فتكون الفرقة والاختلاف ، يقول الله تعالى :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١١)</sup>

ولهذا أصبح الآن التضامن والاجتماع والاعتصام بحبل الله تعالى من أعظم أصول الاسلام ، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه .. ولذلك استحب الامام أحمد وغيره أن يدع الامام ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تأليف المأمومين ...

بل قال شيخ الاسلام ابن تيميه : ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة المستحبات ..

كما ترك النبي ﷺ تغيير الكعبة البيت الحرام ، لما في ابقائه من تأليف القلوب<sup>(١٢)</sup> . على أن هناك من يرى أن الأفضل أن يغير في ذلك الأسلوب المتبع .

كما ترى جماعة أخرى أن تختار مسمى جديدا لذلك النوع من القراءة بشروط ، ثم أقول اننا مطالبون بأن نستمع إلى القرآن وأن ننصت لقول الله تعالى :

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(١٣)</sup> .

كما أن الأداء الطيب والصوت الجميل لهما أثرهما الطيب في النفوس ، والا فكيف استمع رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري ، وأعلمه بأعجابه بقراءته وصوته قائلا : لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود « متفق عليه رواه أبو داود .

فرد عليه أبو موسى : « لو علمت يا رسول الله انك تسمعني لحبرته تحبيرا » أي جودت القراءة وأحسنتها أكثر ..

وهنا سؤال : ما هي حدود الصوت الجميل ؟ وكيف دعا رسول الله ﷺ ( أنجسه ) بقوله : « رفقا بالقوارير » حين كان يحدو ابل القافلة بصوت جميل حتى اهتزت اهتزازا شديدا وأسرعت في خطاها - وعلى ظهورها النساء طربا من صوت الحادي ؟ أيمن القول يمنع قراءة القرآن بصوت قارئ جيد ، قد تخفف من آلام الحزاني لفقد ابن أو عزيز ؟ فهل يمنع ما يرحم الناس

( ١١ ) سورة آل عمران : الآية ١٠٣

( ١٢ ) راجع بحث : أثر أصول الفقه في فقه الاختلاف وفقه الموازنة وحاجة الداعي اليهما د . عبد الرؤوف خرايشة .

( ١٣ ) سورة الأعراف : الآية ٢٠٤

ويواسيهم في آلامهم وأحزانهم ؟ حين نذكرهم بآيات ربهم تدعوهم إلى الصبر ، وتعلمهم كيف يرضون بقضاء الله ، ويستسلمون لحكمته ؟ فتجف الدموع ، وتهدأ القلوب ، وصدق ربنا في كتابه :

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوشَفَاءً وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤)

أليس ذلك قرابة إلى الله تعالى ، يقول الغزالي رضى الله عنه عن التشويق إلى الحج « وإذا كان الحج قرابة ، والشوق إليه محمودا ، كان التشويق إليه بكل شوق طيبا محمودا ... » - ثم يقول : فى موضع آخر « لأن المفضى إلى المحمود محمود .. وكذلك يقول : « ان التشويق إلى الحرام حرام »<sup>(١٥)</sup> وهل هناك ما هو أفضل من التشويق بالقرآن الكريم بصوت رخيم وأداء متزن ، ثم أليست قراءة القرآن مانعة أو داعية المجتعيين فى حفل أو مأتم حتى لا يفتابوا اخوانهم وأخواتهم ؟ أو يكون لهم من لغو الحديث ما يذهب بحسناتهم ، ويزيد من ذنوبهم : وانن قضية أخذ أجر يمكن أن نقرب منها دون وجل أو خوف ، إذا خلصت نية القارئ ، وكان للسامعين خشوع وانصات . وبهذا الفهم يمكن أن نقيم العمل الذى يؤديه القارئ وهل يمكن اعتباره قياما بأداء وظيفة اجتماعية ودينية لها أجرها المادى ؟ وظيفة تذكر الناس بآيات الله تعالى ، بالصوت الندى ، الذى يخرج من القلب النقى .. عندما تنسيهم الحياة وشواغلها .. ما ينبغى أن يتذكروه ، أو حينما تفجؤهم حادثات الليالى وأحزانها . أن للمجتمع اليوم وظائف اجتماعية عديدة لم تكن من قبل ، ولم تكن لتلك الوظائف اسماؤها التى عرفت من قبل ولكن التطور الاجتماعى والاقتصادى والثقافى والادارى فرض تلك الوظائف وأسماءها ، كما فرضتها مصالح المجتمع لأنها أصبحت ضرورة حياة ، وسمة عصر ووجود ، فهل تتسع صدورنا ، كما اتسع ديننا يسرا ورحمة - فننقه صبيحة الرحمة فى نداء رسوله ﷺ فيما رواه أحمد : « ان دين الله يسر فى يسر » ، هل لنا أن نعيد النظر والتفكير فى مقومات حضارتنا وجديد عادتنا بما لا يخالف ما ارتضاه الله لنا دينا ودنيا ، ولا نرفض الجمال أو الطيب من الحياة ؟ حقيقة نحن فى حاجة إلى مراجعة مواقف كثيرة ، وإلى أن نرتضى أو نترضى على ذلك ، وفى ضوء من اجتهاد فقهي نتوسط به إلى ما تسكن اليه النفوس دونما افراط أو تفريط هل يستمع قراء لكتاب الله تعالى فى احتفالاتنا وأحزاننا إلى نصيحة ندعوهم بها إلى التيسير والسماحة - وهم أهل لذلك - حتى لا تصبح قراءة القرآن تجارة ، ونحن نريدها وايامهم عبادة .. أحسب أن صبيرا نتحلى به فى دعوتنا ونصيحتنا ، وكلمات طيبات نقولها بحب اشارة إلى دنيا راحلة تنتظرنا هناك ..

( ١٤ ) سورة الاسراء : الآية ٨٢

( ١٥ ) احياء علوم الدين للغزالي ج- ٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ طبعة دمشق

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَدِّدٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦)

احسب .. كل ذلك لعل قراءنا يفكرون .. ثم يهتدون إلى التي هي أقوم . فيرغبوا في التوسط  
والقصد والسماحة والبر وعدم المغالاة وعدم الخروج بالقرآن من الاعتبار إلى الاتجار .

## السؤال التاسع

أيسمح الاسلام ببناء مقابر فى المساجد حتى لو كانت لأهل البيت ؟

● يحرص الاسلام على ألا تقع فى الدين فتنة ، تبعدنا عن صحيح العقيدة وخالص العبادة وتوحيد الله سبحانه وتعالى ، أو الاقتراب من الشرك ، ذلك أن التوحيد هو عقيدتنا ، وعقيدة كل الأنبياء من قبل .

من أجل ذلك عنى الاسلام بقضيتنا التى نعرضها ، وهى بناء المقابر فى المساجد ، حتى لا تختلط الأوراق ، فيضطرب الفكر ، وتضيع معالم العقيدة التى قامت على أساس التوحيد الخالص :

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾<sup>ح</sup> (١) .

ومن هنا جاء التوجيه النبوى بشأن منع اتخاذ المساجد على القبور ، ذلك أن اقامة المسجد على قبر قد تؤدى إلى تعظيم بالغ أشبه بعبادة الأوثان(٢) .

والاسلام حريص كل الحرص ، ومنذ البداية على أن تظل عقيدة المسلم نقية لا شائبة فيها من انحراف ، بعيدة كل البعد عما يؤدى إلى شرك :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾<sup>ع</sup> (٣) .

كما وردت أحاديث نبوية تلعن من الأمم السابقة من اتخذت من قبور أنبيائها مساجد ، فقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ما حدث لقوم نوح من اتخاذهم صور رجال صالحين منهم « ود ، وسواع ، ويعوق ، ونسرا » فلما تطاول الزمن ، ووهنت عقيدتهم وضعف وعيهم الدينى والعلمى ، مال القوم إلى عبادة صورهم وتمثيلهم ، ومضوا على ذلك دون أن

( ١ ) سورة الزمر : الآية ٣

( ٢ ) المغنى لابن قدامه : ج ٢ ص ٥٠٨ طبعة الرياض

( ٣ ) سورة النساء : الآية ٤٨

يدركهم من بينهم رجل رشيد ، يحنرهم دنياهم ، ويوضح لهم الطريق المستقيم إلى الوجدانية التي هي شرعة الأنبياء السابقين<sup>(٤)</sup> .

وبهذا فإنه يمكن لنا أن نقدر ما قيل من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين رأى جماعة يلتفون تبركا حول شجرة يقال ان الصحابة رضى الله عنهم قد بايعوا رسول الله ﷺ بجوارها ، فأمر عمر بقطعها ، حتى يجنب الناس فتنة تعود بهم إلى ضلال ، فالأيام تمضى ، والعادات تتسرب فتطغى على العبادات ، ثم ان دائرة الاسلام تتسع ، ويقل فى مناطق كثيرة العارفون والعالمون بشئون دينهم ، فمن للناس هنا وهناك حين يحيدون عن الطريق السوى ؟ على أنه قد جاء فى البخارى أن عمر رضى الله عنه قطع الشجرة التي وقعت بيعة الرضوان بجوارها لاختلاف الناس بعدها فيها وفى مكانها .

ولعل سائلا يقول : وما الحكم إذا كان من سيقبر فى المسجد من آل بيت النبوة ؟ والسؤال يتردد ، لأننا جميعا نحب أهل البيت حبا لرسول الله ﷺ ، أليس الله تعالى قد طهرهم اكراما لنبيه ، وحبا له ؟

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾<sup>(٥)</sup>

والجواب : أن رسول الله ﷺ هو الذى هدانا إلى الحكم فى تلك القضية ، وهى قضية من الايمان اساسية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ألا وهى قضية « حماية التوحيد » ، ونحن مطالبون بأن نتأسى برسول الله :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وكما يقول الله جلا وعلا :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾<sup>(٧)</sup> .

ثم ان حبنا لله جل وعلا لن يكون الا باتباع رسوله - ﷺ - فيما أمر به أو نهى عنه :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾<sup>(٨)</sup> .

( ٤ ) المغنى - المرجع السابق

( ٥ ) سورة الأحزاب : الآية ٣٣

( ٦ ) سورة الأحزاب : الآية ٢١

( ٧ ) سورة الحشر : الآية ٧

( ٨ ) سورة آل عمران : الآية ٣١

ولماذا لا يفهم البعض أن آل البيت هم أكثر الناس اتباعا ، وأصحهم طاعة وأداء ، وأنهم يعرفون ما أحبه نبيهم ، وما كرهه رسولهم ، وهم عترته الطاهرة . إن السيدة فاطمة رضى الله عنها سمعت ما قاله أبوها صلوات الله عليه وآله : « يا فاطمة بنت محمد اعملي فاني لا أغنى عنك من الله شيئا » رواه البخارى . فهنا لا استثناء ، وكذلك لم يستثن فى قضية اتخاذ المساجد على القبور .

وقد كانت فاطمة بعد أن ماتت أخوانها هى الوحيدة والحببية اليه ، ولو كان قد استثنى لنقل لنا ولم ينقل ، وإنما جاء ما رواه مالك عن رسول الله ﷺ « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشدت غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وسيكون هنا سؤال ، وقد قيل من قبل ، وكيف نفسر ما نراه فى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ؟ وقبر النبى هنا فى موقعه يشاهد ؟

وجوابنا هو ما رواه البخارى رضى الله عنه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها تقول : لم يبرز قبر رسول الله ﷺ لئلا يتخذ مسجدا ، فدفن فى بيته لانه روى « يدفن الأنبياء حيث يموتون » (٩) .

ونحن نشاهد قبور آل البيت رضى الله عنهم فى مصر بجوار المساجد ولكنها أفردت بمكان خاص ، وهناك ما يحول بينها وبين المسجد ، فللمكان باب يمكن أن يغلق ويفتح دلالة على استقلال مكان القبر ، حتى ولو سمي المسجد باسم صاحب القبر ، نقول ذلك مع حرص بالغ على ألا نخالف نصا ، ومع احترام بوعى ، وتقدير مدرك وكبير لمكانة آل بيت رسول الله ﷺ - ومن هذا المنطلق نقل ما كتبه ابن قدامه « ولا يستحب التمسح بحائط قبر رسول الله ﷺ ولا تقبيله » ، قال الأثرم : « رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبى ﷺ ، يقومون من ناحية فيسلمون » قال أبو عبد الله « وهكذا كان ابن عمر يفعل » (١٠) . ولقد نقل القاضي عياض أن السفر بقصد الزيارة غاية مسجد المدينة ، لمجاورته القبر الشريف ، وقصد الزائر الحلول فيه لتعظيم من حل بتلك البقعة ، كما لو كان حيا ، وليس القصد تعظيم بقعة القبر لعينها بل من حل فيها (١١) فهل يدرك الزائرون لقبور آل البيت أنهم لا يزورون القبر وإنما يزورون صاحب القبر ؟ وهل يدرون دلالة أمر هذا النص وإشارته ، انه ترجمة عملية لما نهى عنه رسول الله ﷺ - فهل نكتفى بالسلام والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وأنواع القربات الأخرى المشروعة وبهذا يعلم الحكم فى موضوعنا ، وصدق الله العظيم حين يقول :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٢) .

( ٩ ) المغنى لابن قدامه ج ٣ ص ٥٥٩

( ١٠ ) المرجع السابق

( ١١ ) خلاصة الوفا للسمهودى ص ٧٠ نقلا عن كتاب بيان للناس ج ٢ ص ١٥٧

( ١٢ ) سورة النور : الآية ٥١



## من مطبوعات مركز الأهرام للترجمة والنشر

□ سلسلة تقريب التراث      إشراف ومراجعة  
د . عبد الصبور شاهين

- درء تعارض العقل والنقل
- لشيخ الإسلام ابن تيمية
- احياء علوم الدين
- للامام الغزالي
- الحكم العطائية
- لابن عطاء الله السكندرى
- الرسالة
- للامام الشافعى
- معانى القرآن
- للفراء
- تأويل مشكل القرآن



- القرآن مآدبة الله للعالمين الشيخ أحمد حسن الباقورى
- معانى القرآن بين الرواية والدراية الشيخ أحمد حسن الباقورى
- الله فى العقيدة الإسلامية أحمد بهجت
- قراءة فى وثائق البهائية د. بنت الناطقى
- التدين المنقوص فهمى هوىدى
- الحج عبادة العمر مركز الأهرام للترجمة والنشر
- الفاروق عمر بن الخطاب عبد الرحمن الشرقاوى

رقم الإيداع بدار الكتب

---

١٩٩٢ / ٨١٩٨

مطابع الأهرام التجارية - قلوب - مصر



يتناول هذا الكتاب قضايا الخلاف في تطبيق المبادئ الدينية على الحياة المعاصرة وهي قضايا كانت تحسم في الماضي بالحوار والمناقشة وتقليب الآراء على أوجهها المختلفة غير أن الخلاف حول هذه القضايا تحول اليوم تحولا عنيفا يثير القلق لذا ارتأى مركز الأهرام للترجمة والنشر عرض بعض هذه القضايا المتفجرة على طائفة متميزة من علماء الدين لبيان الرأي فيها فعالج:

- الدكتور محمد سيد طنطاوي : قضايا الإسلام والاقتصاد
- الدكتور محمد عمارة : قضايا الإسلام والسياسة
- الدكتور حسان حنطوت : قضايا الإسلام والطب
- الدكتور عبد الجليل شلبي : قضايا الإسلام والمرأة
- الشيخ عطية صقر : قضايا الإسلام والفكر الخاطيء
- الدكتور عبد الله عبد الشكور : قضايا الإسلام والحياة المعاصرة

مركز الأهرام للترجمة والنشر

مؤسسة الأهرام

التوزيع في الداخل والخارج :- وكالة الأهرام للتوزيع

ش الجلاء - القاهرة

